الدورة القمرية

((لوح الويجا))

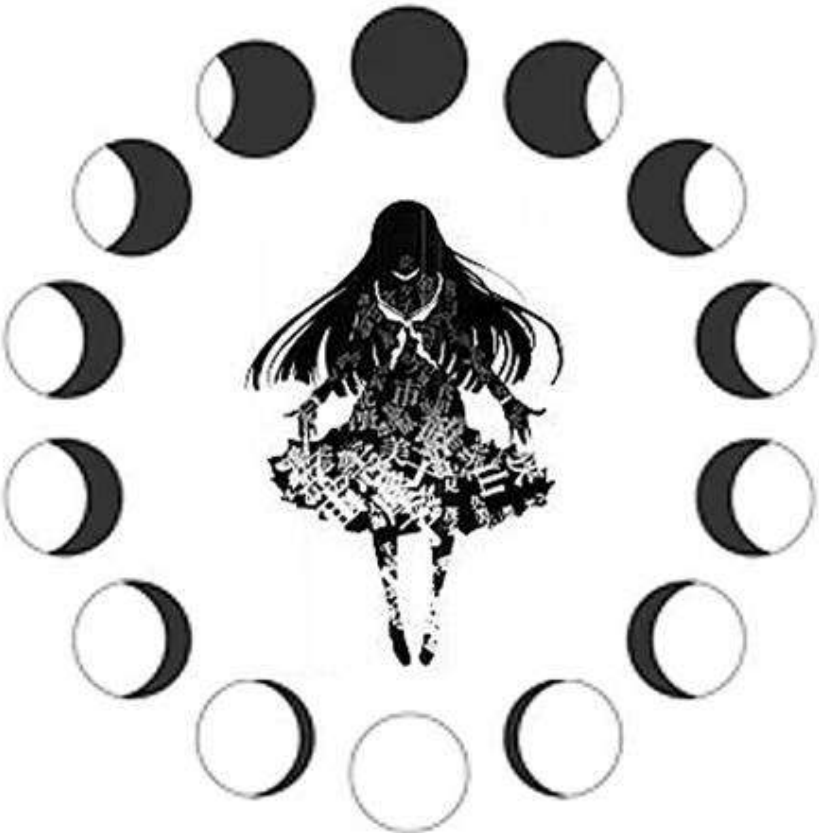

كتاب يقارب مغالطات شائعة

د. غفار محمد

الدورة القمرية ...

الإهداء :

إلى كل باحث عن الحقيقة يأبى الوقوع في فخّ مغالطات الحياة ..

الدورة القمرية ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة سريالية (الدولة العميقة)
- مغالطة أصغر من الذرّة (بوزون هيغز)
- مغالطة قمر 14 (الدورة الشهرية و الدورة القمرية)
- مغالطة الموت الرحيم (قتل النفس بالحق)
- مغالطة مخمس الشيطان (بافوميت)
- مغالطة الكوكب المضجر (ما خفي أعظم !!)
- مغالطة الغرب الفاجر (سرير بروكرست)
- مغالطة النصيحة بجمل (المرآة السحرية لا تكذب)
- مغالطة حروب عبثية (معضلة المتهمَين)
- مغالطة اجتماعية (قوانين السير)
- مغالطة حجر بوذا (لا إكراه في الدين)
- مغالطة تأقلم أو تألم (من لا يتغير يهلك)
- مغالطة لوح الويجا (عالم الماورائيات)
- مغالطة الأوتار الفائقة (قيثارة الروح)
- مغالطة الخوف الفطري (تجربة ألبرت و قطرة روبرت)
- مغالطة هاكر العقول (رجل الدمى)
- مغالطة خرفان بانورج (فلسفة القطيع)
- مغالطة امبراطورية الجسد (الخلية الإله)

الدورة القمرية ...

مخالطة سريالية

(الدولة العميقة)

وقف الشاب أمام إحدى لوحات الفنان الإسباني الشهير سلفادور دالي يتأملها بعمق ثم التفت إلى مرشد الجولة و سأله بدهشة ..

= سيدي ، ما المبهر بهذه اللوحة ؟ لا أرى سوى أشياء غريبة لا معنى واضح لها أو رابط منطقي بينها ؟ أين هي الطبيعة أو الأجساد البشرية التي تضج بالحياة كحال بقية اللوحات في المعرض .. إنها أشكال عبثية عشوائية بلا هدف أو غاية ؟

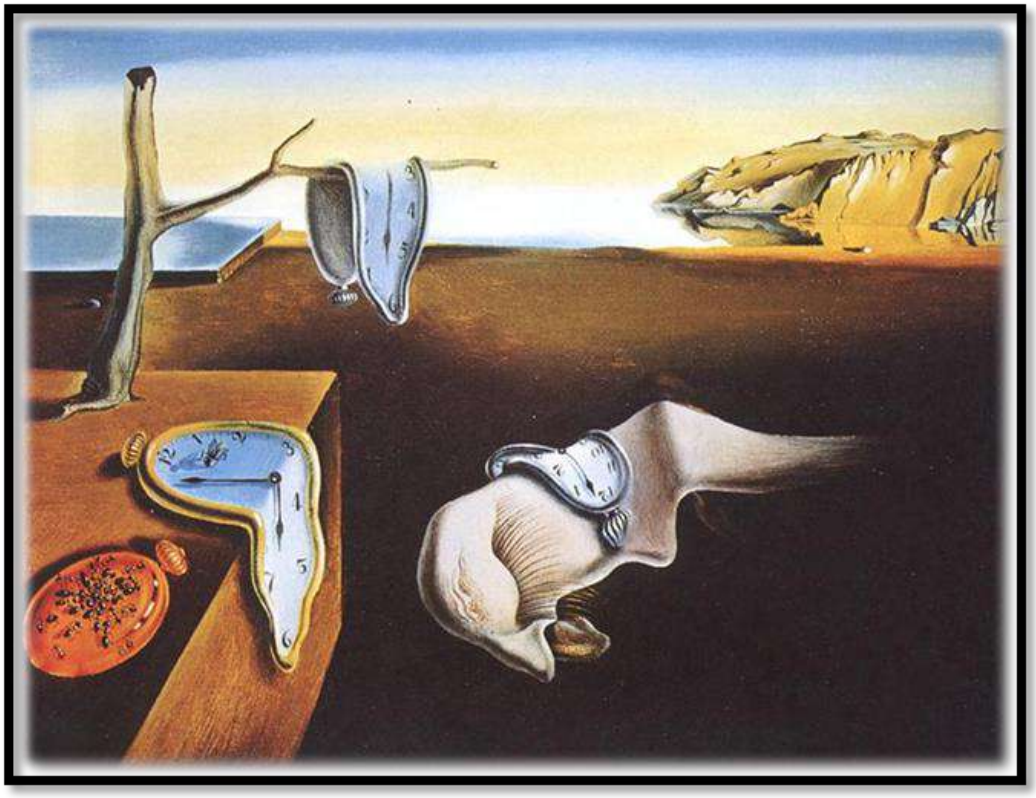

ابتسم المرشد بلطف :

= محق .. لكن هذا النوع من الفن يدعى بالفن السريالي و هو ليس فناً واقعياً يجسد الأمور كما هي من حولنا ..

= و كيف يجسدها إذن ؟!

= لفهم الفن السريالي علينا فهم العقل الباطن أو اللاواعي أولاً .. فهذا الفن هو تجسيد لما يجول في هذا العقل تماماً على شكل لوحات فنية أو موسيقى أو حتى شعر .. و العقل الباطن بالأساس ضبابي بالنسبة لنا و مبهم لذا تكون نتيجة ترجمته إلى أعمال فنية ضبابية و مبهمة بدورها ..

= فهمت ، لكن ما الفائدة من هذا الفن أساساً إن كان بالأساس مجرد أعمال غير واضحة ..؟!

= لأن الفنانين و بشراً كثيرين يؤمنون بأن اللاوعي هو المحرك الأساسي لأفعالنا و إن كنا نجهل الآلية بدقة ، كما يؤمن كثير منهم بأنه صلة الوصل بين العالم المادي و العالم الغيبي الروحاني ..

= لم أفهم !!

= مثلاً تعتبر الأحلام جوهر السريالية و متنفس العقل الباطن عندما يعبر عن نفسه بحرية ، و يؤمن السرياليون بأن الأحلام أيضاً وسيلة السماء لمخاطبتنا بشكل مباشر .. لذا يعتبرون ترجمة الأحلام إلى أعمال فنية كرسالة من السماء تحتاج التفسير و التقصي ..

= و ما الذي يقصده الفنان دالي مثلاً من الساعات الذائبة في هذه اللوحة أمامنا ؟!

= الله أعلم ، لكن بحكم أنني مسلم العقيدة ، فأرى هذه اللوحة تنسجم بقوة مع آية مذهلة من القرآن الكريم ..

= أثرت فضولي ، و علامَ تنص هذه الآية ؟

= تقول :

(و إن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون)

و كما تلاحظ ، هذه الآية تشير بشكل صريح إلى أن الوقت في العالم الآخر أبطأ بكثير من الوقت في عالمنا الأرضي ، و بإسقاط هذه الآية على لوحة سلفادور دالي التي تجسد كما يبدو عالماً غريباً على البشر يمر الوقت فيه ببطء .. فيمكننا القول بأن دالي رأى في أحلام اليقظة أو الأحلام الحقيقية ما يشبه جنان الله و ترجمها إلى لوحته هذه بطريقته الخاصة .. طبعاً هذا افتراضي الشخصي لا أكثر ..

= و هو افتراض مناسب بشكل مثالي .. لا أنكر ..

= هل فهمت الآن سرّ شعبية الفن السريالي ؟

= بالطبع .. **إنه الفسحة التي يعبر فيها اللاوعي عن نفسه بحرية كرسائل سماوية لنا ..**

= بالضبط .. أحسنت التلخيص و التشبيه ..

= لكن ما درجة سيطرة اللاوعي على وعينا سيدي ؟

= سيطرة أكبر و أخطر مما يعتقد كثير من البشر ، لكن المكان هنا غير مناسب للحديث فهو موضوع شائك و مطول ..

= أتحب أن نلتقي في أحد المقاهي مساءً كي نتابع هذا النقاش مع فنجان قهوة .. فلطالما أثار موضوع اللاوعي اهتمامي و فضولي و يبدو أنك تملك معلومات قيمة و مثيرة عنه ..

= و شيقة أيضاً .. لا مانع من اللقاء أبداً ، يناسبك موعد على الساعة السابعة في مقهى العرّاب ..

= مناسب تماماً ..

*****

اللاوعي .. العقل الباطن .. اللاشعور ..

مصطلحات كثيرة تدور في فلك مفهوم واحد و هو **الخلفية النفسية** للإنسان التي تحرك وعيه كرجل الدمى و بخيوط متينة للغاية لكنها غير مرئية، فتتحكم بأفكارنا و أقوالنا و افعالنا و قراراتنا ..

فهل هذه الفرضية حقيقة بالفعل ، أم أنها محض مغالطة جديدة ، و إن كانت صحيحة ، فإلى أي درجة يتحكم اللاوعي بالوعي و يملي قراراته عليه ؟!

هذا ما سنحاول معرفته عبر الصفحات التالية في محاولة متواضعة منا لرفع النقاب عن عالم اللاوعي الغامض و الساحر .. و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **6** زوايا هامة و شيقة تشتمل على :

① **نظرية جبل الجليد ..**

② **نظرية الصندوق الأسود ..**

③ **نظرية الدولة العميقة ..**

④ **كيف يعبر اللاوعي عن نفسه ؟ ..**

⑤ **السريالية ..**

⑥ **قوة الإيحاء (قانون الجذب) ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نمخر عباب محيط اللاوعي .. **بحر ظلمات النفس البشرية** لتشرق الحقيقة بوعي كامل عليه و نكتشف **عالماً جديداً من الحقائق المذهلة** ..

أولاً ، نظرية جبل الجليد:

هذه النظرية وضعها عالم النفس النمساوي **سيجموند فرويد** في النصف الأول من القرن **20** و تنص على

أن حجم تأثير الوعي و اللاوعي على النفس البشرية هو كجبل الجليد تماماً الذي يظهر جزء يسير منه فقط فوق سطح الماء و يمثل الوعي ، أما القسم الأكبر منه فيكون تحت سطح الماء و يجسد اللاوعي ..

و التحليل النفسي للإنسان يثبت بأن حجم تأثير اللاوعي مهول بالفعل على حياته و إن كنا لا نشعر به بوضوح ، بل إن الغالبية الساحقة من قراراتنا يتخذها العقل الباطن و ليس الوعي ..

ثانياً ، نظرية الصندوق الأسود:

تشبه هذه النظرية اللاوعي أو العقل الباطن بالصندوق الأسود للطائرات الذي يحمل تسجيلات لكل ما جرى

على سطح الطائرة خلال رحلتها ، كذلك العقل الباطن يحتوي على كل ذكريات الإنسان منذ ولد و كل المعارف و الخبرات التي اكتسبها و كل غرائزه المكبوتة أو مشاعره السلبية التي عانى منها ثم رماها إلى الحديقة الخلفية (اللاوعي) ، و كما أن الصندوق الأسود مفيد في حالات الكوارث الجوية لفهم أسبابها ..

كذلك يأتينا **التنويم المغناطيسي** أو **التحليل النفسي** بيد خبير مختص كي ينبش صندوق العقل الباطن و يخرج منه أسباب كثير من مخاوفنا أو تصرفاتنا غير المنطقية ، و كمثال معبر للغاية عن هذه الفكرة سنحكي قصة حقيقية عن طبيب عسكري عانى من فوبيا الأماكن المغلقة.. فكان يشعر بفزع شديد عندما يركب القطار، خصوصاً إذا مر من نفق أو توقف في داخله.. أما إذا كان مدعواً إلى حفل أو اجتماع فقد كان يحرص كل الحرص على البقاء قرب الباب، استعداداً للمغادرة في

أي لحظة، ناهيك بأنه كان مهتما بقراءة قصص المحبوسين وقصص الذين يدفنون أحياء.. وذات يوم تم استدعاء الطبيب للالتحاق بساحة المعركة بقصد تقديم العلاجات الأساسية لجرحى الحرب.. وبمجرد وصوله وجد الجنود مكدسين في الخندق، فبدأت مخاوفه من المكان المغلق، ومما عقد الأمر أكثر أنه أعطي فأساً لكي ينقذ نفسه في حال ردم عليه الخندق، مما زاد من قلقه، ولم يعد يحتمل الوضع إلى درجة أنه أصيب بشلل تام نقل على إثره إلى المستشفى، ليتبين أن شلله ليس عضوياً بل نفسياً .. وخضع لعلاج عند محلل نفسي لمدة طويلة.. وتمكن الطبيب من جعله يتذكر مجموعة من الأحداث المنسية، اعتماداً على التنويم المغناطيسي ، وتفكيك بعض الأحلام التي كان يرويها له أثناء العلاج ، وفي النهاية، وبعد طول عناء من الطبيب والمريض نفسه، تم التوصل إلى الحدث الأساسي الذي يقف خلف مخاوفه كلها ، فكان على الشكل التالي :

(كان هنالك في بلد المريض متجر لشيخ عجوز يبيع فيه الأغراض القديمة والمستعملة ، وكان الأطفال، بمن فيهم الطبيب المريض، يأخذون إليه كل شيء قديم حصلوا عليه مقابل دراهم معدودة تمكنهم من شراء الحلوى.. و قد تذكر الطبيب بالتنويم المغناطيسي أنه حين كان في الرابعة من عمره ذهب إلى المتجر لبيع بعض الأغراض، وعندما همّ بالعودة

وجد باب الممر المؤدي إلى بيته مغلقاً .. التفت إلى الجهة الأخرى فرأى كلبا ينبح عليه بوحشية ..

و قد تفاجأ الطبيب من تذكر ذلك فقد نسيه بالكامل.. ومع استمرار العلاج، حلم بأنه حصل على منحة للدراسة في اسكوتلندا.. وعندما استيقظ تذكر اسماً اسكوتلندياً وهو اسم صاحب ذلك المتجر.. وبهذا يكون الطبيب قد استعاد الحدث المؤلم بجميع تفاصيله، و بالمحصلة تمكن من الشفاء من فوبيا الأماكن المغلقة)

و كما نلاحظ عزيزي القارئ مشكلة نفسية تسببت في عرقلة الحياة الطبيعية لإنسان كان سببها الأساسي حادثة في العقل الباطن تعود لسنوات الطفولة الأولى ، مما يوضح أكثر تأثير هذا العقل على حياة البشر ..

ثالثاً ، نظرية الدولة العميقة :

الدولة العميقة مصطلح سياسي يقصد به وجود قوى عسكرية و سياسية خفية داخل الدولة ذات نفوذ كبير و تعمل في الظل لفرض توجه سياسي معين دون أن يشعر المواطنون بأي شيء ، و يشار إليها أيضاً بالدولة داخل الدولة .. و هذا المصطلح ينطبق تماماً على مفهوم العقل الباطن ، فالوعي هو الدولة ، و اللاوعي هو الدولة العميقة التي ترسم شكل الدولة الخارجي .. أما عناصر الدولة العميقة فهي كما أسلفنا منذ قليل :

- **الغرائز المكبوتة ..**
- **المخاوف ..**
- **المشاعر السلبية ..**
- **الذكريات ..**

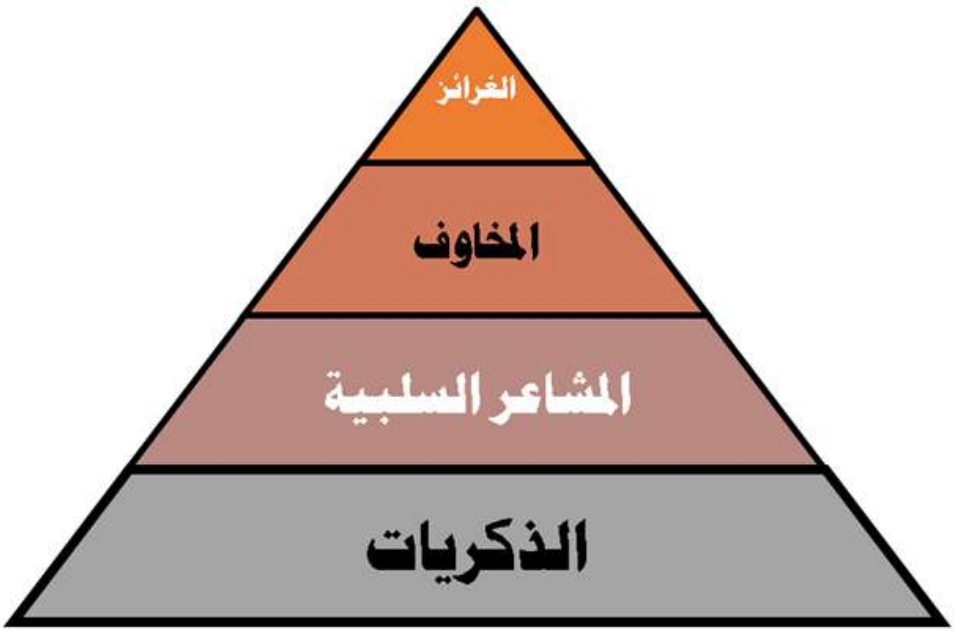

و هذا الرباعي هو من يحرك الوعي بخيوط غير مرئية و يضع لمساته الأخيرة على قراراتنا النهائية في حياتنا اليومية ..و تعتبر الغرائز هي الجنرال الذي يقود الدولة العميقة (العقل الباطن) كلها ..

رابعاً ، كيف يعبر اللاوعي عن نفسه ؟:

في الحقيقة اللاوعي يعبر عن مكنوناته بطرائق شتى و لعلّ أهمها :

❁ **الأحلام** : و هي الطريقة الأشيع و الأوسع و تشمل أحلام اليقظة و أحلام النوم و في كلتي الحالتين ينفك لجام العقل الباطن ليعدو بحرية و يعبّر عن نفسه كما يحلو له دون عوائق أو محظورات ..

❁ **الزلات و الهفوات** : سواء اللفظية منها أو الجسدية ، فكثيراً ما يقول المرء كلمات غريبة في موقف ما يكشف كثيراً من أسراره القابعة في لاوعيه ، و هذا هو التعبير الحرفي لمقولة :

(المرء مخبوء تحت لسانه)

❁ **الأفكار الطارئة** : التي يشبهها الناس بالمصباح الذي يضيء فوق رؤوسنا .. فما هذه الأفكار الطارئة سوى نتيجة نهائية لعملية معالجة مزمنة و طويلة للبيانات في عقلنا الباطن حتى توصّل بنهايتها إلى الحل أو الفكرة الجديدة الخلاقة ، و في قصص العباقرة خير دليل على هذه النقطة عندما استيقظوا ذات يوم من نومهم مذهولين و قد توصلوا لحل مسائل أو معضلات شائكة يفكرون بها منذ سنوات ،حتى تمكن أخيراً العقل الباطن في نومهم أن يحلها ..

❁ **الخيال** : فخيال الإنسان هو الحقل الذي يعدو فيه لاوعيه على هواه فيزور أماكن أو يلتقي أشخاص أو يقوم بأشياء كثيرة يحرّمها الوعي في الحالة الطبيعية

❁ **التنويم المغناطيسي** : و الذي شكل ثورة طبية في علم النفس ، عندما نحل لجام العقل الباطن و نسمح للاوعي بالتعبير عن نفسه بحرية كاملة ، كما لو كنا في جلسة استحضار أرواح ، لكننا هنا في جلسة استحضار بيانات الصندوق الأسود في أعماقنا بكل ما يحمله من ذكريات و مخاوف و غرائز مكبوتة

خامساً ، السريالية :

هي نوع من الفنون يعتبر سفير العقل الباطن إلى الوجود الظاهر، إذ يقوم بتجسيد أفكارنا اللاوعية (التي نصبح على تماس معها عبر الأحلام أو الزلات أو الأفكار الطارئة أو الخيال...) بطريقة فنية كلوحة أو قصيدة أو مقطوعة موسيقية أو منحوتة أو أي عمل فني آخر ليحتفظ بهذه التجارب اللاشعورية كتذكارات

عابرة للأجيال ، و كثيراً ما تبوح هذه الأعمال الفنية مع مرور الوقت بأسرار كبيرة و مذهلة ، كاكتشاف جديد يفسر مضمون لوحة ما أو اختراع تم ذكره في قصيدة قديمة و هكذا .. و قد اشتهر فنانون كثر بنمطهم السريالي و يعتبر عرابهم بلا منازع هو الرسام الإسباني الشهير **سلفادور دالي** الذي أتينا على ذكره في مقدمة مغالطتنا، و قد وصفه نقاد كثر بالفنان المجنون ، كون أغلب لوحاته تجسد أشياء غامضة و غريبة لا معنى واضح لها في واقعنا الملموس ..

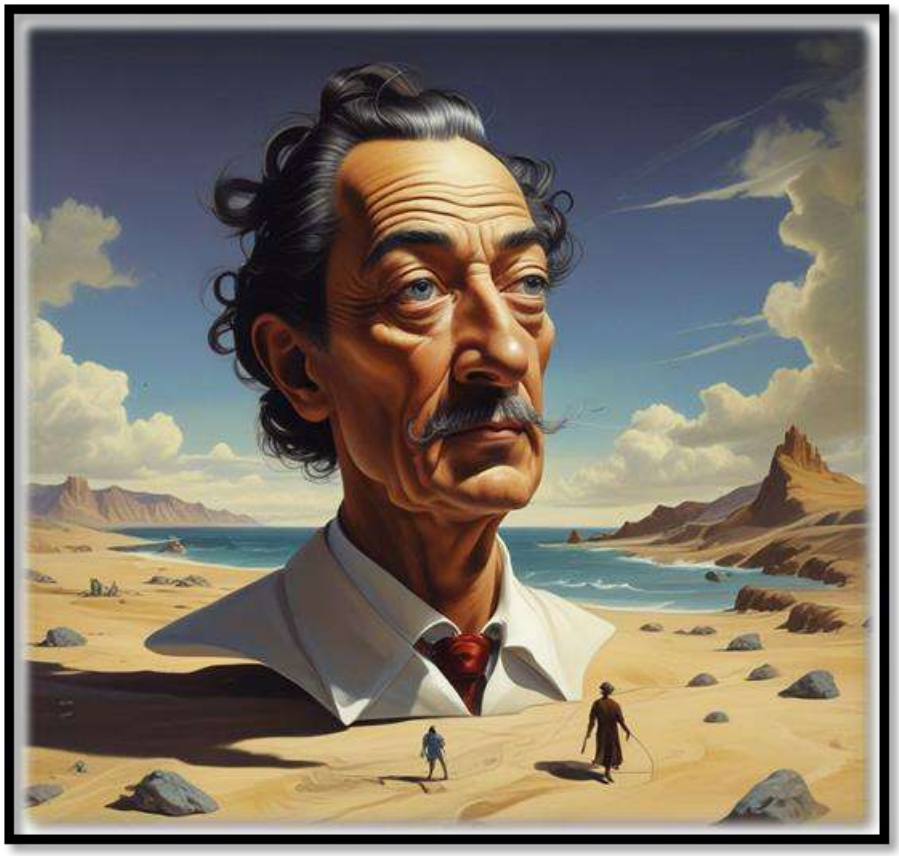

و كما يقال بين العبقرية و الجنون شعرة ، و **هذه الشعرة ببساطة هي التي تربط الوعي العاقل باللاوعي المجنون** ، لذا يقال عن أي شخص تأتيه حالة وجدانية

ينجز بها عمل فني مميز بأن شيطان العبقرية لبسه ، و هذا صحيح علمياً بالفعل ، إذ أن هذه اللحظة هي اللحظة التي يسلم فيها الوعي زمام القيادة للاوعي ليعبر عن نفسه كما يريد ، حتى أن كلمة عبقري في اللغة العربية يعود أصلها إلى مكان في شبه الجزيرة العربية يدعى **عبقر** و تقول الأسطورة أنها أرض سكنها الجن ، و كأن الإنسان العبقري يسيطر جني بالفعل على عقله فيمنح اللاوعي الحرية كي يبدع على هواه !!

سادساً ، **قوة الإيحاء** (**قانون الجذب**):

كما سبق و ناقشنا فإن مخزون عقلنا الباطن هو ما يحدد قرارتنا و أفعالنا و بالتالي نجاحاتنا بشكل عام مستقبلاً ، فإن كان هذا المخزون سلبياً كانت النتائج سلبية ، و إن كان إيجابياً كانت إيجابية ، و هذا ببساطة هو مفهوم قانون الجذب ، **أي أنك كما توحي لنفسك أن تكون ستكون** ، و هذا يؤكد بدوره قوة تأثير الإطراء الذاتي للمرء على نفسه ضمن حدود المعقول و تشجيع ذاته في تحقيق النجاحات ، كما يفسر تأثير الدعاء مثلاً على قدرنا المستقبلي .. لذا احرص عزيزي القارئ على ضخّ كل ما هو إيجابي إلى عقلك الباطن ، لأن ذلك بنفسه هو من سيتخذ قراراتك المستقبلية ، فإما أن تكون سلبية و انهزامية أو إيجابية و حماسية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مغالطة سريالية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا مسيطر على حياتي و قراراتي بكامل وعيي ..

بل أن نقول :

= تأثير اللاوعي على وعينا يشبه بنية جبل الجليد حيث يشكل الجزء البارز فوق الماء منه (الوعي) نسبة صغيرة فقط .. كذلك الحال يمكن تشبيه تأثير اللاوعي بالكون من حولنا .. فالنسبة الساحقة من الكون هو مادة مظلمة غير مرئية و مجهولة التكوين (العقل الباطن) في حين تشكل المجرات (الوعي) نسبة صغيرة من الكون .. لكن التأثير الأكبر هو للمادة المظلمة التي تحافظ على النسيج الكوني متماسكاً .. و بالتالي العقل الباطن هو المؤثر الأكبر على قراراتنا اليومية من أبسطها إلى المصيرية منها ، و لكل قرار منها أسباب عميقة تتنوع بين الغريزة و المخاوف و المشاعر السلبية و الذكريات و الخبرات ، و يقوم اللاوعي بمعالجة كل ذلك ليخرج بنتيجة معينة تدفعنا إلى اتخاذ قرار بعينه دون سواه ..

يقول شاعرنا السوري الكبير **نزار قباني** :

ذروة العقل يا حبيبي الجنون

و مما سبق و ناقشناه ، فهذا الكلام منطقي علمياً للغاية **فالجنون هو حالة اتحاد الوعي باللاوعي** و هو ذروة العقل بلا أدنى شك عندما نفهم الخلفية النفسية التي تؤثر على قراراتنا ، مما يمكننا من التحكم بها و توجيهها كما نريد بدلاً من توجيهنا هي كما تشاء ..

مغالطة أصغر من الذرّة

(بوزون هيغز)

تموز 2012..

= لماذا الناس كلها مشغولة للغاية بقصة الاكتشاف العلمي الحديث .. ؟

= تقصد بوزون هيجز ؟

= أجل ..

= لأنه فسّر أحد أكبر أسرار الحياة و الفيزياء ..

= أيّ سرّ تقصد ؟

= كيف تكتسب الأجسام كتلتها ؟

= و ما علاقة بوزون هيجز بذلك .. و ما معنى بوزون بالأساس ؟

= البوزون جسيم دون ذري ..

= كيف يعني ؟

= يعني أصغر من الذرة ..

= تقصد كالإلكترون ..

= بل أصغر .. أغلب الناس تتوقف معرفتهم عن الذرة عند حدود نواة من بروتون و نيترون و حولها تدور الكترونات .. أليس كذلك ؟

= هذا ما أعرفه ..

= الجسيمات دون الذرية هي الجسيمات التي تتكوّن

منها مكونات الذرة .. و هي الجسيمات التي لا يوجد أصغر منها في الكون .. و تعتبر البوزونات واحدة منها ..

= و البوزونات تكوّن الالكترون أم البروتون أم النيوترون ؟

= و لا واحد منها ..الجسيمات دون الذرية نوعان هما :

● الفرميونات : و هي المواد التي تكوّن البروتون و النيوترون و الالكترون ..

● البوزونات و هي ليست مادة بالمعنى الحرفي للكلمة بل هي حقول طاقة ..

= تقصد كالضوء ؟!

= أحسنت .. فالضوء مكون من الفوتونات و هي بوزونات بالفعل ..

= و بأي طاقة يرتبط بوزون هيجز ؟

= بوزونات هيجز تكوّن معاً ما يعرف **بحقل هيجز** الذي يمكنك القول أنه نسيج هذا الكون برمته .. أي أنه موجود في كل مكان حرفياً ، و هو الذي يعطي بقية الجسيمات كتلتها ..

= لم أفهم ؟

= سأبسط الموضوع أكثر لك .. تخيل أنّ حقل هيجز

هو حقل في الطبيعة مغطى بالثلج .. فكلما كان وزن الإنسان أكبر كان مشيه في الثلج أصعب .. صحيح ؟

= بلا شك ..

= و هكذا الجسيمات دون الذرية تتفاعل مع حقل هيجز بحسب حجمها و مقاومة حقل هيجز أو (الثلج) لها هو ببساطة كتلتها .. بينما إذا كان الإنسان خفيفاً جداً فإنه سيعبر الحقل بسلاسة كما لو أنه يتزلج فوق الثلج ، و هذا بالضبط ما يفعله الفوتون عديم الكتلة الذي يعبر حقل هيجز بسلاسة بدون أن يتفاعل معه .. و هكذا كل

جسيم في هذا الكون يتفاعل مع حقل هيجز ليكتسب كتلته من مقاومة الحقل له ..

= فهمت .. لكن ما دور بوزون هيجز في هذا الحقل ؟

= بوزونات هيجز هي رقائق الثلج في الحقل ، أي المكونات الأساسية للحقل ..

= نظرية غريبة للغاية !! لكن كيف أثبتها العلماء ؟

= ببساطة قام العلماء بتحريض اصطدام عنيف بين بروتونات مسرعة في أنبوب مخصص لذلك في **مختبر سيرن** في سويسرا مما نتج عنه ظروف تماثل الانفجار العظيم للكون على مستوى مصغر، والتي يُعتقد أن بوزونات هيجز تكونت عندها في أجزاء صغيرة للغاية من الثانية الأولى عقب الانفجار .. و هذا ما يحققه تصادم البروتونات في مختبر سيرن بالفعل ..

= و هل تم إثبات تشكل بوزون هيجز ؟!

= بالطبع .. و هذا هو سر احتفال العلماء بهذا الاكتشاف العلمي الضخم ..

= و لماذا يسمى بوزون هيجز ؟

= نسبةً للفيزيائي الإسكتلندي **بيتر هيغز** الذي تنبأ بوجود هذا البوزون عام **1964** .. و لا شك أنه سينال جائزة نوبل بعد تأكد تنبؤه على أرض الواقع ..

= قصة غريبة بالفعل !! كنت أخال الذرة عبارة عن

نواة تدور في فلكها الالكترونات لا غير ..

= هذا الوصف المبسط هو البوابة التي يدخل منها الإنسان إلى ميكانيكا الكم المدهش الذي لا حدود لإذهاله ..

= و ما قصة ميكانيكا الكم هذه ؟

= هذه حكاية مطولة .. تعال لأقصها عليك باختصار

*****

يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتابٍ مبين)

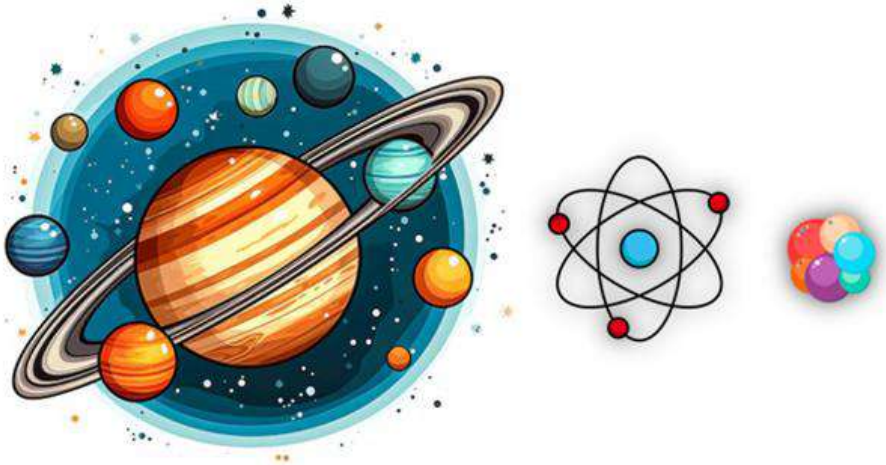

هذه الآية العظيمة التي أخبرنا فيها البارئ عن وجود جسيمات أصغر من الذرة في الكون ، في حين كان

يضرب المثل في الذرة وقتها بأنها أصغر جزء من المادة .. و لا يزال أغلب البشر حتى يومنا هذا يؤمن بذلك أو على الأقل يؤمن بأن الذرة عبارة عن نواة مكونة من بروتونات موجبة و نيوترونات معتدلة و تدور في فلكها الكترونات سالبة ..

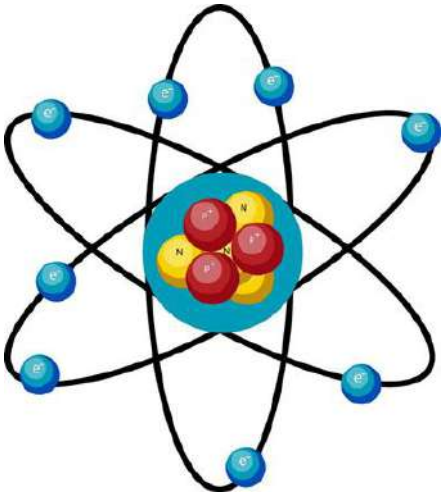

و لا تزال هذه الصورة النمطية عن الذرة شائعة عند أغلب البشر كمغالطة حقيقية قي القرن **21** مع ما بلغه العلم من تطور .. لذا و خلال الصفحات التالية سنعمل على تصويب هذه المغالطة للضرورة العلمية بشرح مبسط لعامة الناس عن **العالم دون الذري** و ذلك بمقاربته من **4** زوايا هامة للغاية :

① **الجسيمات دون الذرية ..**

② **القوى الأربعة الأساسية في الكون ..**

③ **مختبر سيرن ..**

④ **ميكانيكا الكم ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ في مغامرة فيزيائية شيقة ..

أولاً ، الجسيمات دون الذرية:

إن أصغر جسيمات الكون التي لا يمكن أن تتفكك إلى جسيمات أصغر هي :

❁ **الفرميونات** : و لها نوعان :

- **كواركات** : و لها بدورها **6** أنواع (علوي و سفلي و قمي و قعري و ساحر و غريب) ، و منها يتكون البروتون و النيوترون ..
- **ليبتونات** : و لها **3** أنواع رئيسية (الكترون و ميون و تاو) ..

❁ **البوزونات** : و لها **5** أنواع (هيجز و فوتون و غلوون و **W** و**Z**) إضافة إلى بوزون غرافيتون الذي لم يثبت وجوده عملياً بعد ..

و **الفرميونات** جسيمات قد تحمل شحنة و لها كتلة و تدور أما **البوزونات** فهي حوامل طاقة بين الفرميونات تشكل وسيطاً للقوى الرئيسية في الكون التي تمثل علاقة الفرميونات ببعضها .. علماً أن كثيراً من الجسيمات دون الذرية هي جسيمات مؤقتة تحدث خلال العمليات الإشعاعية أو الانشطارية و تدوم لأجزاء من الثانية ثم تختفي بعدها .. و بعضها فقط مستقر بشكل

دائم كحال البروتون و النيوترون والالكترون و الفوتون مثلاً ..

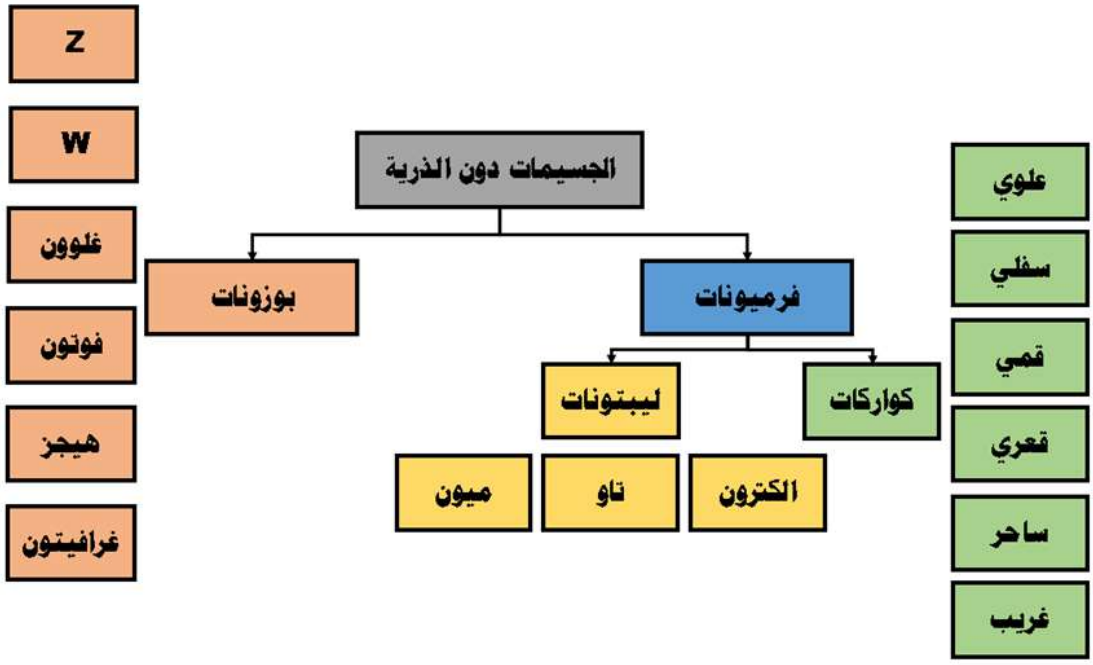

ثانياً ، القوى الأربعة الأساسية في الكون:

الكون برمته تحكمه **4** قوى لا غير و هي :

❁ **قوة الجاذبية** : و هي التي نشعر بها جميعنا، و التي من آثارها أنها تجذبنا وتجذب كل الأجسام من حولنا نحو الأرض، و هي القوة الأضعف بين القوى الأربعة .. و حامل الطاقة فيها هو **الغرافيتون** و هو بوزون مفترض وجوده نظرياً لكنه لم يثبت عملياً بعد ، كما كان حال بوزون هيجز حتى وقت قريب ..

❁ **القوة الكهرومغناطيسية** : هي القوى التي تتجاذب بسببها الأجسام ذوات الشحنات الكهربائية المختلفة، وتتنافر الأجسام ذوات الشحنات الكهربائية المتماثلة،

وهذه القوة موجودة على مستوى الذرات .. و حامل الطاقة فيها هو **الفوتون** ..

❁ **القوة النووية الكبرى** : هي القوة التي تمسك البروتونات الموجودة في نواة الذرة فتضم بعضها إلى بعض لتبقى متماسكة ملتصقة، وهي بالتأكيد أكبر من القوة الكهرومغناطيسية وإلا لما تمكنت من التغلب عليها، و لتنافرت البروتونات وابتعدت عن بعضها .. و حامل الطاقة فيها هو **الغلوون** ..

❁ **القوة النووية الصغرى** : هي القوّة المسؤولة عن الاضمحلال الإشعاعي والانشطار النووي للجسيمات دون الذرية .. و حامل الطاقة فيها هي بوزونات **W** و**Z** ..

ثالثاً ، مختبر سيرن :

المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية أو ما تعرف اختصاراً «سيرن»، هي أضخم مختبر لفيزياء الجسيمات بالعالم ، أنشئ عام **1954** شمال غربي مدينة **جنيف** على الحدود بين سويسرا وفرنسا، و يحتوي على أكبر مسرّع للجسيمات في العالم (**مصادم**

الهدرونات العظيم)، الذي تم تركيبه في نفق دائري طول محيطه **27** كم على عمق أكثر من **100** متر تحت الأرض..

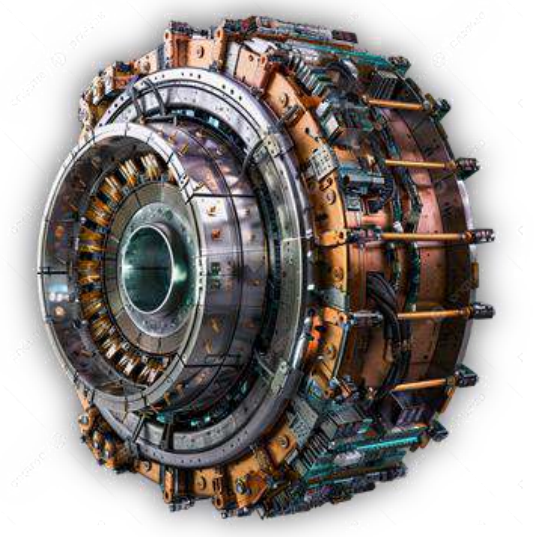

و فيه يتم إطلاق جسيمات دون ذرية كي تصطدم ببعضها بقوة هائلة كمحاكاة للحظات الأولى من الانفجار العظيم بغية رصد الجسيمات الأولية الناتجة عن الاصطدام عبر كاميرات مخصصة لهذه الغاية ..

و قد تمكن العلماء بفضله من اكتشاف جسيمات أولية كثيرة مثل بوزونات **W** و **Z** و بوزون هيجز و غيرها

، كما أثبتت بفضله نظريات فيزيائية كثيرة لأول مرة عملياً ..

رابعاً ، ميكانيكا الكم :

يمكن تقسيم الميكانيا أو علم الحركة إلى **3** أقسام أساسية تبعاً لحجم الأجسام التي تدرسها ، و هي :

① **الميكانيكا الكلاسيكية : و تعنى بحركة الأجسام على سطح كوكب الأرض كالصخور و المركبات و الإنسان و غيرها.. و عرابها هو إسحق نيوتن ..**

② **الميكانيكا النسبية : و تعنى بحركة الأجرام السماوية كالنجوم و المجرات و الثقوب السوداء و غيرها.. و عرابها هو ألبرت أينشتاين ..**

③ **ميكانيكا الكم : و تعنى بحركة الجسيمات دون الذرية كالالكترونات و البروتونات و غيرها .. و عرابها هو ماكس بلانك و نيلز بور ..**

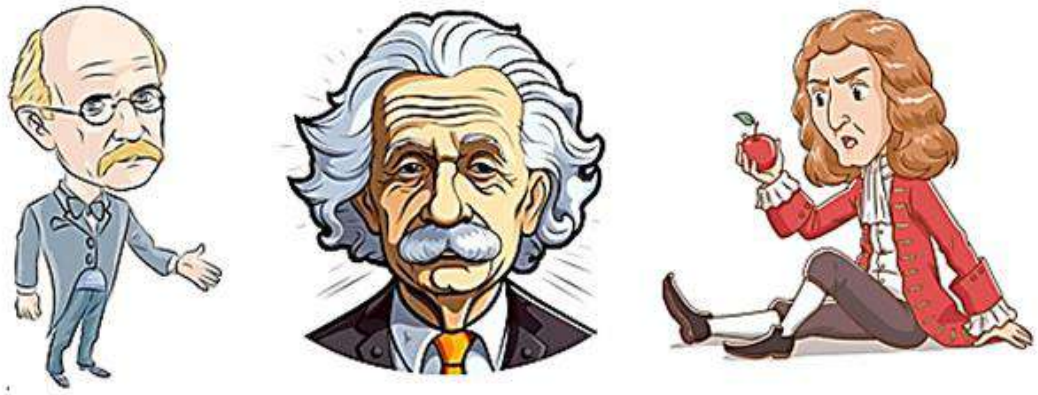

علماً أن قوانين كل ميكانيكا منها غير قابلة للتطبيق

بدقة على الأجسام خارج نطاق اختصاصها ، فنظرية النسبية لأينشتاين لا تفسر الظواهر دون الذرية ، و قوانين نيوتن الكلاسيكية لا تفسر الظواهر الفلكية و هكذا ..

❁ تاريخ ميكانيكا الكم :

بدأت ميكانيكا الكم على يد العالم **ماكس بلانك** في عام **1900**، ثم تبعه علماء آخرون مثل ألبرت أينشتاين و نيلز بور، الذين ساهموا بتطوير هذه النظرية وتوسيع نطاق تطبيقاتها.. علماً أن أغلب العلماء الذين حاولوا إثبات صحتها حاولوا بنفس الوقت إثبات بطلانها ، كونها فيزياء عجيبة بقوانين غريبة للغاية يستهجنها العقل البشري ، حتى أننا نجد عرّاب ميكانيكا الكم **نيلز بور** يقول:

(إذا قرأت ميكانيكا الكم ولم تشعر بشيء من الغرابة، فإنك حتماً لم تفهمها!)

وقال عالِم الفيزياء المميز **ريتشارد فاينمان** بدوره:

(ميكانيكا الكم هي النظرية التي يستخدمها الجميع ولا يفهمها أحد على الإطلاق)

وقال **إرفين شرودينغر**، الذي وضع المعادلة الأساسية لميكانيكا الكم :

(إنني لا أحب هذه النظرية، وأنا آسف لأنني قد أسهمت بها)

فميكانيكا الكم ليست علم العامة بل علم خاصة العلماء ، فحتى العلماء لم يستطيعوا استيعابها دفعة واحدة ولكن تم استيعابها في دفعات كمية .. ففي ميكانيكا الكم مثلاً يمكن لشيء أن يوجد في مكانين معاً في آن واحد ، ويمكن أن تكون حياً وميتاً في آنٍ معاً كحال قطة شرودينغر الشهيرة ..

و أشهر مثال لميكانيكا الكم هو وجود الالكترون حول النواة فهو موجود في كل مكان في نفس الوقت ولذلك لا يوجد مكان محدد للإلكترون ولكن يوجد سحابة

الكترونية يتواجد في أي مكان فيها في أي لحظة ..

❁ أسس ميكانيكا الكم :

تقوم ميكانيكا الكم على عدة مبادئ أساسية غريبة للغاية و حيرت أكبر العقول، نذكر منها:

- **التكميم** : حيث تقتصر القيم الفيزيائية مثل قيم الطاقة على قيم محددة و غير عشوائية أبداً .. فمثلاً الالكترون يتخذ مدارات محددة حول النواة بحسب طاقته و لا تجده في الفراغات بينها ..
- **التشابك الكمي** : فصل جسيمين مقترنين عن بعضهما لمسافات شاسعة لا يلغي اقترانهما ، فإن تغيرت مثلاً جهة دوران أحدهما ستتغير جهة دوران الآخر ..

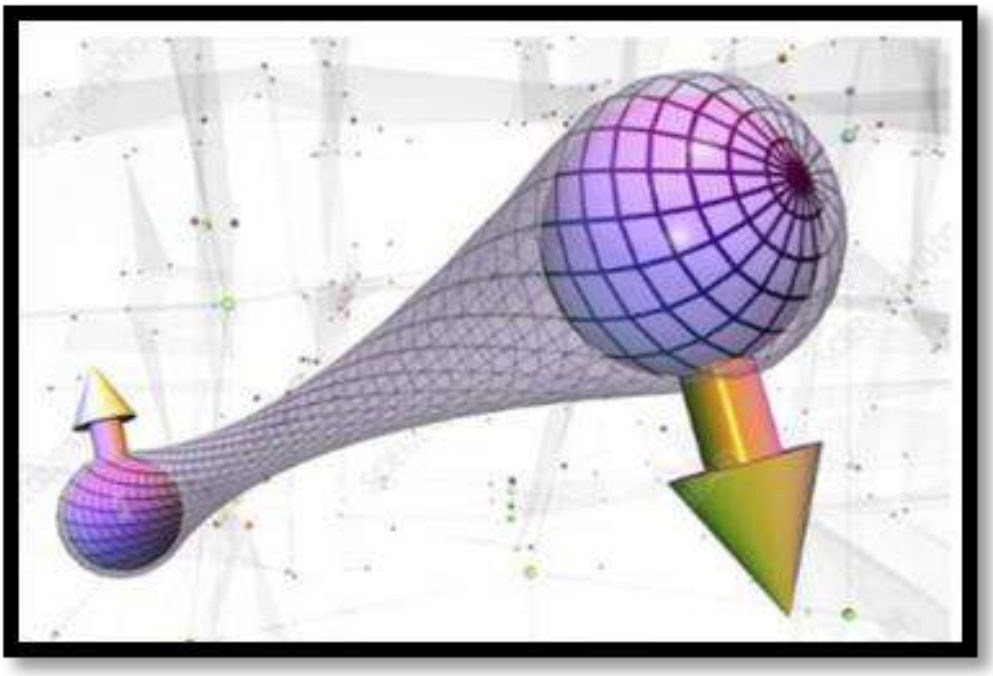

- **ازدواجية الموجة والجسيم** : تشير إلى أن الجسيمات

مثل الإلكترونات تظهر خصائص كل من الجسيمات والموجات، مما يعني أنها يمكن أن تتصرف كموجات في بعض الظروف وكجسيمات في ظروف أخرى .. و هذا ما أثبتته **تجربة الشق المزدوج ليونغ** ..

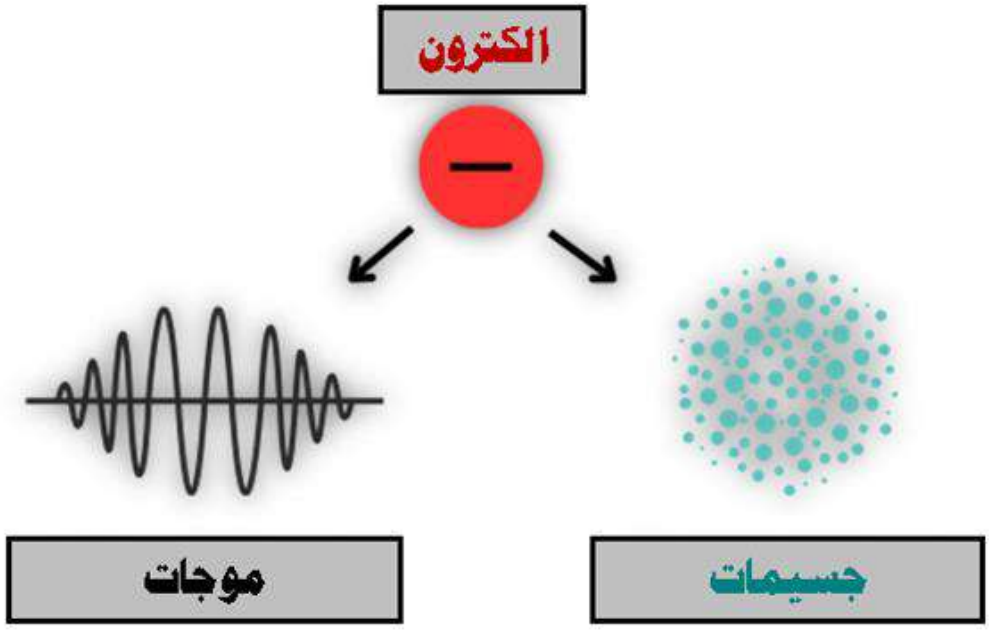

● **مبدأ عدم اليقين**: الذي ينص على أنه من المستحيل قياس موقع و زخم الجسيم بدقة في نفس الوقت، مما يؤدي إلى عدم القدرة على التنبؤ الدقيق بسلوك الأنظمة الكمومية كمثال الالكترون ذاته ..

❁ تطبيقات ميكانيكا الكم :

تستخدم ميكانيكا الكم في العديد من التطبيقات التكنولوجية الحديثة، بما في ذلك:

● **تفاصيل في حياتنا اليومية :** كالليزر و التصوير الشعاعي الطبي و الألواح الشمسية و ليدات الإضاءة و المجهر الالكتروني و الأجهزة الإلكترونية كالحواسيب

والهواتف الذكية، حيث تعتمد على فهم سلوك الإلكترونات و خصائصها الكمومية .. و غيرها كثير من التطبيقات التي نستعملها يومياً ..

- **محاكاة الانفجار العظيم**: في مختبرات سيرن و بالتالي معرفة سير تطور المادة و الكون بشكل عام ..
- **دراسة ظواهر فلكية عن قرب**: كمحاولة توليد ثقب أسود صغير في مختبرات سيرن أيضاً .. و ربما لاحقاً توليد ظواهر فلكية أخرى كثيرة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الشائعة بين الناس (**مغالطة أصغر من الذرة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الذرة هي أصغر جسيم في الكون كما نعرف ..

بل أن نقول :

= هنالك عالم كامل داخل الذرة مؤلف من جسيمات دون ذرية يحيط بها علم ميكانيكا الكم الذي لا ينفك يذهلنا يوماً بعد يوم .. و علينا تماشياً مع تطور القرن **21** أن نكون على اطلاع على أسس هذا العلم كي نواكب أحدث الاكتشافات حول العالم .. و ربما وجدت عزيزي القارئ فهم بعض نقاط هذه المغالطة عسيراً عليك و هذا شيء طبيعي تماماً ، لأن الفهم الكامل لميكانيا الكم و العالم دون الذري بحاجة للإحاطة بقوانين و مصطلحات شائكة للغاية و يختص بها الخبراء في هذا المجال ، لكن المؤكد أنك بعد قراءة هذه المغالطة أصبحت على علم بأساسيات هذه الفيزياء و جسيماتها كي تبقى على تواصل مع آخر صيحات العلم في مجالها ، لننتقل من العهد القديم (الذرة أصغر مكونات المادة) إلى العهد الجديد (الجسيمات دون الذرية و قوانين الكم بينها) ..

في القرآن الكريم ذكر لميكانيكا الكم قبل اكتشافها بأكثر من **1400** عام .. في الآية التي تقول :

(قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك و إني عليه لقويّ أمين *

قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي)

فمن تطبيقات ميكانيكا الكم هو النقل ، وهو نقل شيء من مكان الى مكان آخر في نفس اللحظة دون أن ينتقل عبر الفضاء في سفر إلى المكان الآخر بأي وسيلة معروفة ..

فمثلا إذا نقلنا ذرة من النقطه **A** إلى النقطة **B** بدون أسلاك أو أي وسيلة مواصلات أو كهرباء أو غيرها

فهذا انتقال آني ..

وخلافاً لما هو شائع أنّ الانتقال يعني أن يترك الشيء المكان إلى مكان آخر ، فهذا ليس حقيقياً بل إنّ الشيء يتواجد في المكان الآخر دون أن يترك المكان الذي يوجد أصلاً فيه وكأنه يطبع في المكان الثاني .

ويتم النقل باستخدام قناة ناقلة من الطاقة تسمى **قناة الكوانتم** ، تماماً كما تنسخ و تلصق ملفات على حاسوبك..

و عندما قام رجل مؤمن عنده علمٌ من الكتاب (يقصد بذلك علم الكتاب السماوي الأشمل الذي اطلع على جزء يسير منه بهبة ربانية) و قال للنبي سليمان أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن يرتد اليك طرفك وكان أفضل من الجني الذي قال أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك .. فربما تم ذلك دون أن يغادر عرش بلقيس مكانه ولم ينتقل بنفسه إلى مملكة سليمان بل انتقلت نسخه من جزيئاته آنياً من سبأ إلى مملكة سليمان ، وبذلك أصبح عرش بلقيس موجوداً في مكانين في وقت واحد .. عبر خواص التشابك الكمي و قناة الكوانتم .. و لعلّ هذا أول ذكر لميكانيكا الكم والتشابك الكمي في القرآن قبل قرون طويلة من ولادته في أوروبا .. !!

مغالطة قمر 14

(الدورة الشهرية و الدورة القمرية)

= مبارك لك خطوبتك يا صديقي ..

= أشكرك ..

= و من هي خطيبتك ؟

= فتاة تخرجت من كلية علم النفس .. جميلة كالقمر في كبد ليلة صيفية ..

= أحسنت الاختيار .. لكن لماذا لا تقول جميلة كالشمس في وضح النهار ؟ ..

= لأن هذا ما يشيع استخدامه بين الناس منذ قديم الزمان ، يقال عن الأنثى الجميلة بأنها قمر **14** أي كالبدر المكتمل .. فالقمر يرمز إلى الجمال و الرومانسية و

الهدوء و الطاعة و السكينة .. و كلها صفات تختص بها الأنثى كما تعرف ..

= محق ..

= بل إن كلمة قمر باللغة العربية الفصحى هي كلمة مؤنثة بالأساس .. كحال كلمة ليلة .. أما النهار فهو مذكر كوضوحه ..

= يبدو أنك على دراية جيدة بهذا الشأن ؟

= بالفعل ، لقد سبق لي أن فكرت بهذه النقطة منذ سنوات ، أيهما يمثل الذكر و الأنثى ، الشمس أم القمر ، الليل أم النهار ؟

= و إلامَ توصلت ..؟!

= إلى حقائق مذهلة لا تقبل الشك ..

= من قبيل ماذا ؟

= تعال لأقص عليك أكثر حكاية القمر الأنثى في ليلة رومانسية حالمة ..

*****

كثيراً ما احتدم النقاش بين الناس حول الطبيعة الفلسفية لكل من الشمس و القمر ، و أي منهما يرمز إلى الذكورة و أيهما إلى الأنوثة ؟.. ففي حين أن كلمة قمر مؤنثة و الشمس مذكرة في أغلب اللغات ، يميل أغلب العرب إلى الاقتناع بأن العكس صحيح في اللغة العربية

، رغم أن ذلك خاطئ تماماً.. لتكون ظنونهم هذه مجرد مغالطة جديدة تبحث عن هويتها بين الذكورة و الأنوثة

لماذا ظنونهم هذه خاطئة ؟ تعال عزيزي القارئ لنتقارب مغالطتنا القادمة (**قمر 14**) من عدة نقاط توضح الحقيقة أكثر بالعلم و الأرقام و البراهين :

① **الدورة الشهرية** : لا يخفَ على أحد درجة التشابه و الارتباط العجيب و الوثيق بين الدورة القمرية و الدورة الشهرية عند الأنثى ، فكما أن القمر يبدأ كمحاق ثم يتطور كهلال يكبر تدريجياً حتى يصبح بدراً ثم يتناقص تدريجياً ليعود هلال في محاق من جديد ، كذلك جسد الأنثى يمر بتغيرات فيزيولوجيا خلال الدورة التي توازي تماماً الدورة القمرية فتنمو بطانة الرحم تدريجياً حتى منتصف الدورة (القمر المكتمل) حيث

تحدث الإباضة التي تنبثق فيها البويضة (القمر) من المبيض ثم تتراجع البطانة تدريجياً بعدها لتنسلخ كلياً في نهاية الدورة فيما يعرف علمياً بدماء الطمث و دينياً بالحيض .. لذلك نجد ارتباطات دموية كثير بالقمر كحالة القمر الدموي الفريدة و دراكولا مصاص الدماء و الخفافيش مصاصة الدماء التي تنشط ليلاً فقط ، و المستذئب الذي يشرب من دماء الآخرين !!

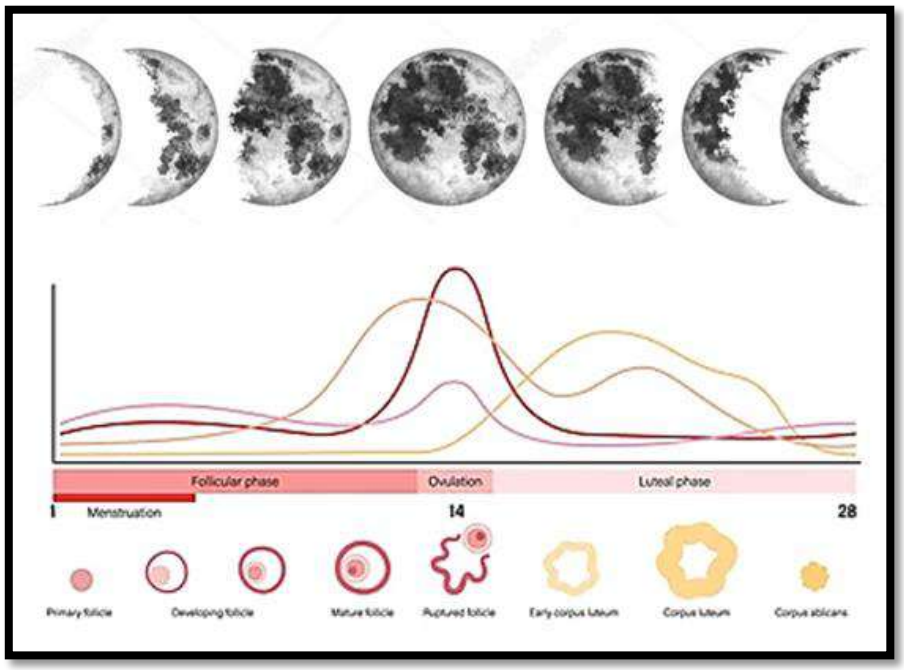

ربما لا يزال العلم يجهل تأثير الدورة القمرية بدقة على جسد الأنثى لكن مما لا شك فيه أن هذا التشابه و التطابق ليس عبثياً على الإطلاق و كأن ما يمر به القمر في دورته تمر به الأنثى في جسدها..!!

② **المعطي و الآخذ** : بالعلم يوصف الذكر بأنه المعطي الإيجابي و الأنثى بأنها المتقبل السلبي .. و هذا واضح للغاية في العملية الجنسية حيث يمثل الذكر

الجزء المانح لماء الحياة (النطاف) و الأنثى المتقبل له في رحمها .. و على هذا المنوال نجد أن الشمس تمثل الذكر فلسفياً فهي من يمنح الضوء للقمر المتلقي الذي يمثل الأنثى .. تماماً كالذرة ، فنواتها موجبة الشحنة أما الالكترونات التي تدور في فلكها فسالبة الشحنة ..

③ **الرجال قوامون على النساء** : أما في الدين فيوصف الذكر بأنه قوام على الأنثى أي أنه مسؤول عن حمايتها و الإنفاق عليها .. تماماً كما تفعل الشمس مع القمر بمنحه النور ، فهو من دون ذلك كتلة حجرية صماء لا تفيد و لا تضر ، أي بلا حول و لا قوة ..

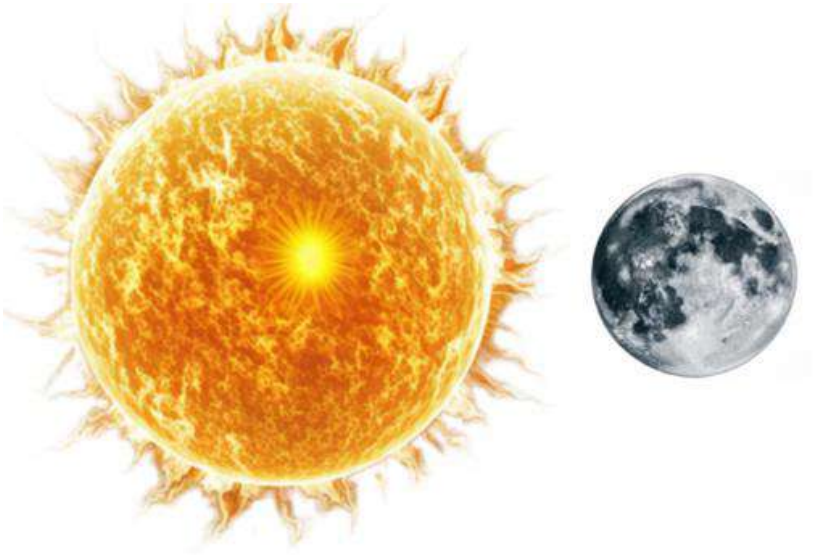

④ **تقلب المزاج و المد و الجزر** : من الأمور المشتركة على نحو مذهل أيضاً بين القمر و الأنثى هو تبدل الحالة المزاجية تبعاً للتغيرات الهرمونية المرتبطة بالدورة الطمثية أيضاً ، فتجد مزاج الأنثى يتأرجح بين مد و جزر تماماً كما ترتبط ظاهرة المد و الجزر بالقمر فعلياً على أرض الواقع !!

⑤ **الوضوح** و **الضبابية** : يقول الفنان اللبناني المبدع **زياد الرحباني** في وصف عقلية الأنثى : (**يا عمي المرأة نفسية بقلب نفسية بقلب نفسية كالخسة تماماً**) ، و في الحقيقة هذا الكلام فيه كثير من الصحة ، فالمرآة صعبة الفهم كثيراً ، و أحياناً هي لا تعرف ما الذي تريده بالضبط كي يفهم الذكر عليها بالأساس ، أو كما يقال في التراث :

(لو اجتمع كل فلاسفة التاريخ كي يفهموا الأنثى لعجزوا عن فعل ذلك)

و هذا مرتبط بدوره بالتغيرات الهرمونية خلال الشهر كتغيرات القمر تماماً ، لذلك يوصف النهار و الشمس بأنهما واضحين للغاية بلا التباس ، أما الليلة و القمر فيوصفان بالظلمة و الحالة المبهمة .. فالرجل براغماتي بطبعه أما المرأة فمتقلبة الرأي و حالمة بتكوينها ..

⑥ **وجهة نظر رومانسية** : كما سبق و أشرنا المرأة ذات صلة وثيقة بالحب و الرومانسية كالقمر تماماً في ليلة حالمة ، و الأنثى تشبه القمر بهدوئه و سكينته و طاعته للشمس و وجهه الجميل ، لذا نجد تشبيه الأنثى بالقمر هو الطابع الغالب على الشعر و الأغاني في

جميع الثقافات و الحضارات ، فنجد **عنترة** مثلاً ينشد :

و بدت فقلت البدرُ ليلةَ تمه

كما نجد **ابن زيدون** ينشد :

ما جالَ بَعدكَ لَحظي في سَنا القَمَرِ

إلّا ذَكَرتُكِ ذِكرَ العَينِ بِالأَثَرِ

و يقول **المتنبي** :

كَشَفَت ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعرِها

في لَيلَةٍ فَأَرَت لَيالِيَ أَربَعا

وَاستَقبَلَت قَمَرَ السَماءِ بِوَجهِها

فَأَرَتنِيَ القَمَرَينِ في وَقتٍ مَعا

أما **بدوي الجبل** فيشدو بقوله :

هات حدِّثني فقد طابَ السَّمر

وأنِرْ ظلمةَ نفسي يا قمرْ

سُوَرَ الحُسن فلا تبخل بها

إنَّ للشاعر ألحانَ السُّوَرْ

فالقمر ينضح أنوثةً مما جعله ملهم الشعراء و الفنانين عبر العصور ..

⑦ **الشرق و الغرب** : الشرق و القمر هما مفهومان مرتبطان بالشمس حصراً ، فنجد الشمس في الشرق تارةً و في الغرب تارةً أخرى .. أما القمر فهو لا شرقي و لا غربي و لا علاقة له بالجغرافيا من الأساس ، بل يتغزل كل من الشرق و الغرب بجماله و حياديته بعدم انحيازه لأي جانب من العالم ، إذ يلقي بظلاله على الجميع كالأم التي تحتضن جميع أبنائها و لا تميز بينهم على الإطلاق ..

⑧ **آلهة القدماء** : لقد فهمت الحضارات القديمة فكرة الذكر المعطي كالشمس و القمر المتقبل كالأنثى منذ

بدء الحياة ، لذا نجد أن كبير الآلهة لديهم هو ذكر دائماً و يمثل إله الشمس كحال **رع** عند الفراعنة و **سول إنفيكتوس** عند الرومان ، **و أوتو** عند السومريين و البابليين و الآشوريين و **هيليوس** عند الإغريق ، أما القمر فيمثل الخصوبة و يمثل بإلهة أنثى كحال الإلهة **إيزيس** عند الفراعنة و الإلهة **لونا** عند الرومان و الإلهة **نانا** عند السومريين و البابليين و الآشوريين و الإلهة **سيلين** عند الإغريق .. أي أن جميع الحضارات البشرية آمنت يقيناً بأن الشمس رمز للذكورة التي تحكم العالم ، و القمر رمز للأنوثة التي تساعده في ذلك .. لذلك نجد في الغالبية الساحقة من اللغات العالمية أن كلمة شمس مذكرة و كلمة قمر مؤنثة .. بل إن آلهة القمر عند بعض الحضارات أصبحت نفسها معنى كلمة قمر في كثير من اللغات كحال لونا و سيلين و غيرها ..

⑧ **حب الكلام الزائد** : معروف حول العالم عن الأنثى بأنها تحب الكلام بكثرة و خير دليل على ذلك صبحية الجارات اللاتي يتناولن فيها تفاصيل التفاصيل في الحي برمته .. و هذا يذكرنا بحفلات السمر في الليلالي تحت ضوء القمر .. أما الشمس و النهار فيقترنان بالعمل الجادّ بعيداً عن الكلام .. فالقمر إذن مرتبط بالأحاديث و القيل و القال ، أما الشمس فترتبط بالفعل و الإنجاز أكثر ، فالنهار للعمل و الليل للراحة و الأحاديث التي لا تنتهي ..

و باجتماع البنود السابقة معاً إضافةً إلى بنود أخرى كثيرة لم نتطرق لها تجنباً للإطالة ، نجد أن تشبيه الأنثى الجميلة بقمر **14** أمر منطقي له ما يبرره فلسفياً و علمياً و دينياً و رومانسياً و جمالياً و تاريخياً .. فالموضوع ليس اعتباطياً على الإطلاق .. بل إن جسد

الأنثى بحد ذاته يمر بنفس المراحل التي يمر بها القمر شهراً بشهر ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**قمر 14**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= نقول عن الشمس بأنها هي ، و عن القمر بأنه هو ، و هذا يثبت أنوثة الشمس و ذكورة القمر ..

بل أن نقول :

= هذا خطأ شائع ، و الإبل لا تورد هكذا ، فالقمر كلمة مؤنثة في الغالبية الساحقة من لغات العالم ، بل تمثل حرفياً أسماء آلهة القمر الأنثوية في مختلف الحضارات القديمة .. و في دورة القمر الشهرية و دورة الأنثى الشهرية خير دليل على التطابق اللصيق بينهما ، إضافة إلى تغيرات المزاج الهرمونية بين مد و جزر كتأثيرات القمر ذاتها ، و الأهم بأن الشمس تمثل المانح للضوء و القمر المتلقي له و هذا بالعلم و اللغة يفترض أن يكون المانح ذكراً و المتلقي أنثى ، و القمر بدون الشمس كائن ضعيف بلا حول و لا قوة ، لا يستطيع إضاءة نفسه كي يضيء على غيره بالأساس ..

كان البابليون يعتقدون أنّ القمر ذو علاقة وثيقة بالإلهة عشتار و بأن دورته مقترنة بدورة حيضها لذا

كانوا يربطونه باستراحتها من كل أعمالها ، و من هذا المنطلق ربط تمام القمر لديهم بمجموعة من المحرمات ، كالشروع في السفر و أكل الطعام المطبوخ و إشعال النار ... و هي نفس الأمور التي تستريح منها المرأة الحائض ، و قد دُعي هذا اليوم بيوم (سباتو) اي يوم الراحة.. و كانوا يحتفلون به في كل ربع من أرباع الشهر القمري ..

و عنهم اخذ اليهود هذه العادة من ايام السبي البابلي فجعلوا يوم السبت يوم راحة (لاحظ أن اسم السبت جاء من سباتو) ، حيث استراح الرب من عناء الخلق و دعوا ذلك اليوم بيوم (السبات) و فرضوا على انفسهم فيه محرمات مشابهة ما زالت تسيطر على سلوكهم حتى اليوم !!

و لا يخفى عنا أن كلمة سبات موجودة حتى يومنا هذا في اللغة العربية ايضاً و هي تأتي بمعنى الراحة او هي حالة يكون فيها الكائن في حالة السكون .. كانت تجسيداً للقمر الجميل الذي يوافق تمامه كبدر حدوث الإباضة أي (الخصوبة) عند الأنثى تشريحياً و فيزيولوجياً .. لذلك لا عجب أن لتكون عشتار هي ربة الجمال و الخصوبة عند بلاد الشام و بلاد ما بين النهرين قديماً !!!

ما سبق و قاربناه في هذه المغالطة هو التمييز بين الشمس و القمر فلسفياً .. أما من حيث الأسماء فالقمر مؤنث و الشمس مذكر بأغلب لغات العالم ، أما في اللغة العربية فالبعض يقول بأن القمر مؤنث و البعض يقول بأنه مذكر و مؤنثه قمرة ، أما الشمس في اللغة العربية فهي كلمة مذكرة و مؤنثة معاً و يمكن إطلاقها على الجنسين إذ لا مؤنث لها ،كما قال النبي إبراهيم في الذكر الحكيم :

(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ)

، أما من حيث الشكل البشري فنجد لعبة تبادل أدوار بين الشمس و القمر (الذهب الأشقر و الفضة السمراء) فنجد شموساً تعشق أقماراً و أقماراً تهوى شموساً و أيضاً شموساً مع شموس و أقماراً مع أقمار، كما نجد أشخاصاً يجمعون الشمس و القمر في محياهم

، أو كما يقال في الرياضيات نجد كل الاحتمالات و التوافيق الممكنة ..

مغالطة الموت الرحيم

(قتل النفس بالحق)

الولايات المتحدة الأمريكية

فلوريدا / ميامي

1999 م ..

= أيها الطبيب أرجوك ارفع لي جرعة المخدر، إن الألم لا يطاق ..

= أنا آسف سيدة **إيستاس**، و لكن هذه هي الجرعة القصوى الممكنة طبياً، بعد هذا الحد هنالك خطر حدوث تثبيط تنفسي لديك و الذي قد يقتلك ..

= إذاً اقتلني أيها الطبيب، أريد أن أموت، لم أعد أحتمل الحياة مع هذا الكم الهائل من الألم، الموت الآن راحة حقيقية لي، أرجوك افعلها ..

= اعذريني سيدة إيستاس أتمنى أن أريحك حقاً، و لكن فعل ذلك يخالف قسمي

الطبي، كما أنه يعتبر جريمةً قانونيةً، و هو بالأصل يتعارض مع عقيدتي الدينية، من جهتي أنا غير قادر على فعل ذلك أبداً..

كانت السيدة إيستاس ممددة على فراشها الصغير في غرفتها، سيدة في الثلاثينيات من العمر حنطية البشرة بعيون بنية و شعر أقرب إلى البني، تعود أصولها إلى **الهنود الحمر** ..

إيستاس نحيلة للغاية و قد ضمرت عضلاتها بسبب إصابتها الراهنة بسرطان المبيض الذي تأخر اكتشافه حتى انتشر إلى الدماغ و الرئتين و الكبد و العظام ، كان الطبيب **إدوارد** صديق العائلة يمسك يدها بحنان و عطف ويواسيها بكل ما في جعبته من عبارات دينية و اجتماعية ، فمخزونه من العبارات الطبية يقف عاجزاً تماماً أمام حالتها الراهنة، فالوضع ميؤوس منه كلياً و هي بانتظار الموت في أي لحظة و لم يعد أمامها سوى ساعات أو أيام قليلة من الألم المبرح .

بجوار الطبيب جلس **سبيروزار** على كرسي صغير، و هو ابن السيدة إيستاس ذو التسع سنوات، يشع الذكاء من

عينيه، خلاسي بعيون عسلية، فوالده **سانشيز فازغويز** من أصل **إفريقي** تعود أصوله في الأساس **لبورتوريكو**، هاجر جده إلى أمريكا منذ زمن، و قد توفي الوالد سانشيز منذ عامين إثر سقوطه من الدور السابع ريثما كان يدهن الجدران الخارجية لأحد المنازل، لذا أصبحت إيستاس مسؤولة عن تربية سبيروزار لوحدها، و كان ذلك عملاً شاقاً عليها بالفعل لا سيما أنها كانت بدون عمل و تعتمد كلياً على مساعدات أقاربهما لهما ..

و اسم سبيروزار لا معنى له باللغات المعروفة، لكن والداه أطلقا عليه هذا الاسم بسبب حلم راود والدته في نومها، حيث أخبرها شخص بدا وقوراً في منامها أنها سترزق بعد عام بطفل ذكر و عليها تسميته سبيروزار، و بالفعل بعد شهر حملت والدته به و تبين لاحقاً أنها حامل بذكر فقرر والداه الإصغاء لرجل المنام، فالاسم بالأساس غريب و قد راق لهما للغاية ..

كانت الدموع تنساب من عيني سبيروزار و هو يرى حالة والدته و يستمع للحوار

الدائر بينها و بين الطبيب، و يشعر بنفسه عاجزاً كلياً عن فعل أي شيء يريحها به..

بعد ثلاثة أسابيع من الألم الشديد توفيت السيدة إيستاس

، تاركة ابنها سبيروزار كريشة في مهب رياح الحياة، و قد كفله بعدها مباشرةً عمه **رودريغيز** و عائلته ..

*****

فلوريدا / ميامي

بعد مرور 30 سنة .. 2029م ..

= حضرة الطبيب سبيروزار، المريضة **باربرا** في الغرفة السابعة تريد التحدث إليك ..

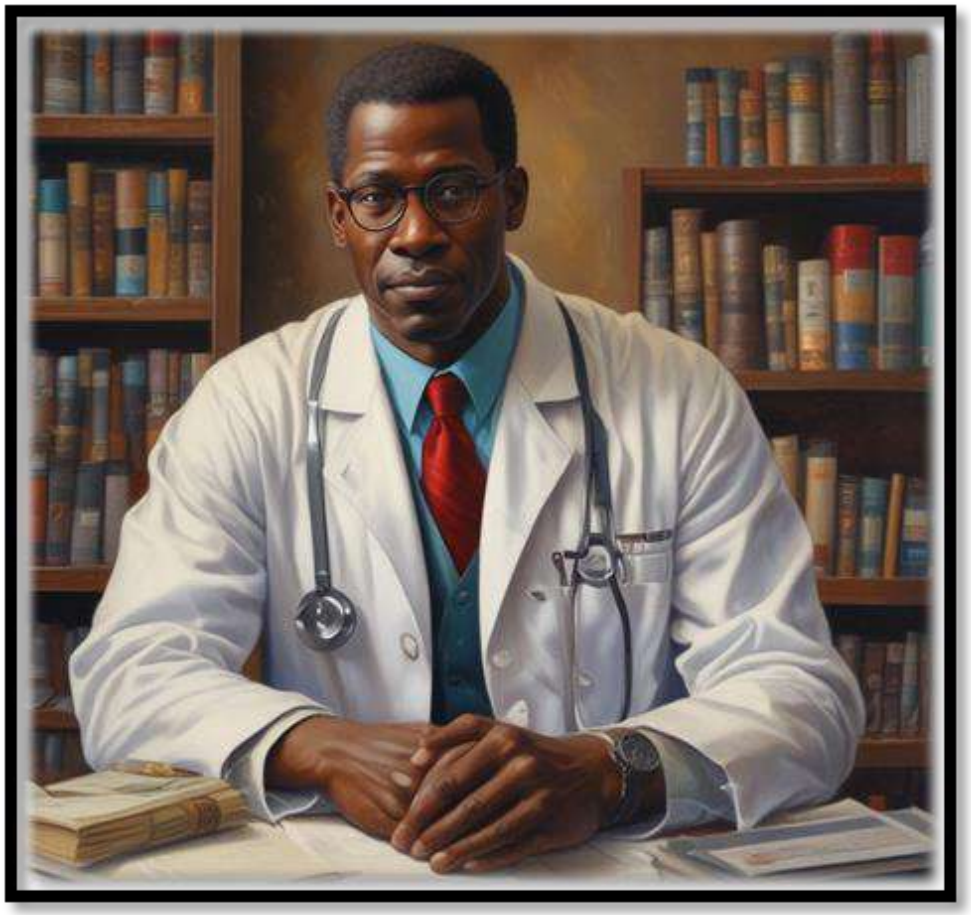

= بشأن ماذا ؟

= لقد بلغت مضخة المسكن الجرعة القصوى و ما يزال ألمها مبرحاً ..

= حسنا أنا في طريقي إليها ..

أنهى سبيروزار عمله المكتبي بسرعة ثم توجه إلى الغرفة السابعة و دخلها مغلقاً الباب خلفه ..

= سيدة باربرا، ما لذي يمكنني فعله من أجلك ؟

= الألم غير قابل للاحتمال إطلاقاً أيها الطبيب، هلّا رفعت لي جرعة المخدر ..؟

= إن ذلك قد يقتلك سيدة باربرا ..

= أعلم ذلك، و أنا موافقة، لقد أنهكني سرطان الثدي تماما و أريد أن أرتاح للأبد، أنت أفضل طبيب أورام

عرفته، و لابد أن لك طرقك الخاصة لمثل حالتي الراهنة ، لقد أخبرتني ألا أمل من شفائي في هذه المرحلة و بقي لدي أيام إلى أسابيع قليلة لأعيشها، أليس كذلك ؟

= بلى، للأسف هذا هو توصيف حالتك الطبية تماماً..

= إذا فأنا مستعدة للموت ..

= و ماذا بخصوص عائلتك ؟

= هذا قراري الشخصي أيها الطبيب، و الجميع سيتفهم ذلك ..

الطبيب سبيروزار شخص ملحد و لا يؤمن بوجود إله لذا فلا عقيدة تمنعه من القتل الرحيم، إذ أن قناعته الكاملة تقر بحق المريض المتألم الميؤوس من حالته في إنهاء حياته، و لكن القتل الرحيم غير قانوني في فلوريدا ..

= حسنا سيدة باربرا، أنا أتفهم وضعك تماماً، لكن القتل الرحيم لمريض السرطان أمر غير قانوني في ولايتنا ..

صمت قليلاً ثم أضاف ..

= انظري إلى هذه الزجاجة سيدة باربرا..

أخرج من جيبه زجاجةً مكتوب عليها (مورفين) مع محقن بلاستيك ..

= هذا هو المسكن الأقوى الأشهر الذي نمنحه لمريض السرطان عبر المحقن في المنزل أو عبر مضخة في المشفى كهذه ..

و أشار إلى المضخة المثبتة على حامل المحلول المغذي

= إن الجرعة المحددة من المورفين تسكن الألم، أما الجرعة الزائدة منه عبر الوريد

كأن تؤخذ هذه الزجاجة كاملةً عبر القسطرة التي في يدك ستسبب غالباً تثبيطاً تنفسياً قوياً ينهي حياتك، فكوني حذرةً سيدة باربرا، سأخرجك الآن إلى منزلك، و عليك بطريقة ما أن تحصلي على المورفين لمتابعة تسكين ألمك في المنزل، فهنا في المشفى المكان غير مناسب أبداً لذلك ..

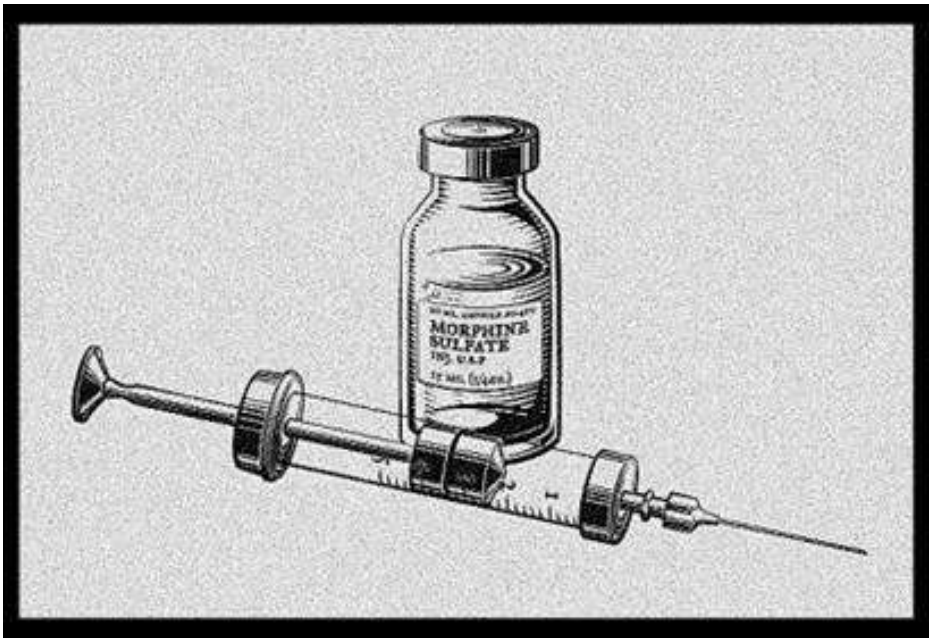

ترك سبيروزار الزجاجة و المحقن على الطاولة بجوار باربرا و توجه للخروج، و سمع صوتها من الخلف ..

= شكراً لك حضرة الطبيب، أرجو لك حياةً مفعمةً بالسلام ، تماماً كالسلام الذي ستمنحني إياه هذه الحقنة في منزلي ..

لم تكن هذه المرة الأولى التي يساعد فيها سبيروزار مريض سرطان على إنهاء حياته، بل هنالك عشرات الحالات من قبل و كثير منها فعله بيده.. فقد درس الطب بالأساس و تخصص في اختصاص الأورام كرد فعل على الحالة الصحية لوالدته و تجربتها الخاصة مع السرطان و هو صغير، فقرر على خلفية ذلك أن يساعد كل مريض سرطان بمثل حالتها على وضع حد لآلامه من خلال **القتل الرحيم** الذي يؤمن به كلياً، في حال فشلت بقية الوسائل الطبية في علاجه أو إراحته ..

بالحديث عن حياة سبيروزار الشخصية، فهو عازب، مقل بأصدقائه، و في عطل نهاية الأسبوع اعتاد الذهاب إلى مرسى قوارب ميامي حيث يمتلك هنالك يختاً

صغيراً اشتراه منذ عام، و يقوم بالإبحار به في تلك العطل ..

و في عطلة ذاك الأسبوع ذهب كالعادة للإبحار و اشترى وجبة غدائه في طريقه ..

جلس سبيروزار في قمرة القيادة يتناول غداءه وسط المياه، و لاحظ أن زجاج القمرة أمامه يعكس الساعة

المعلقة على الجدار وراءه بحيث **بدت عقاربها تمشي بالاتجاه المعاكس**، و فكر بينه و بين نفسه، ماذا لو أن الزمن مضى بالاتجاه المعاكس، ما لذي سيحدث ؟

هز رأسه و ابتسم، إنه سؤال لا يمكن لأحد غالباً الإجابة عنه، و تابع تناول غدائه، و بعد الانتهاء منه أخرج كتاباً من مكتبته الصغيرة في القمرة و شرع يقرأه، كان يتمحور حول فكرة واحدة وهي الوحدة و نوعيها الوحدة الاجتماعية بالابتعاد عن الآخرين، و الوحدة النفسية أي شعورك بأنك وحيد و أنت محاط بالآخرين من حولك،

و الكتاب يقارن بين هذين الشكلين و يحللهما نفسياً، كان كتاباً ممتعاً بحق ..

هكذا كانت حياة سبيروزار تمضي بروتين متشابه بين عمله في المشفى، و الإبحار بيخته في عطلة نهاية الأسبوع، مع بعض الزيارات للأصدقاء، و ما كان يكسر هذا الروتين هي اللحظات التي كان يساعد فيها مرضى السرطان الانتهائي على التخلص الدائم من آلامهم المبرحة عبر القتل الرحيم، و بالنسبة لسبيروزار كانت لحظات مفعمة بالرضا و الشعور بالانتقام من القدر أحمق الخطى كما يصفه هو ..

*****

بعد مضي حوالي الشهر زار رجل في منتصف العمر سبيروزار في غرفته الخاصة في قسم الأورام في المشفى ..

= حضرة الطبيب سبيروزار، كيف حالك ؟ أنا **كارل** زوج مريضتك السابقة باربرا ..

= أهلا سيد كارل، أنا بخير، كيف حالك أنت و زوجتك ؟ كيف هو كفاحها ضد المرض ؟

= أنا بخير، أما باربرا فقد توفيت منذ قرابة الشهر، و انتهت معركتها القاسية أخيراً مع السرطان ..

= أنا شديد الأسف لخسارتك سيد كارل ..

= لا تأسف حضرة الطبيب، أنا هنا لأشكرك على المعروف الذي قدمته لباربرا و الذي أنهى ألمها العميق و معاناتها الهائلة ..

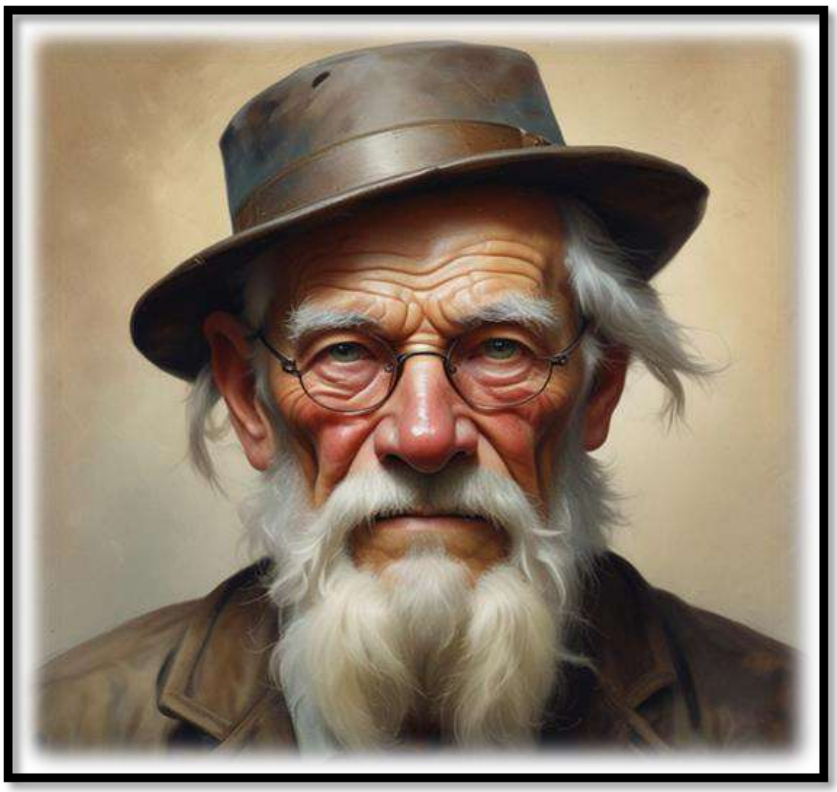

أومأ سبيروزار برأسه دون أن يرد ..

= و لكن هنالك سؤال أود طرحه عليك حضرة الطبيب

= تفضل ..

= لدي صديق مقرب مني يدعى **خوسيه** مصاب بدوره بسرطان الكولون، و هو في مراحله المتأخرة بحسب تقارير جميع الأطباء و قد أعطى السرطان نقائله إلى أعضاء شتى في جسمه، و أخبره الأطباء ألا

فائدة من العلاج الكيماوي و الشعاعي في هذه المرحلة و أنها مسألة أيام لا أكثر، و صديقي بحالة يرثى لها من الألم واليأس فهو يعيش لوحده في منزله و أنا معينه الوحيد في معركته الراهنة مع السرطان، وقد وصل الألم به لمرحلة يقول فيها بأنه مستعد تماماً للموت كحل نهائي لمعاناته ، فهل هنالك من حل لديك كطبيب أورام لتخفيف تلك المأساة التي يعيشها، كما فعلت مع باربرا مثلاً !!

فكر سبيروزار قليلاً، ثم أخرج من درج مكتبه زجاجة مورفين، و أعاد جملته المعتادة لكل مريض سرطان يرغب بالموت الرحيم ..

= هذا هو المسكن الأشهر المتوفر لدينا لآلام مرضى السرطان سيد كارل، لكنه إن أخذ عبر الوريد بجرعة زائدة كهذه الزجاجة كاملة فقد يسبب تثبيطاً تنفسياً يقتل المريض، فكن حذراً..

= شكراً حضرة الطبيب، لكن هنالك مشكلة أخرى ..

= و ما هي ؟

= باربرا هي التي قامت بنفسها بحقن المورفين في قسطرتها، فأنا لم أمتلك الشجاعة

لفعل ذلك، و صديقي كحالتي لا يمتلك الجرأة لحقن نفسه أيضاً، فهل هنالك من أحد تعرفه مستعد لفعل ذلك،

إنه عمل إنساني أيها الطبيب ..

= و أين سيأخذ الحقنة ؟

= في منزله، سأنتظر الشخص المحدد هنالك و أقوده إلى غرفة خوسيه، ثم سأغادر المنزل ..

سبيروزار شخص ذكي و حذر للغاية في حياته، لكن عندما تصل الأمور إلى ألم السرطان الانتهائي تتغلب عاطفته في كثير من الأحيان على حذره، فهو يتذكر والدته و أيامها الأخيرة، ذاك السبب الذي جعله يصبح طبيب أورام، كما أن مظهر السيد كارل كان يوحي بالطيبة و البساطة، لذا فكر قليلاً ثم قال..

= حسنا سيد كارل، أعطني عنوان السيد خوسيه و سأمر مساءاً إلى منزله لتقييم حالته ..

= شكراً لك حضرة الطبيب، أنت إنسان نبيل مفعم بالإنسانية ..

*****

في المساء وصل سبيروزار إلى العنوان المحدد و طرق الباب، مرت لحظات ثم فتح كارل الباب ..

= أهلا حضرة الطبيب، تفضل بالدخول ..

دخل كارل و تبعه سبيروزار في الرواق حتى بلغا غرفة جانبية مغلقة الباب، فتحه كارل و دخلا، كان

هنالك مريض نحيل واهن ممدد على فراشه ..

= سيد خوسيه، أنا الطبيب سبيروزار و جئت لأطمئن عليك، كيف تشعر الآن ؟

أجاب خوسيه بصوت واهن مرتعش ..

= بسوء حضرة الطبيب، إنه ألم هائل لا يمكن احتماله، و لم يعد أمامي من خيار في هذه الحياة سوى الموت نفسه ..

التفت الطبيب سبيروزار إلى كارل الذي فهم نظرته ..

= سأغادر المنزل الآن حضرة الطبيب ..

= حسناً ..

خرج كارل في حين أخرج سبيروزار زجاجة المورفين و وأخذ يعبئها كاملة في الحقنة و هو يفكر بينه و بين نفسه، إنه فعل قام به مرات كثيرة من قبل، و باعتبار أنه لا يوجد شهود على فعلته و أن السيد خوسيه معرض للموت في أي لحظة بسبب السرطان الذي يعاني منه، إذا فلا خشية عليه من الإقدام على القتل الرحيم له فلا دليل يدينه أبداً، ثم تقدم من السيد خوسيه وقال ..

= إذا فأنت مستعد للموت سيد خوسيه كما فعلت السيدة باربرا زوجة السيد كارل ..

رد خوسيه بصوته الخافت المتألم و المتعب ..

= كل الاستعداد أيها الطبيب الرحيم .

= سأحقنك الآن بالإبرة سيد خوسيه و أتمنى لك السلام الأبدي كما منحته لباربرا و لكثيرين غيرها من قبل، وإن كان هنالك حياة أخرى بعد الموت و انا أشك بذلك، فأرسل تحياتي لوالدي الاثنين، اطمئن تماماً فستنتهي معاناتك الهائلة بعد هذه الحقنة مباشرةً ..

لم يكد سبيروزار ينهي جملته حتى فتح الباب بعنف و دخل شخصان بزي الشرطة الرسمي ..

= سيد سبيروزار، أنت ملقى عليك القبض بتهم القتل العمد سابقاً و محاولة القتل الآن، يمكنك الالتزام بالصمت حتى توكل محامياً خاصاً بك، فكل الكلام الذي ستقوله الآن يمكن أن يستخدم ضدك في المحكمة لاحقاً ..

ألقى الشرطيان القبض عليه و قاداه للخارج حيث كان كارل يقف في الرواق ينظر إليه بحقد و شماتة ..

= هذا جزاء فعلتك و قتلك لباربرا أيها المجرم غريب الأطوار

، من أنت كي تضع نفسك مكان الله و تنتزع أرواح الآخرين ..؟

كان سبيروزار مدهوشاً بالكامل و هو ينظر إلى كارل و ذهنه في مكان آخر تماماً،

حيث قبو منزله الذي يحتوي ثلاجة مملوءة بعشرات زجاجات المورفين مكسيكية الصنع التي حصل عليها بطرق غير شرعية، و لابد أن تعثر عليها الشرطة عندما تفتش منزله ..

لكن ما الذي حدث بالضبط ؟

الحقيقة أن باربرا كانت لديها عادة في كتابة مذكراتها اليومية بشكل روتيني و قد ذكرت فيها بالتفصيل الحوار الذي دار بينها و بين سبيروزار في المشفى، لذا بعد وفاتها بأيام و بسبب طريقة وفاتها المنتحرة بحث زوجها كارل المتدين المتطرف على أي دليل يقوده إلى الشخص الذي زودها بالمورفين حتى عثر على تلك المذكرات، فاستشاط غضباً و استشار محاميه الذي

نصحه باللجوء إلى الشرطة و التعاون معها، و بالفعل وضعت الشرطة تلك الخطة المحكمة معه على الإيقاع بسبيروزار بعد أن اشتبهت بضلوعه بعشرات حالات القتل الرحيم سابقاً، و كانت الحركة الأخيرة التي ضمنت نجاح القصة هي تخلي سبيروزار عن حذره و انتصار عاطفته تجاه تجربة والدته على عقله ..

*****

جلس سبيروزار مع محاميه الخاص **ألفريد** الذي بدا مكتوف اليدين أمام الأدلة الدامغة بحق موكله من مذكرات المريضة باربرا إلى العدد الهائل من زجاجات المورفين المكسيكية في منزله انتهاء بالإمساك به متلبساً يقوم بالقتل الرحيم للمريض خوسيه مع تسجيل اعترافاته بالقتل الرحيم المتكرر بالصورة و الصوت ..

كانت محاكمة سبيروزار شكلية إلى حد بعيد، و لم يكن هنالك من دور هام لمحاميه

في الدفاع عنه، فالأدلة ضده كانت دامغة و كثيرة.. و صدر الحكم عليه بالسجن **10** سنوات مع دفع تعويض مادي للسيد كارل ..

نقل سبيروزار إلى سجن ميامي المركزي ليودع حياة الطبيب ربما إلى الأبد و يقبل على حياة السجين ..

*****

لا شك عزيزي القارئ أنك قد سمعت من قبل بمصطلح الموت الرحيم الذي تناولته القصة القصيرة السابقة.. و ربما كنت من أنصاره ، و ربما من معارضيه .. و في مغالطتنا الجديدة التي تحمل اسمه (**الموت الرحيم**) سنقوم بالتعرف أكثر على هذا المصطلح الشائك من زوايا مختلفة كي نتوصل سوياً إلى نتيجة منطقية معقولة بخصوص شرعيته من عدمها ، فنجيب على سؤال مغالطتنا البسيط للغاية:

(هل الموت الرحيم هو انتحار و قتل ؟! .. أم أنه غير ذلك و هذا الفهم الشائع له مجرد مغالطة في حياتنا كغيرها)

و للإجابة على هذا السؤال سنقوم بالتطرق إلى **7**زوايا

هامة تحيط بمفهوم الموت الرحيم بشكل كاف كما آمل و من مختلف النواحي .. فهيا بنا عزيزي القارئ نرفع النقاب عن هذا المفهوم الحساس و المعقّد و المختلف عليه على نطاق واسع بين البشر ..

❁ **تعريف الموت الرحيم** : هو ببساطة :

(القيام بإجراء متعمد مع الإعلان عن النية في إنهاء الحياة، للتخفيف من معاناة مستعصية على الحل)

أي أن له شرطين ضروريين يميزانه عن القتل أو الانتحار (**المعاناة** + **لا حل لها أبداً**) ..

❁ **أنواع الموت الرحيم** : و هي ثلاثة :

① **طوعي** : و يجرى بموافقة المريض ..

② **غير طوعي** : و تكون موافقة المريض غير متوفرة ، و من الأمثلة على ذلك القتل الرحيم للأطفال، و هو غير قانوني في جميع أنحاء العالم ما عدا في ظل ظروف محددة و معينة في **هولندا** بموجب **بروتوكول جرونينجن الهولندي** ..

③ **قسري** : ضد إرادة المريض ، و هذا قتل بلا شك إذا كان المريض واعٍ لقراراته أي لا غياب للملكات العقلية ..

❁ جذور الموت الرحيم :

أول استخدام واضح لمصطلح (القتل الرحيم) يرجع للمؤرخ الإغريقي **سوطونيوس** الذي وصف كيف مات **الإمبراطور أوغسطس** بسرعة وبدون معاناة في أحضان زوجته **ليفيا**، مما حقق الموت الرحيم الذي كان يرغب فيه طوال حياته ..

أما أول استخدام لمصطلح القتل الرحيم في سياق طبي فكان من قبل الفيلسوف الفرنسي **فرنسيس بيكون** في القرن **17**، للإشارة إلى وسيلة موت سهلة، سعيدة و غير مؤلمة ..

في حين نجد أكبر عملية قتل رحيم قسري جماعي معروفة حدثت في التاريخ هي قتل النازيين لحوالي **9772** شخصاً في **غرف الغاز** في **مركز براندنبورغ**

للقتل الرحيم في عام **1940** و أطلقوا على هذه العملية اسم (أكتيون **T4**) ..

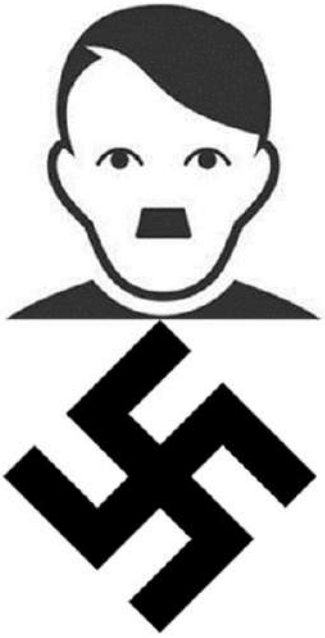

أما في الطبيعة فنجد الموت الرحيم عند النسور عندما تشيخ فتقل قدرة بصرها و يخف ريشها و ينعقف منقارها ، فتصبح غير قادرة على الصيد أو الطيران جيداً ، هنا ينطلق النسر إلى قمة جبل عالية ثم يلقي بنفسه منها في سقوط حر نحو الأرض حتى يصطدم بها و يموت محتفظاً بكرامته **!!**

❁ وجهة نظر العلم :

في العلم هنالك **5** حالات طبية قد تبرر الموت الرحيم

و هي بلا شك تستدعي التأمل و التفكير لأنها منطقية للغاية و عدا هذه الحالات فأي قتل عمد هو جريمة قتل أو انتحار بكل تأكيد من وجهة نظري الشخصية .. و هذه الحالات هي :

- **أي حالة مرضية مترافقة مع ألام يتوفر فيها الرباعي التالي** :

① ألام تفوق القدرة البشرية على الاحتمال ..

② ألام مستمرة ..

③ ألام غير قابلة للتسكين ..

④ ألام غير قابلة للعكس ، و هذا ما ينطبق على ألام السرطان الانتهائي على سبيل المثال ..

- **الموت الدماغي** : و هذه حالة غير عكوسة و تعني الوفاة فعلياً ، و الموت الرحيم هنا مبرر بلا شك ..

- **الأذيات الدماغية التي تذهب بالعقل بشكل غير عكوس** : كالزهايمر المتقدم أو داء البريون مثلاً أو الجنون العضوي .. حيث يصبح المريض خطراً بالأساس على نفسه و على من حوله .. كما يتحول إلى

كائن غريزي بلا صفات إنسانية .. و موته في هذه الحالة هو أمان للمحيطين به و صون لكرامته الإنسانية و ماضيه من التدنيس بتصرفات غير لائقة إنسانياً .. و في الحقيقة أذيات الدماغ هذه لا تختلف عن الموت الدماغي بشيء ، بل هنا الوضع أسوأ لأن ما يعانيه المريض هو موت روحي عندما يقوم بشتم من يحيط به من عائلة و غيرها .. أو يخرج عرياناً في الشارع ليتبول أو يتبرز أمام المارة و غيرها ، و كل هذا إهانة روحية له و لماضيه .. أما بالنسبة لأمان محيطه فهذا النوع من المرضى قد ينسى الغاز مفتوحاً أو يشعل النيران بلا وعي أو يطعن أحدهم بالسكين و غيرها .. فأنت فعلياً تتعامل مع شخص بلا وعي لتصرفاته و كل شيء متوقع منه ..

- **الإجهاض** : في حال شكّل الجنين خطراً على حياة

الأم أو تبين بالايكو أنه يعاني من تشوهات خلقية شديدة أو من بعض المتلازمات التي تترافق بتخلف عقلي شديد للغاية ..

- **الأطفال الذين يعانون مما ذكر آنفًا من تشوهات خلقية شديدة أو من بعض المتلازمات التي تترافق بتخلف عقلي شديد** ، و لم يتم اكتشافهم بالايكو خلال الحمل .. فالإنسان له حق بالعيش بكرامة من جهة و يفترض امتلاكه للحد الأدنى من الوعي كإنسان .. عدا ذلك أنت تهين الإنسان أو تتعامل مع كتلة من اللحم و العظم لا أكثر ستعيق حياة عائلته و بالتالي المجتمع بلا

نتيجة مرجوّة تذكر ، و بالطبع نحن لا نقصد هنا متلازمة داون مثلاً التي يمتلك الطفل فيها وعياً مناسباً يتوافق مع الإنسانية ، بل عن حالات عدم تكوّن الدماغ مثلاً ، أو حالات تلف الدماغ بالكامل ..

۞ وجهة نظر الدين :

لقد نهانا الله في القرآن عن الانتحار بشكل صريح بقوله

((و لا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيماً))

أما فيما يتعلق بموضوع الموت الرحيم فنجد الموضوع مختلفاً جذرياً فيقول البارئ الرحيم :

((و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون))

و هنا مربط الفرس في القضية كلها .. ما هو تعريف **الحق بقتل النفس** ؟! هل هو فقط **العقاب الجنائي** ، علماً أنه بالأساس عقاب بشري يحكم على المجرم أن يموت مفعماً بالخطايا و الذنوب بدون فرصة للتغيير أو التوبة أو حتى العلاج إن كان إجرامه على خلفية مرض جسدي أو .. أم أنّ الحق بقتل النفس هو قتل النفس التي تعرضت لمرض جسدي مشوّه بشدة أو مغيّب للعقل أو مؤلم بشكل غير إنساني و مستمر دون إمكانية عكس ذلك و تصحيحه ؟!

و لقد تطورت نظرة رجال الدين أكثر لمفهوم الموت

الرحيم في السنوات الأخيرة فنجد مثلاً أنّ مجمع الفقه الإسلامي الدولي أصدر في دورته العاشرة موافقته الشرعية على الموت الرحيم في بعض الحالات :

- نزع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً ..

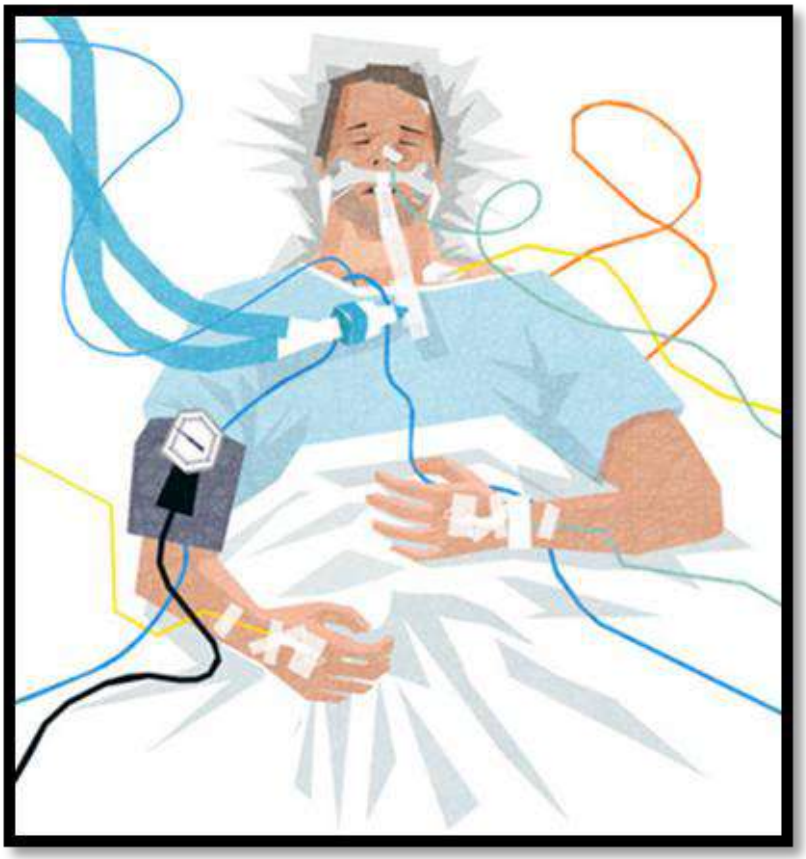

- الإجهاض العلاجي الاضطراري ، و يُلجأ لهذا النوع في حالة وجود خطر يهدد حياة الأم في حالة استمرار الحمل، ويكون إجهاض الجنين هو الحل الوحيد لإنقاذ حياة الأم ..

❁ **وجهة نظر القانون** : الموت الرحيم يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون في أغلب دول العالم باستثناء **بلجيكا، لوكسمبورغ، هولندا ، سويسرا، و بعض**

ولايات الولايات المتحدة الأمريكية مثل أوريغون و واشنطن ، حيث يشرع الموت الرحيم الطوعي في هذه الدول بموافقة المريض و طبعاً بشروط معينة و إلا فهو يعتبر مساعدة من الطبيب للمريض على الانتحار و يعاقب عليها القانون ..

❁ **وجهة نظر الأخلاق** : الواجب الأخلاقي للإنسان هو أن يتشبث بالحياة كي يحقق غايته السامية على هذه الأرض تجاه نفسه و تجاه الآخرين .. أما الحق الأخلاقي للإنسان في إنهاء حياته فيشمل ثنائية غاية في المنطقية و الأهمية :

- أن تتحول حياة الإنسان إلى ألم (جسدي أو نفسي) **مستمر رهيب و غير عكوس** ، فهذه حالة غير إنسانية بشكل بديهي !

- أن يفقد الإنسان ملكاته العقلية لسبب ما و بشكل غير عكوس ، فعندها سيفقد إنسانيته و يتحول إلى كائن خطير على نفسه و على الآخرين ، و يهين نفسه و محيطه و ماضيه ، و هذه كلها تعبر عن حالة غير إنسانية بشكل بديهي أيضاً !

فهاتان الحالتان بلا أي ذرة من الرحمة ، و باعتبار أن الله رحيم بلا شك .. فتحقيق رحمته تقتضي بالضرورة إنهاء حياة من يعاني منهما كرحمة إلهية أخيرة .. ليصبح لقب الرحيم لائقاً بهذا النوع من الموت ..

هذا باختصار هو الموت الرحيم من مختلف زواياه ..
فما هي وجهة نظرك عزيزي القارئ بالموت الرحيم ..
؟! هل هو انتحار و قتل دوماً أم مبرر دوماً أم مبرر أحياناً في ظروف خاصة كالتي ذكرناها في الزاوية العلمية و التي أدعمها شخصياً بشرط التشخيص الدقيق للحالة بالطبع و استيفاء الشروط المذكورة كلها ؟!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الموت الرحيم**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أنا ضدّ إنهاء الحياة مهما كان السبب ..فالله لو يريد للمريض أن يموت فيمكنه إنهاء حياته ببساطة ..!!

بل أن نقول :

= هذه المقاربة غير منطقية البتة .. فهل يمكننا القول ، إذا كان الله يريد شفاء المريض فسيشفيه في لحظة فلماذا يذهب إلى الطبيب !؟ بالطبع لا .. و الله شرع لنا قتل النفس بالحق ، و لا حق لإنهاء حياة مريض أكبر من حقه عندما يريد ذلك إن كان يعاني من :

- آلام مبرحة دائمة غير عكوسة و غير قابلة للتسكين فهذا يتعارض مع الرحمة الإلهية و الحقوق الإنسانية
- موت دماغي ، فالمريض ميت فعلياً ..

- غياب العقل و الوعي بشكل غير عكوس ، فيهين المريض نفسه و ماضيه و يشكل خطراً على نفسه و على المحيطين به ..
- جنين مشوه بشدة أو يشكل خطراً على حياة أمه
- طفل مشوه بشدة أو بلا عقل و لا يمكن تصحيح ذلك

في المشهد الختامي من فيلم **v for vendetta** و على غرار الامبراطور **أوغسطس** و زوجته **ليفيا** ، تمسك **EVE** بجسد **V** و قد تلقى رصاصة في صدره ، فتقول له (**لا أريدك أن تموت .. سأنقذك**) فيجيبها (**كلا لا أريد .. موتي راحة لي .. إنه أجمل شيء قد يحصل لي الآن**) فتستجيب لطلبه و تدعه يرحل في سلام ..

و كان هذا شكل من أشكال الموت الرحيم عندما نعرف بأن شخصية **V** تعرضت في الماضي لحروق شديدة

في كامل جسده بسبب انفجار بعد احتجازه في سجون و تعذيبه و إجراء تجارب عليه تشبه ما فعله النازيون في تجربة (أكتيون **T4**) المتوحشة مما شوّه جسده بالكامل و جعل حياته كإنسان طبيعي أمراً مستحيلاً ..

يقول المثل الشعبي: (**إن جرحت يدك اليمنى** ، **فلن تؤلمك يدك اليسرى**) أو (**من يده في الماء غير الذي يده في النار**) و لذلك فإن رأي الناس في قضايا حياتية كثيرة و من بينها قضية الموت الرحيم يبقى من موقع **التنظير** لا أكثر طالما أنهم لا يعانون من هذه الحالة التي يدلون بآرائهم فيها .. لأن الإنسان عندما يعاني هو بنفسه أو من يحب من هذه الحالة ستتغير المعايير و الآراء **180** درجة ..

مغالطة مخمّس

الشيطان

(بافوميت)

= ها قد وصلنا إلى لوحة جديدة في جولتنا السياحية على لوحات متحف اللوفر في قلب باريس ..

= أظن أنها لوحة (كش مات) أيها المرشد !

= أصبت .. و هذه اللوحة هي لفنان ألماني من القرن 18 يدعى فريديريك ريتز ، و قد صور فيها كما ترون بأنفسكم لاعبي شطرنج ، الأول هو الشيطان الذي يبدو مفعماً بالثقة و الغرور من الفوز بسبب سيطرته على الرقعة، و اللاعب الثاني هو إنسان تبدو عليه علامات اليأس، لأنّ الشيطان الذي يبدو منتصراً في اللوحة سوف يربح روح ذلك الرجل و يسيطر عليها في حال هزيمته.. و بين اللاعبين يقف ملاك يراقب المعركة على الرقعة بصمت .. و يمكن وصف اللوحة

باختصار بأنها انتصار الشيطان بدهائه على الإنسان .. لننقتل إلى اللوحة التالية ..

مضت المجموعة السياحية في زيارتها بقيادة المرشد ، لكن أحد أفرادها و هو بطل عالمي متمرس في لعبة الشطرنج ، لم يتحرك معهم وبقي يتأمل لوحة (كش مات) بدقة و عمق، فنادى عليه المرشد ..

= هيا سيدي ، سيفوتك شرح اللوحة القادمة ..

= من فضلك حضرة المرشد ، هلا عدت قليلاً إلى لوحة كش مات ..

تفاجأ المرشد من هذا الطلب الغريب لكنه عاد على مضض ..

= ماذا هنالك سيدي ؟

= حضرة المرشد ، يجب إما تغيير اسم هذه اللوحة أو

إزالتها من المتحف، أنا كلاعب شطرنج محترف أرى أن ملاك الإنسان لا يزال أمامه فرصة للمناورة، إذ

يمكن تحريكه بهذه الطريقة وبعدها سوف يربح الإنسان ويخسر الشيطان .. إن عنوان هذه اللوحة يروج لفلسفة خاطئة في الحياة بأنه لا أمل للإنسان في معركته مع الشيطان و عليه إعلان الاستسلام على خلاف الواقع ، فالإنسان المؤمن بالله واثق بنفسه و سيتمكن من هزيمة الشيطان لا محالة بعون من الله و الملاك المراقب للعبة

هزّ المرشد رأسه بدهشة و قال ..

= مذهل و معبر للغاية !!

*****

الشيطان .. العدو الأول للإنسان عبر الزمن ..

كثيراً ما تم تصويره كمخلوق حي يهمس في أذنك بالخطيئة أو يوسوس في صدرك بالفسوق .. لتنحدر حياتك إن أنت أذعنت له إلى الهاوية السحيقة ..

فهل الشيطان موجود فعلاً ككائن يتربص بمليارات البشر ؟ و كيف يمكنه فعل ذلك بنفس اللحظة بين الجميع ؟! أم أن هذا التصور عن الشيطان هو مغالطة جديدة يوسوس بها شيطان المغالطات في عقولنا ليبعدنا عن بلوغ الحقيقة المجردة الملاك ؟!

هذا ما سنحاول معرفته خلال الصفحات التالية ، عبر مقاربة مغالطتنا الجديدة (**مخمّس الشيطان**) ، من **4** زوايا هامة للغاية :

① **الشيطان في التراث ..**

② **عبدة الشيطان ..**

③ **الشيطان فكرة لا شخص ..**

④ **كيف تهزم شيطانك ؟ ..**

و أياً كان ، الشيطان تعوذ منه عزيزي القارئ و هيا بنا نحلل مغالطتنا بتفصيل أكثر بسم الله الرحمن الرحيم ..

أولاً ، الشيطان في التراث :

إنّ أغلب الديانات الأرضية و جميع الديانات السماوية وصفت حياة البشر كصراع بين الخير و الشر ، فيرمز للخير عادةً بالإله ، أما الشرّ فيرمز له بعدة طرق حسب الحضارة السائدة ، فهو :

- **إله** أيضاً كحال الإله **أهرمان** في الديانة الزرادشتية الذي يواجه إله الخير **أهورا مازدا** ، و الإله **ست** عند الفراعنة ...
- **مخلوق** تمرد على الإله الخالق و وعده بإغواء خلقه عن عبادته كحال **إبليس** عند المسلمين و **الشرير** عند المسيحيين و **الشيطان** عند اليهود ..
- **النفس الأمارة بالسوء** التي تغري الإنسان كي يعصي الآلهة فيستحق عقابها كما هو الحال عند الإغريق مثلاً ..

و أسماء الشيطان تتنوع بتنوع الحضارات فهو **إبليس** ، **الشرير** ، **لوسيفر** ، **عزازيل** ، **بافوميت** ، **بعل زبول** ، **مفستو فيلس** ، **ساتان** ، **عفريت الجنّ** و غيرها ..

و الشيطان أياً كان اسمه أو تكوينه من إله أو مخلوق أو فكرة فقد أثبت قوته عبر الزمن و كثيراً ما يكسب معركته مع البشر .. لماذا ؟ لعدة أسباب لعلّ أهمها :

۞ خياراته أكثر من خيارات الإنسان ، فللخطأ أوجه لا نهائية أما الصواب فله وجه وحيد ..

۞ لا يوجد رادع أخلاقي أو خطوط حمراء تحدد حركاته ..

۞ إتقانه للعبة الضياع بين (**الماضي**) بذكرياته الأليمة و خسائره و فشله ، و (**المستقبل**) المبهم المخيف غير المضمون .. فينطحن الإنسان ضعيف الإيمان بين مطرقة الوقوف على الأطلال و التأسف على ماضٍ لن يعود و بين سندان القلق من مستقبل

مجهول قد يعيد إحياء الماضي بكوارثه مجدداً ، فيغفل الإنسان عن أهم ثروة يملكها في حياته أي (**الحاضر**) ماضي الغد و محدد هيئة المستقبل الآتي ،فيعتكف عن العمل و الإنجاز و يستسلم لواقعه الكئيب دون ردة فعل

❁ يعزف بحرفية على أوتار **الغرائز و الحاجة و الطموح** وهذا هو مثلث برمودا الذي يختفي فيه ضمير الإنسان دون أثر ..

❁ أتباعه هم الأكثر في كل زمان و مكان بسبب المغريات التي يقدمها ، مما يجعل طريق الحق و الصواب الوعر بالأساس شحيحاً برواده مما يصعّب عليهم المعركة أكثر ..

ثانياً ، عبدة الشيطان :

بسبب الأسباب الصريحة و القوية السابقة و كثير غيرها نجد للشيطان أتباعاً بالملايين عبر صفحات التاريخ ، بل وصلت الحالة ببعضهم إلى عبادته و تقديسه دوناً عن الله خالقهم ، حتى أنهم يمارسون طقوسا خاصة بهم و يروجون لرموز و قرائن شيطانية مميزة من قبيل :

- **النجمة الخماسية المقلوبة**
- **رأس الكبش**
- **رقم 666**

- **الصليب المقلوب**
- **رفع السبابة و الخنصر مع ثني بقية الأصابع**
- **الوشوم المتعددة و الموسيقى الصاخبة**

وغيرها ..

بل أكثر من ذلك ، فقد قام الكاهن و المشعوذ الأمريكي اليهودي**أنطون لافي** الملقب (ابن الشيطان البار) هناك في بلاد العام صاموئيل و يلسون (سام) أو أمريكا بالترويج لعبادة الشيطان بشكل علني و رسمي بل أسس له كنيسة حملت اسمه (**كنيسة الشيطان**) في مدينة سان فرانسيسكو لتقام فيها طقوس عبادة الشيطان على نحو جريء فاضح و قانوني دون رقيب أو حسيب

كما أصدر لافي كتابه (**الإنجيل الأسود**) الذي جاء في نصه في الفصل الثامن:

(اقتلوا الأجّنة في بطون أمّهاتهم، واشربوا دم الصغار، واصنعوا منه حساءً، واخبزوا في الأفران لحومهم، واصنعوا من عظامهم أدوات للتعذيب)

فمبادئ عبدة الشيطان بحسب التسريبات و التصريحات كثيرة و على رأسها **الثالوث الأسود المقدس** :

① **تحقيق شهوات النفس المتنوعة** ورغباتها دون قيود حتى لو اضطرهم ذلك للقتل أو القيام بممارسات جنسية جماعية ، بل حتى مع المحارم ليكونوا أقرب للشيطان ..

② **تقديم القرابين للشيطان** و يفضل أن تكون من الأطفال .. و التشجيع على الإجهاض و الانتحار..

③ **الانتقام**، وتدمير كل من يحاول مضايقتهم بلا أدنى هوادة أو رحمة و بأبشع الوسائل و الطرق ..

و قد نالت منظمتهم شعبية لا بأس بها بسبب استقطابها للمختلفين في المجتمع الذين تم رفضهم أو التضييق عليهم من قبل العامة ، كالأقليات و المختلفين جنسياً و الأعراق الأخرى غير العرق الأبيض كالهنود الحمر أو الأفارقة أو الضعفاء الذين يتعرضون للتنمر و غيرهم

و للأسف فإن كل هؤلاء يلجؤون من الظلم و أذى الآخرين لهم إلى الفسوق و هو أذى أكبر لهم و بأيديهم في مفارقة غريبة و مؤلمة .. فالطريقة الأصح كي يقوي الإنسان روحه أن يلجأ إلى الله و السماء فهو

المعين الوحيد من نكبات الدهر الذي لن يخذلك أبداً..

و يحاول عبدة الشيطان الترويج لأنفسهم كجماعة لطيفة تبحث عن العدل و نصرة المظلومين ، لكن ما يتسرب من مبادئهم و طقوسهم للآخرين يفترض عكس ذلك تماماً ..

ثالثاً ، الشيطان فكرة لا شخص :

كي نفهم طبيعة الشيطان ، علينا أولاً أن نفهم طبيعة الإنسان .. فالإنسان يأتي إلى هذه الحياة صفحة بيضاء طاهرة كالثلج و هذا ما نعوه براءة الأطفال ، لكن ما أن يشبّ هذا الطفل قليلاً و يتعرف على إغواءات الدنيا و متعها حتى يتنازل عن براءته و إرثه الأخلاقي النظيف و ينغمس في الملذات بأشكالها المختلفة ..

هل يذكرك هذا بشيء عزيزي القارئ ؟

بالضبط .. بوصف إبليس في الإسلام ، فقد كان ملاكاً من ملائكة الله يعبده ، ثم تمرد عليه و أسس امبراطورية من الفسوق خاصة به لإغواء البشر ..

بمعنى آخر .. الشيطان ليس بالضرورة شخص آخر يوسوس للإنسان .. بل الشيطان يكمن داخل الإنسان بالأساس ،و يعيد كل إنسان قصة حياة إبليس في حياته نفسها بالتحول من الطفل الملاك إلى الشاب الشيطان ، قبل أن يهديه الله إلى صراطه المستقيم مجدداً فيستعيد

طهارة الطفولة ، و قد سبق و ناقشنا هذه الفكرة بتفصيل أكثر في مغالطة (**خوارزمية الله**) ، فالشيطان بالأساس فكرة قبل أن يكون جسد أو غيره .. و هذه الفكرة يمكن تجسيدها بشعار عبدة الشيطان (النجمة الخماسية المقلوبة) ، إذ يجسد كل رأس فيها ركن من أركان سيطرة الشيطان على الإنسان :

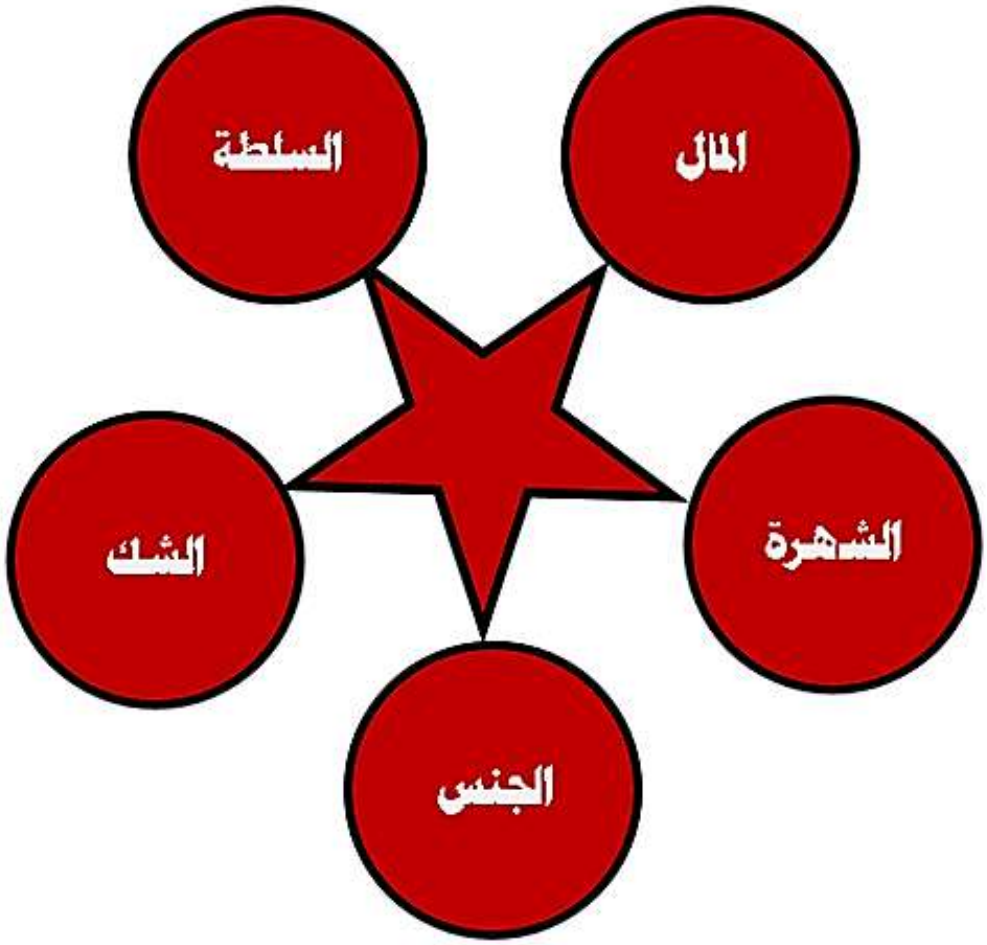

① **الغريزة** : و هو الركن الأخطر و الأكثر سيطرة على الإنسان ، فالإنسان الذي لا يتحكم بغرائزه و يوجهها بعقله ينحدر إلى قاع الأخلاق الرديئة ، فعندما تتحكم الغريزة بالعقل و ليس العكس ستنفتح أمام المرء

أبواب الجحيم حرفياً .. و كي يقاوم الإنسان شيطانه هنا ، عليه تغليب العقل على الغريزة كي يسيرها وفق أصول معينة لا تضره أو تضر الآخرين و هذا ما يسمى **جهاد النفس** ، و هو أصعب أنواع الجهاد ..

② **المال** : المال بالطبع ضرورة لا غنى عنها للبقاء على قيد الحياة أولاً ثم لتحقيق حياة كريمة ثانياً و ربما لتحقيق حياة رغيدة ثالثاً .. لكن أن يتحول حب الثراء السريع إلى هاجس عند الإنسان فذلك ينذر بأسوأ العواقب ، لأن الطريق لتحقيقه غالباً ستكون مليئة بمطبات الفساد و الغش و الاختلاس و السرقة و ربما الجريمة .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بالرضا بما رزقه الله و محاولة تحسين وضعه الاقتصادي بالطرق المشروعة .. فالحلال البطيء سيبقى بلا شك أحسن عاقبة من الحرام السريع ..

③ **الشهرة** : هوس الشهرة قد يصل بالبعض إلى ارتكاب كل أنواع المعاصي لتحقيقها .. رغم أن الشهرة بالأساس سراب بل مصيدة حقيقية كما فصلنا في مغالطة الشهرة من قبل .. لذا على الإنسان أن يسعى إلى الشهرة الإيجابية بالعمل الصالح المفيد للبشرية ، لا الشهرة السلبية بالتهريج و إيذاء الذات و تحطيم الآخرين و غيره .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بالتركيز على العمل الإيجابي الذي يطوره و يطور

الآخرين ، و في الواقع الشهرة الإيجابية هي التي تقصد الإنسان الناجح و ليس العكس لذا ستأتيه الشهرة من حيث لا يحتسب..

④ **السلطة** : هوس المجد و الجاه و التحكم بمصير العباد حلم راود آلاف الطغاة عبر التاريخ ، و في سبيل تحقيقه حدثت مجازر و خيانات و انقلابات و طغيان ، فأن تقنع الملايين باتباع كلامك ليس أمر هين ، بل ينبغي أن يكون كلامك موزوناً و فيه مصلحة المجتمع و بعيد عن المكاسب الشخصية .. و هذا ما يتعارض مع أحلام السلطة و هوس التحكم بالآخرين ، لذا لن ينصاع الشعب لك ، و بالتالي ستلجأ للعنف و غيره لفرض سيادتك و كلمتك عليه .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بالوعي أن المناصب تكليف لا تشريف .. أي أن يبتغي من بحثه عن السلطة إحقاق العدل و تأمين الحريات و الحياة الكريمة للشعب لا استعباده و استغلاله ..

⑤ **الشك** : عندما ينخر سوس الشك بوجود الله و الحياة بعد الموت في روح الإنسان ، يفقد كل خصاله البشرية الحميدة ليتحول إلى وحش ناطق لا يردعه رادع عن تحقيق كل ما سبق .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بأن يؤمن يقيناً أن الله حق و أن حياته على هذا الكوكب رحلة وجيزة ستنتهي قريباً و العاقبة في الآخرة حيث الحياة الأبدية .. فيزهد بدنيا قصيرة الأمد في سبيل

آخرة للأبد .. لذا فالإيمان بوجود الله و بجنانه بعد الموت يعتبر نقطة الانطلاق و حجر الزاوية في هزيمة الإنسان لشيطانه المتغلغل في دماغه فيكتم صوته ويشل تأثيره عليه كلياً ..

لا تتوقع عزيزي القارئ أن يتجسد الشيطان أمامك كمخلوق يحاول زعزعة إيمانك و دفعك إلى الخطيئة ، فالشيطان فكرة قبل كل شيء .. فكرة من خمس أركان كما شرحنا و الشيطان يجلس في مركز هذه النجمة و يراقب عن كثب كيف يعيش الإنسان في حياته الصراعات الكبيرة مع **الغريزة و المال و السلطة و الشهرة و الشك ..**

يقول **بولس الرسول:**

(البسوا سلاح الله الكامل كي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس فإن معركتنا ليست مع شيطان من لحم و دم ، بل هي مع الرؤساء ، و السلاطين ، و ولاة العالم التابعين له على ظلمة هذا الدهر)

و يقول **الإمام علي بن أبي طالب** :

(و اتخذوا الشيطان لأمرهم مِلاكاً ، و اتخذهم له أشراكاً ، فباض و فرّخ في صدورهم ، و درج في حجورهم ، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم)

و خلاصة هاتين المقولتين أن الشيطان ليس مخلوقاً

مجسداً بذاته بل هو فكرة أنّ الإنسان عندما يهزم في معركته مع واحد أو أكثر من الخماسي السابق فإنه سيتحول بذاته إلى شيطان حقيقي يغوي الآخرين و يفسد في الأرض .. فالشيطان مخلوق وحيد و البشر بالمليارات ، فكيف سيتمكن من الوسوسة لهم جميعاً في نفس الوقت ، ما يحدث على أرض الواقع **أن كل إنسان من هذه المليارات يتصارع يومياً مع مخمس (الغريزة و المال و السلطة و الشهرة و الشك) الذي هو الشيطان الحقيقي فإما أن ينتصر المرء و يعيش كملاك حقيقي أو ينهزم و يتحول إلى شيطان بنفسه !!**

في ليلة القبض على السيد المسيح قبيل صلبه كما تقول الروايات المسيحية تجسد أمامه الشيطان على هيئة أفعى و أخذت تغويه كي يستسلم و يتراجع عن إكمال ما تبقى من رسالته فينقلب على خالقه ، عبر إخافته من عذابات

الضرب و الصلب ، و توهين عزيمته بأن أحد تلامذته خانه و البقية سيتخلون عنه ، و كأن كل حياته كانت عبثاً و فشل في رسالته و مسعاه .. فالله بذلك تخلى عنه فلماذا يتعلق به ؟.. لكنّ المسيح قاوم كل ذلك و تجاهل كلام الشيطان بصلابة و شجاعة فداس رأس الأفعى و سحقه .. فما الذي حدث بالفعل ؟

المسيح تعرض لأحد أركان المخمس الشيطاني و هو **الشك** ، لكنه تغلب عليه و مضى برسالته إلى النهاية

رابعاً ، كيف تهزم شيطانك ؟

إن أردنا توصيف أقوى سلاح للشيطان في معركته مع الإنسان فلن نجد أنسب من كلمة واحدة (استسلم) ..

استسلم لفقرك فاسرق .. استسلم لكسلك فغش ، استسلم لفشلك فلا تحاول ، استسلم لضعفك فلا تقاوم ، استسلم لغريزتك فاتبعها ... استسلم على طريق الصواب الوعر فاتخذ الطريق المختصر بالخطأ و الخطيئة كي تبلغ أهدافك و رغباتك بأقل جهد ممكن ..

بالمقابل فإنّ أقوى سلاح للإنسان في مواجهة شيطانه هو : (**حاول ، قاوم و استمر**) .. و تذكر أن هزيمتك لا تكون من خارجك أبداً بل تبدأ من أعماقك أولاً ، فكل إغواءات البشر و الظروف القاهرة من حولك تبدأ من كلمة واحدة (**موافق**) فإن أنت لم تنطقها ، عجزت جميع الأساليب الشيطانية الممكنة عن جرك إلى الخطيئة ..

و تذكر أن الإنسان الناجح الصامد يجد حلاً لكل مشكلة ، أما الإنسان الخنوع المستسلم فيجد مشكلة في كل حل ، أما حلول الله فلا تنتهي و تحيط بنا من كل حدب و صوب كأسلحة يزودنا بها في وجه دعوات شياطيننا للاستسلام لظروفنا القاهرة و مشاكلنا العويصة ليقول البارئ لنا :

(لا تستسلموا فالله معكم ، و من جعل نفسه في خدمة الله جعل الله كل شيء في خدمته)

كما قال تعالى في الذكر الحكيم :

(لا تيأسوا من روح الله)

بل ذهب القرآن بعيداً في ذلك فنجد الآية الأخرى :

(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

و لنا في حكاية لوحة كش مات في مقدمة مغالطتنا عبرة في ذلك ..

فلا تيأس عزيزي القارئ مهما اشتدت بك الخطوب و أوصدت في وجهك أبواب الأرض ، فللسماء أبواب لا تغلق تتنزل منها الحلول و المساعدات و حتى المعجزات في اللحظة المناسبة دوماً ، فالله يختبر إيمانك و شجاعتك بالآخرين و بالظروف الصعبة ، و متى أثبت له وفاءك و ولاءك سخر الكون برمته لنصرتك و تحقيق أهدافك و إخراجك من بئر المكائد ، الفشل و الحاجة كي يدفع بملاكك إلى المعركة و يقول لشيطانك :

(كش مات)

بنقلة مفاجئة عبقرية لم تتوقعها و لم يتوقعها .. و لنا في رسول الله أسوة حسنة في معاركه الدفاعية ، فقد كانت الهزيمة آتية لا محالة بانتصار أعدائه عليه بالعدد و العدة و كل شيء مادي آخر ، فتدخل الله بقواته ليقول :

(فأنزل الله سكينته عليه و أيده بجنودٍ لم تروها)

فإن كان خالق كل شيء معك عندما تتبع طريق المنطق و الصواب فأي مخلوق سيهزمك بالخديعة أو الحيلة أو

الإغواء التي لا تزحزح الصواب قيد أنملة !؟

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مخمّس الشيطان**) من الأنسب بعد اليوم ألا نقول :

= الشيطان يوسوس في رأسي كي أفعل كذا و كذا ..

بل أن نقول :

= الشيطان فكرة بالأساس .. و من يوسوس في رأسك هو صراعك الشخصي مع مخمس الشيطان (الجنس و المال و السلطة و الشهرة و الشك) ..

و ألا نقول :

= لقد أعلنت الاستسلام ، كيف أواجه عدواً بلا مبدأ أو رادع أو خطوط حمراء .. فالصواب يتيم و للخطأ ملايين الآباء ..

بل أن نقول :

= المعادلة في هذه الحياة بسيطة للغاية تقوم على ساقين لتضع ساقاً على ساق كملك متوج لا يقهر :

❁ **الصواب ثابت لا يتغير** ، و لا أحد قادر على لي ذراع قوانين الدنيا ، و لو قال مليار شخص أن **4 + 3 = 6** سيبقى الجواب هو **7** و لو اتبعه شخص وحيد أو حتى لو لم يتبعه أي إنسان ، فقد أتى بشر و رحلوا و

أتى غيرهم و رحلوا و هكذا ، في حين بقيت القوانين راسخة لا ترحل، فهل من قوة أكبر من ذلك ؟!

❁ **المخلوق لا يمكن له أن يهزم خالقه** مهما فعل على نحوٍ بديهي .. فالخالق يعرف كل شيء عن مخلوقاته بأدق التفاصيل و مكامن القوة و مواطن الضعف فيها ، أما المخلوق فيجهل كل شيء عن خالقه إلا بما كشفه بنفسه عن نفسه من كونه عادل ، جبار ، لا محدود القدرة .. فكيف لنا أن نتخلى عن هذا الخالق النبيل القوي لنتبع مخلوقاً وضيعاً محتالاً كشيطان يوسوس في صدورنا و يغوينا كي ندمر أنفسنا بأنفسنا سواء أكان كائناً حقيقياً أم مجرد فكرة تعيش في كل إنسان ..

كان اللواء **إيميليو مولا** القائد العام لجيش الشمال إبان **الحرب الأهلية الإسبانية** ، و أثناء مؤتمر صحفي مع صحفيين أجانب، سئل اللواء أي الطوابير الأربعة التي يتكّون منها جيشه سيفتح مدريد ؟ عندئذٍ رد اللواء مولا قائلاً أنّ هذه ستكون مهمة الطابور الخامس ، في إشارة ضمنية إلى الجماعات الفرانكية الموالية للملكية التي كانت تعمل في الخفاء داخل مدريد أي أنه كما الشيطان راهن على سقوط عدوه من داخله و ليس على قوته الخارجية على كبرها !!

و علينا جميعاً تمنيع أنفسنا من الداخل و القضاء على

الطابور الخامس في ذواتنا أولاً و قبل كل شيء لنلتفت بعدها إلى قوى الأعداء من حولنا فنحن كفلاء بأنفسنا و الله كفيل بهم ، و هذا ما وعد الله عباده الصالحين ، كما يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان)

فالشيطان سيحاول التسلل إلى حياتك كحصان طروادة ، و عليك ببساطة ألا تسمح له بذلك بأن تحصن نفسك من إغواءات مخمس الشيطان ..

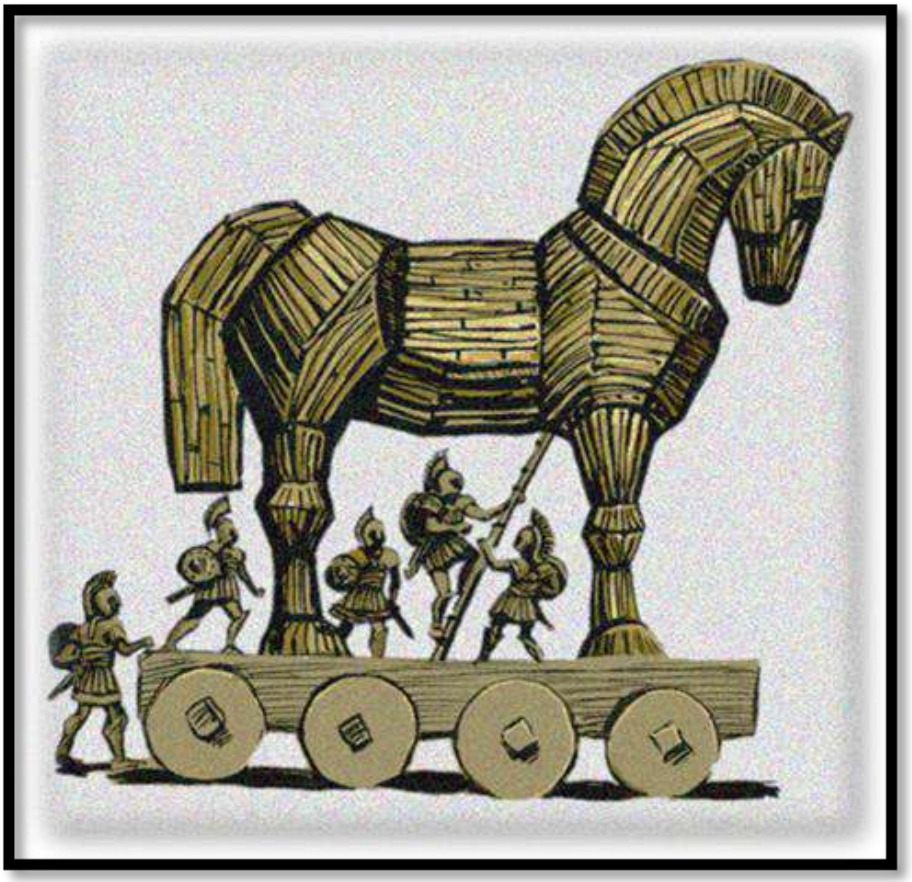

مغالطة الكوكب

المضجر

(ما خفي أعظم !!)

ففي العام **1947** و بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعامين ، سقط على مدينة **روزويل** (إحدى مدن ولاية نيو مكسيكو الأمريكية) جسمٌ غريبٌ أثار ضجةً مروعةً أدت إلى الذعر وسط الأهالي .. وبعد دقائق معدودة، كانت وحدات الجيش الأمريكي تنتشر في المدينة، وتحولها إلى ثكنة عسكرية بكل معنى الكلمة، ثم فرضت حظراً للتجوال على الأهالي، كما أصدر الجيش تعليمات مشددة بأنه سوف يطلق النار مباشرةً على أي مواطن يخرق حظر التجوال دون أي تحذيرات مسبقة.. فلماذا هذا التشدد المفرط تجاه تلك الحادثة ؟!

الحكومة الأمريكية قامت بتغطية جميع الأخبار حول هذا الجسم، وفرضت سرية مطلقة عليه وتعاملت معه على مدى عشرات السنين باعتباره مجرد (منطاد لدراسة الطقس)، إلى أن تم الكشف تدريجياً بواسطة صحفيين استقصائيين أكفاء عن أن ما سقط على روزويل كان **طبقاً طائراً يحتوي على بعض الجثث الغريبة لمخلوقات غير أرضية** .. التزمت الحكومات الأمريكية الصمت في وجه هذه الادعاءات ، إلى أن جاءت اللحظة التي قلبت كل الأمور رأساً على عقب، وتم الكشف عن شريط فيديو يسجل عملية تشريح إحدى هذه المخلوقات الفضائية، في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، قام بتسريبه طيار أمريكي متقاعد ..

بعد الكشف عن هذا الشريط وإعلان خبراء من شركة كوداك أن المادة الفيلمية للشريط تعود فعلًا إلى الأربعينيات، والاستعانة بخبراء من هوليوود أكدوا صعوبة وجود خدع سينمائية في هذا الشريط القديم.. قامت الدنيا ولم تقعد في الولايات المتحدة، وانهال الرأي العام كله بالنقد القاسي على الحكومة الأمريكية، لدرجة أن الرئيس الأمريكي وقتها **(بيل كلينتون)** كان في زيارة رسمية لإيرلندا الشمالية، وتحدث إلى الشعب الأمريكي حول هذا الموضوع قائلاً :

(على حد علمي، لم تصطدم سفن فضائية بمدينة روزويل في العام 1947، ولو كان هذا قد حدث بالفعل، وأن القوات الجوية احتفظت بجثث للمخلوقات الفضائية.. فإنهم لم يطلعوني على الأمر إطلاقاً)

واستمر نفي الحكومات الأمريكية و التزامها بالصمت المطبق حتى يومنا هذا.. على الرغم من خروج عدد من علماء الفضاء الأمريكيين مثل (**كارل ساجان**) ، الذي قال إن ما سقط على روزويل كان بالفعل طبقاً طائراً فضائياً ، و أن الحكومة الأمريكية قامت بالتعتيم الكامل على هذا الموضوع لأنه ساهم بقدر هائل في دفع التكنولوجيا والتطور الصناعي الأمريكي، لما يملكه هؤلاء الفضائيون من تقنيات حديثة للغاية كانت وقتئذ غير مسبوقة لأي بلد في العالم !!

*****

لا أشك للحظة أن هذه القصة أثار حماسك و فضولك عزيزي القارئ بسبب غرابتها و خطورتها ، بعد أن اعتدت على الأخبار اليومية المعتادة حول العالم .. زلزال هنا ، حرب هناك ، وباء آخر ، اتفقايات دولية جديدة بشكل معاد و متكرر يثير الضجر بلا ريب .. و إن بلغت الإثارة ذروتها سمعت أن أنثى باندا أنجبت توأم لطيف في إحدى حدائق الحيوان ، حتى تشكل عند الناس قناعة حقيقية بأن كوكب الأرض كوكب ممل يدور في حلقة مفرغة من الأحداث المتشابهة ، فلا الطبيعة تتغير ، و لا الأحداث تتجدد ، نفس الجوهر بأسماء مختلفة و مناطق مغايرة و أشخاص جدد .. فهل هذه القناعة منطقية و مبررة ؟

من سوء الحظ و حسنه في آن ، أن هذه القناعة الشمولية واحدة من أكبر المغالطات المنتشرة على كوكب الأرض .. فكوكبنا في الواقع مرتع لإثارة حقيقية منتشرة في أصقاعه ، لكن و كما هو حال الأحجار الكريمة ، نادرة للغاية بين عدد هائل من الحصى ، كذلك الأماكن أو الأحداث أو الظواهر أو الاكتشافات الغامضة و المثيرة موزعة بشكل اقل على بلدان العالم ، ليبحث عنها و يجدها كل عاشق للإثارة و الغموض ، تماماً كحادثة روزويل المبهمة و الخطيرة التي تحدثنا عنها منذ قليل .. و مهمتي في هذه المغالطة عزيزي القارئ أن اثبت لك أن كوكب الأرض أكثر حماساً مما تعتقد بأن أجمع لك كوكبة من أكثر الأمور غموضاً و إثارة عليه فأضعها بين يدك بمنتهى السهولة لتتعرف عليها و تستمتع بها .

فهيا بنا في هذه المغامرة الشيقة ..

أولاً ، ظواهر غامضة :

① هل سمعت عن صخور تتحرك من تلقاء ذاتها ؟

في وادي الموت في **الولايات المتحدة الأمريكية** توجد صخور ضخمة تتحرك لوحدها عبر أرض الصحراء المسطحة تاركةً وراءها آثاراً غريبة ، و كأن قوى خفية كالأشباح تدفعها ، و قد عجز العلماء عن تفسير هذه الظاهرة بشكل قاطع لعقود طويلة ..

② أصوات تسمعها الأذن لكن لا يمكن رصدها بالأجهزة إطلاقاً !!:

في بلدة تاوس الصغيرة في **المكسيك** ، ومنذ فترة

طويلة من الزمن يُسمع صوت «همهمة» غريب ومجهول في الأفق، يشبه ما تصدره محركات الديزل من أصوات، إلى هنا ليس هناك غموض كبير في هذه القصة، إلا أن جرعة الغموض الزائدة والمثيرة تكمن في أن هذا الصوت من الممكن سماعه بكل سهولة عبر الأذن البشرية، لكنه من المستحيل تماماً تسجيله بأي ميكروفون أو أي أداة تسجيل صوت ، مهما كانت حديثة وعالية الدقة .. والمثير أكثر بهمهمة تاوس، أنه إلى هذه اللحظة، ومنذ ظهوره للمرة الأولى، لم يتمكن أي من العلماء أو الخبراء من معرفة مصدرها أو تحديد مكانها ولو بشكل تقريبي.!!

③ صوت صادر من أعماق المحيط سمع عن بعد 5 آلاف كيلومتر

: هذا ما حدث قبل قرابة **21** عاماً، وتحديداً خلال العام **1997**، حين صدر صوت قوي

من أعماق المحيط بلغ صداه مسافة **5** آلاف كيلومتر، حيث تمكنت المسجلات الصوتية للإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي في أعماق البحار من التقاطه وتسجيله، وكان يُسمع بشكل واضح من كل هذه المسافة.. هذا الصوت الغامض والغريب، كان يشبه إلى حد كبير تلك الأصوات التي تصدرها بعض الأحياء البحرية الكبيرة كالحيتان، لكن لم يتمكن أي من العلماء من تحديد نوع الحيوان الذي أصدره، و كانوا على يقين بأنه لا يوجد أي مخلوق بحري يمكنه إصدار صوت بكل هذه القوة، حتى الحوت الأزرق بذاته و المعروف بأنه يصدر أعلى تردد صوتي على وجه الأرض، لا يكون بهذه القوة والعلو ولا بنسبة ضئيلة للغاية منه **!!**

④ دوائر عملاقة ترسم في الحقول بين عشية و ضحاها !!

: دوائر المحاصيل عبارة عن تصاميم مبهمة

تطبع أو تتكون خلال ليلة واحدة في الأراضي التي يزرع فيها القمح والشوفان والذرة بالإضافة إلى حقول الحشائش والأشجار .. و بعد ظهور عدد متزايد من هذه الرسومات (خاصة في انكلترا) في نهاية السبعينات من القرن العشرين، أصبحت الموضوع الأكثر إثارة للجدل في العالم .. و بالرغم من وجود عدد من النظريات حول كيفية صنعها، إلا أن مصدرها الأكيد لا يزال مجهولاً و غامضاً و ربطت بالطبع بالفضائيين كغيرها ..!!

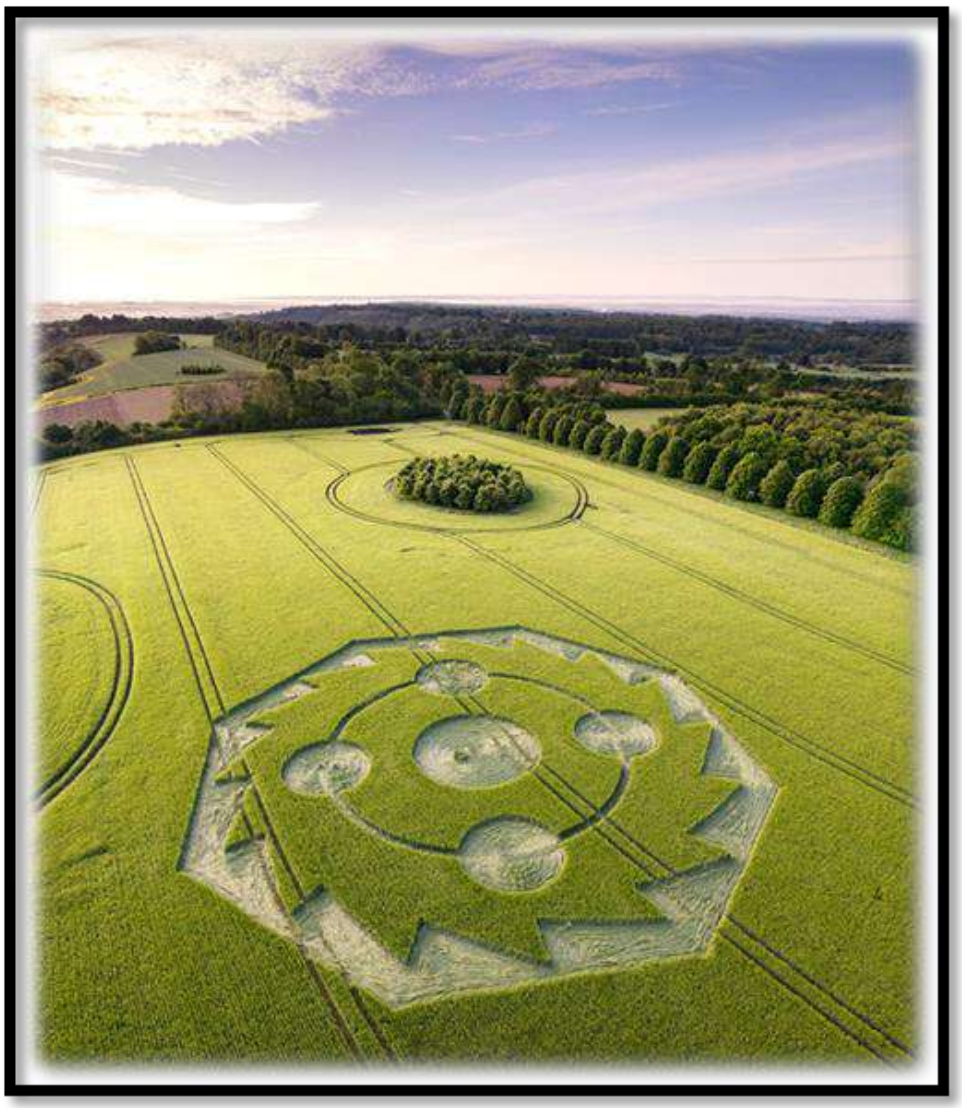

⑤ **أضواء مارفا الشبحية** : أضواء كروية بحجم كرة السلة و بألوان مختلفة تظهر في محيط قرية مارفا في صحراء ولاية تكساس ، لكن الجميع أكدوا أنهم عندما حاولوا الوصول إليها لم يعثروا على أي أثر لها !! و لا يزال تفسير مصدر هذه الأضواء غامضاً حتى يومنا هذا !!

ثانياً ، أماكن غامضة :

① **جسر أوفرتون في اسكتلندا** : يعتبر جسر أوفرتون فى دمبارتون بإسكتلندا، من الأماكن التي

تحدث فيها أمور غامضة وغريبة، يعرفه معظم الناس بأنه (جسر الكلاب المنتحرة) ، لأنه منذ أكثر من **50** عاما، تم إطلاق العديد من الكلاب هناك وانتهى بها المطاف في قاع الوادي !!

و حتى الآن لم يجد العلم تفسيراً لسبب حدوث هذه الظاهرة، حيث تصل الكلاب إلى الجسر ، ثم فجأة يبدو وكأن شيئاً ما يدفعها للقفز من أعلى الجسر فتنفذ الأوامر المجهولة بدون تردد !!.

يعتقد البعض أن جسر أوفرتون هو المكان الذي تتلاقى فيه السماء مع الأرض، مما يمنحه قوى التنويم المغناطيسى .. بينما يعتقد آخرون أن شبح السيدة البيضاء المشهورة هناك يجوب هذا المكان ويحث الكلاب على القفز .. و تبقى كلها مجرد تخمينات بلا تفسير نهائي مؤكد !!

② مدينة موهينجو دارو فى باكستان : تقع

مدينة موهينجو دارو الغربية في وادي إندوس في باكستان، و تعد من أكثر الأماكن غموضاً على وجه الأرض حالياً، إذ تتجاوز فيها درجة الإشعاع **50** مرة ما هو مسموح به ليكون قاتلاً ..

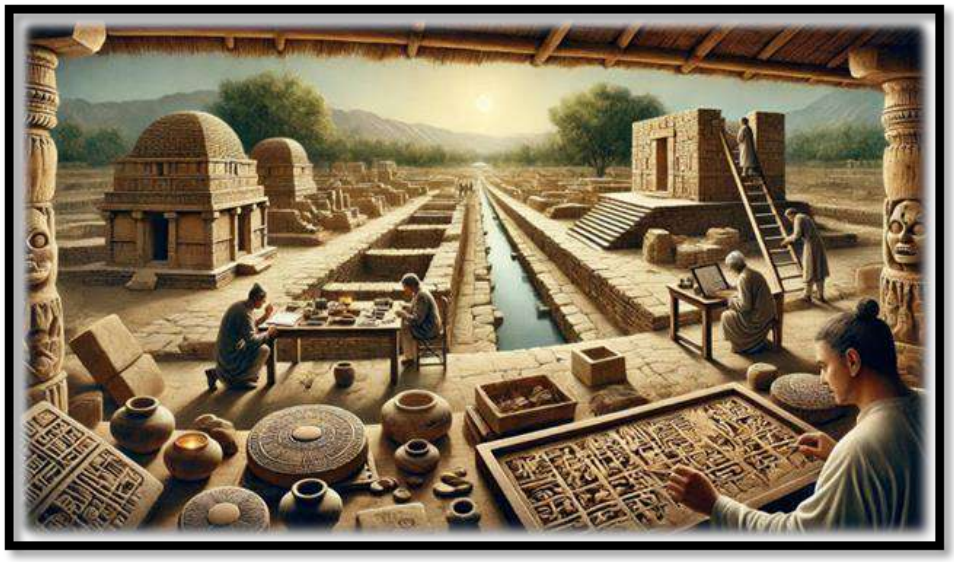

توجد هذه المدينة تحت الصحراء ويبلغ عمرها حوالى **4600** عام، كل شيء يشير إلى أن سكانها اختفوا بين عشية وضحاها، وعُثر في الآثار على سلسلة من الجثث التي يعانق بعضها بعضاً ، ويبدو أن الكثير منها مصاب بالتسمم الإشعاعي، و لا تفسير منطقي لهذه الظاهرة ، فمن أين أتى الإشعاع في تلك الفترة من التاريخ ؟!

③ كهوف تاسيلي : تقع سلسلة الكهوف هذه في

مرتفعات تاسيلي على **الحدود الليبية الجزائرية**..و تم

اكتشافها بالصدفة في عام **1938**، وكانت محتوياتها مثيرة و غامضة للغاية ، مما جعلها تتحول من مجرد كهوف في سلسلة مرتفعات إلى واحدة من أكثر الألغاز غموضاً التي يحاول العلماء إيجاد تفسير علمي ومنطقي لها حتى يومنا هذا دون جدوى.. فقد رسمت على جدران تلك الكهوف نقوش ورسومات قديمة جداً تشير إلى وجود حضارة قديمة في هذه المنطقة.. الأمر عادي ومقبول تماماً حتى الآن لأي عالم حفريات أو آثار، لكن تلك الرسوم، و بعد التدقيق فيها، تبين أنها تشير إلى أمور غير عادية على الإطلاق بالنسبة لرسومات قديمة في سلسلة كهوف مهجورة..

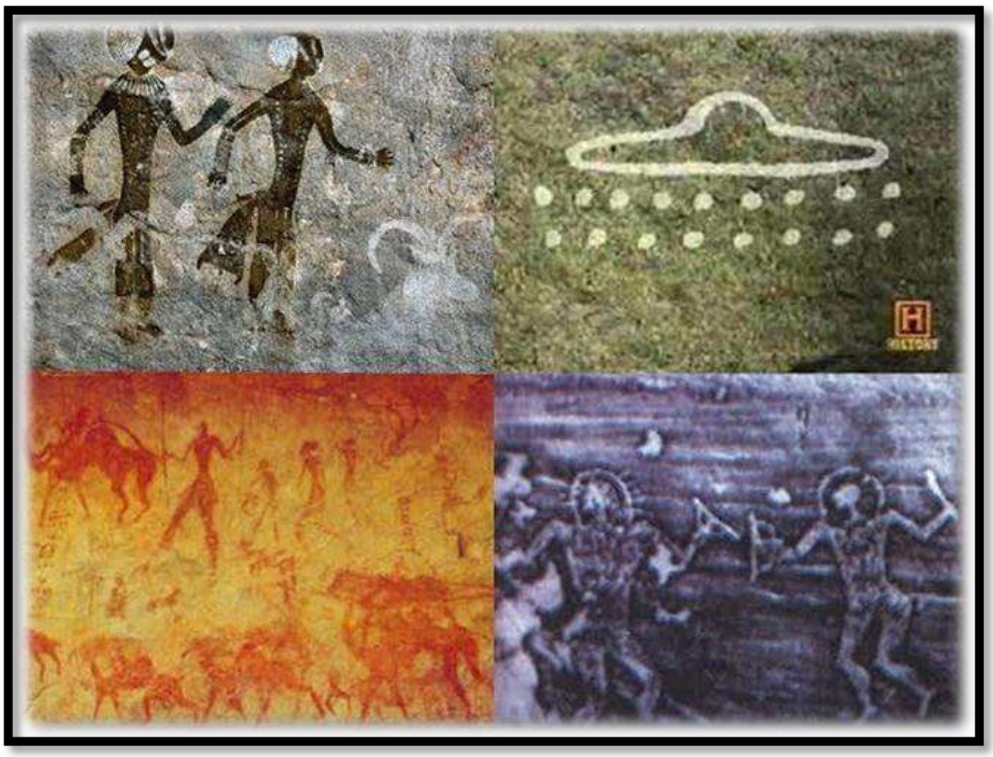

فهناك رسومات لمخلوقات بشرية تطير في السماء، وترتدي أجهزة طيران، وملابس شبيهة بملابس رواد

الفضاء ومركبات فضائية.. وهناك أيضاً رسومات لبعضهم يرتدي ملابس تشبه ملابس الغواصين البشريين، وآخرون يتجهون نحو ما يشبه اسطوانات غامضة تبدو وكأنها تهبط من السماء..

لذلك، قرر الباحثون والعلماء الذين توافدوا على هذه المنطقة أن يقوموا بالشيء المنطقي الوحيد الذي يثبت جدية هذه الرسومات من عدمها، وهو دراسة عمر هذه اللوحات والرسوم ، فكانت المفاجأة أن عمرها يتراوح بين **17** إلى **20** ألف عام !!

بعد هذه الحقيقة العلمية المؤكدة، ظهرت نظريات مختلفة، منها ما يقول إن مخلوقات فضائية جاءت إلى هذه المنطقة في هذا الوقت السحيق من عمر الحضارة البشرية، وأرادت ترك أثر بها. ونظريات أخرى تقول إن هذه الرسوم والجداريات رسمها بشر من المستقبل استطاعوا العودة إلى الماضي بتقنية معينة سيتوصلون إليها، وأرادوا ترك هذا الأثر للتعبير بأنهم استطاعوا العودة إلى الماضي. وهناك نظريات تشير إلى أن هذه الرسومات وضعها أهل أتلانتس الغارقة، الذين توصلوا لعلوم وتقنيات مذهلة تضاهي ما وصل إليه البشر اليوم.

لكن المؤكد هو أن كهوف تاسيلي تحديداً هي واحدة من أكثر الظواهر غموضاً في التاريخ الإنساني منذ اكتشافها، والتي تثبت بشكل عام أن التاريخ الذي نعرفه

اليوم هو تاريخ حديث الولادة، وأن هناك أناساً وشعوباً وحضارات وأحداثًا جرت في هذه الأرض منذ زمن سحيق، ولا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق !!

④ **بئر الكولا في روسيا**: هي مشروع علمي أجري في الاتحاد السوفيتي لاستكشاف قشرة الأرض وهي أعمق بئر استكشافية في العالم .. بدأ الحفر عام **1970** و توقف عام **1989** عام مخلفاً ثقباً عمقه أكثر من **12** ألف متر أي أنه أعمق من **خندق ماريانا** في المحيط الهادئ و الذي يعتبر أعمق نقطة طبيعية على سطح الكوكب .. !!!

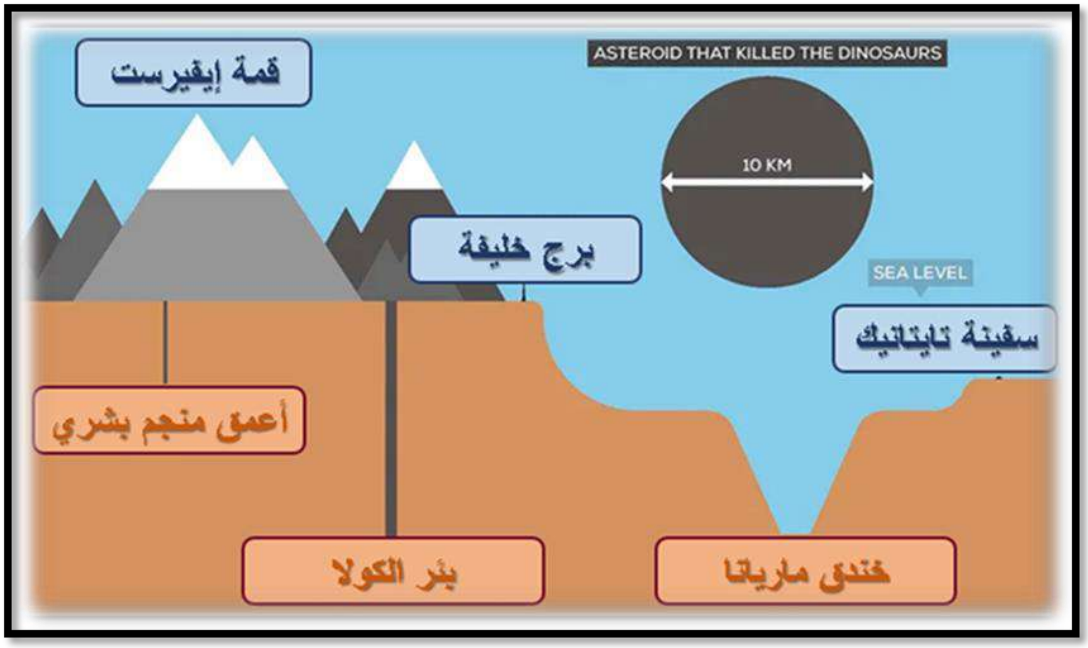

⑤ **حزام الصمت** ، **المكسيك** : منطقة محرمة على البشر والحيوان في صحراء مابيمي ، من يتجرأ و

يدخلها سيختفي بشكل غامض أو يموت ميتة مشبوهة. كثرت حولها نظريات المؤامرة وأكد البعض أنها حلقة التواصل مع الفضائيين، كل ذلك وأكثر تضمه تلك البقعة المعزولة عن العالم الخارجي، حيث يختفي كل شيء ويمحى من الوجود ليصبح الصمت يتيماً في الأُفق ..

توارت منطقة السكون عن الأنظار على مر عقود سابقة، ولكن لم يدم سرها طي الكتمان طويلًا؛ ففي عام **1930** انطلقت حولها الشائعات لأول مرة، عندما اضطر الطيار المكسيكي **فرانسيسكو سارابيا** إلى القيام بهبوط اضطراري، حيث لاحظ تصرفات غريبة في الطائرة بينما كان يحلق فوق المنطقة ، بدأت بتعطل أجهزة الراديو والاتصالات والمعدات اللاسلكية، حتى كاد أن يفقد السيطرة على الطائرة، لتبدأ الاسئلة في التزايد عن السبب؟ وما علاقة المنطقة بالأمر؟

بعد مرور **40** عاماً على حادثة سرابيا، وتحديداً في عام **1970**، انطلق صاروخ أمريكي من **قاعدة صواريخ وايت سانز** الموجودة في ولاية نيو مكسيكو، عندما أراد الجيش الأمريكي اختبار صاروخ جديد، وكان من المفترض أن يمر الصاروخ بجانب منطقة حزام الصمت حتى يصل إلى الهدف المحدد، ولكن ما حدث كان مغايراً للمتوقع حيث غير الصاروخ مساره،

وشق طريقة قاطعاً منطقة الصمت ليسقط فيها مُنفجراً ومُحطماً لأجزاء صغيرة..

بعد هذه الحادثة سافر فريق من المحققين التابعين للقوات الجوية الأمريكية، ومعهم مستكشفين وعلماء بعد موافقة الحكومة المكسيكية ليتعرفوا على سبب تحطم الصاروخ، وعندما وصلوا إلى موقع الحطام اكتشفوا أن الصاروخ لم يكن الوحيد الذي تحطم، حيث عثروا على بقايا لصاروخ آخر تابع لمشروع أبوللو أيضاً ..

منذ تلك اللحظة قررت الحكومة الأمريكية أن تكتشف السر، وعكف فريق من الباحثين على دراسة ظواهر المنطقة، ولكن ما حدث معهم كان غريباً جداً ، فقد كان التواصل اللاسلكي شبه مستحيل، وانعدمت إشارات الراديو والتليفزيون، بينما فقدت خاصية **GPS** قدرتها على العمل، ولم تستطع الأقمار الصناعية اختراق المنطقة أو رؤيتها، حتى الساعات توقفت عن الدوران،

وضلّت البوصلة طريقها فلم تعد تحدد الاتجاهات.. !!!

لتبقى منطقة الصمت الصحراوية هذه لغزاً عصياً على التفسير حتى يومنا هذا ..

ثالثاً ، حوادث غامضة :

① طاعون الرقص الغامض في فرنسا :

بدأ كل شيء في عام **1518** عندما شرعت امرأة تدعى السيدة تروفيا أصيبت بالطاعون بالرقص في وسط مدينة ستراسبورج الفرنسية ، ثم انضم إليها فيما بعد **34** شخصاً مصاباً ، وبعد فترة وجيزة من انتشار الطاعون أكثر وصل عدد الراقصين إلى **400** شخص ، و استمر الرقص لأيام دون توقف حتى بدأ الراقصون بالموت من شدة الإعياء و التعب ، فكان يموت منهم حوالي **15** شخصاً يومياً ..

حتى يومنا هذا ، لم يستطع العلماء تفسير هذه الظاهرة الجماعية العجيبة .. لتبقى من أغرب الظواهر عبر التاريخ !!

② **جزيرة جيولا** ، **إيطاليا** : تقع هذه الجزيرة في البحر التيراني و بالتحديد في خليج نابولي، كجزء من أرخبيل كامبانيان البركاني .. و هي عبارة عن جزيرتين صغيرتين يصل بينهما جسر حديدي ..

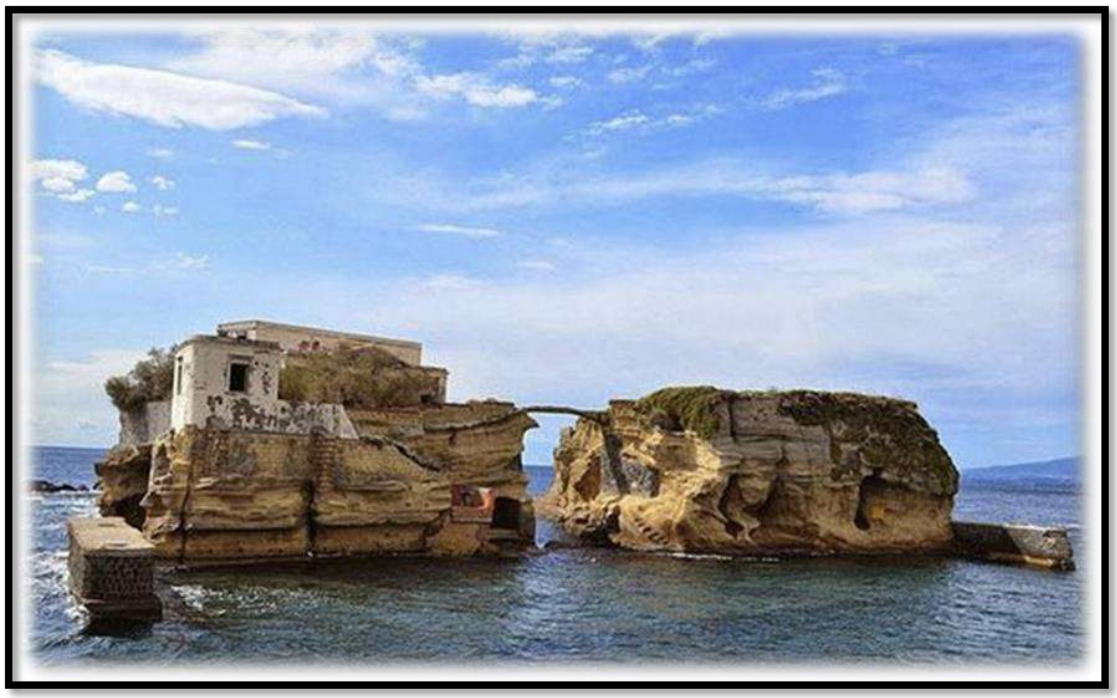

اسم الجزيرة يعني باللاتينية (الكهف الصغير) .. و هي قريبة جداً من الساحل، ويمكن الوصول إليها سباحةً.. في الأصل كانت موقعاً لمعبد صغير مجهول ، و في القرن **17** كانت الجزيرة مليئةً بالمصانع الرومانية القديمة، ثم أصبحت نقطةً بحريةً للدفاع عن خليج نابولي في القرنين التاليين ..

في نهاية القرن **19** شاعت على الجزيرة قصة غريبة عن ناسك اتخذها موطناً له و يقال أنو كان ساحراً و نسجت حوله الكثير من القصص الغامضة ..عاش لسنوات علي ما يقدمه له صيادو المنطقة من صدقات، لكنه اختفى فجأة على نحو مبهم و لم يظهر ثانيةً .. و منذ تلك اللحظة بدأت القصص الغريبة تحدث على الجزيرة .. فبعدها بفترة قصيرة امتلك الجزيرة تاجر إيطالي ثري يدعى **لويجي دي نيغري** و بنى عليها فيلا صغيرة مازالت موجودة حتي الآن لكنه لم يبقِ فيها طويلاً على نحو مريب و سرعان ما انتقلت ملكيتها إلى المهندس البحري **نيلسون فولي**، صهر السير آرثر كونان دويل مؤلف روايات المحقق الشهير شارلوك هولمز ، لكنه غادرها سريعاً و انتقلت ملكيتها مجدداً إلى **نورمان دوغلاس**، مؤلف كتاب أرض سيرن ..

في القرن **20** استمرت السمعة السيئة للجزيرة من عدم استمرارها بيد مالك محدد لفترة طويلة، بل أكثر من ذلك بعد أن أصبحت ملكاً للسويسري **هانز براون**، عُثر عليه ميتاً فيها وملفوفاً في بساط .. و بعد فترة قصيرة، غرقت زوجته في البحر.. فاشتراها الألماني **أوتو غرونباك**، الذي توفي بنوبة قلبية أيضاً أثناء إقامته في الجزيرة.. ثم انتحر المالك التالي للجزيرة و هو صانع الأدوية **موريس إيف ساندوز** ، في مستشفى

للأمراض العقلية في سويسرا ..

كل ما سبق هو البداية فحسب ، فمالك الجزيرة التالي الألماني، البارون **كارل بول لانغهايم**، تعرض للدمار الاقتصادي بعد شرائها مباشرةً.. ومن بعده أصبحت الجزيرة ملكًا **لجياني أنيلي**، مالك شركة فيات للسيارات في تورينيزي، والذي عانى من وفاة العديد من أقاربه منذ اشتراها و كأنها لعنة تصيب كل من يسكنها .. وبعده امتلكها **ج. بول جيتي**، الذي عانى بشكل غامض من انتحار ابنه الأكبر، وموت ابنه الأصغر، وخطف حفيده قبل وفاته بدوره .. و كان آخر مالك خاص للجزيرة هو **جيانباسكوال جرابوني** الذي دخل السجن بعد شرائها مباشرةً ..

تحدثت الصحافة الإيطالية عن لعنة الجزيرة من جديد في عام **2009** ، بعد مقتل **فرانكو أمبروسيو** و زوجته **جيوفانا ساكو**، اللذان كانا بمتلكان فيلا مقابل الجزيرة بالضبط مما عزز لعنتها أكثر .. !!

③ اختفاء الإنويت الغامض في كندا :

كانت قرية الإنويت (الإسكيمو) الصغيرة في كندا معروفة من قبل صيادي الفراء، الذين كانوا يمرون بها من حين لآخر، ولكن في عام **1930** ، حدث شيء غريب، إذ دخل صياد فراء يدعى جو لابيل إلى مقر

القرية ولم يعثر على شخص واحد هناك.

في الواقع ، تم العثور على **7** كلاب زلاجات ميتة من الجوع في قبر بدا وكأنه من صنع الإنسان ..

تم إجراء بحث موسع للعثور على الأشخاص المفقودين ، ولكن لم يتم العثور و لو على جثة واحدة . قبيلة كاملة اختفت دون سبب واضح و دون أي دليل خلفها !!

④ **نهر تيبيكانو** ، **USA** : يسميه البعض لعنة الرؤساء الأمريكيين، فمنذ أكثر من قرنين مضيا، أنزل تكوميش، زعيم سابق من الهنود الحمر، ما يقال إنه لعنة غريبة عند ضفتي النهر الواقع في ولاية إنديانا الأمريكية، التي تُنذِر بالشقاء والموت المُحقَّق لجميع الرؤساء الأمريكيين الذى انتُخِبوا في سنة تنتهى بالرقم (صفر) .!! ومن بين الرؤساء الذين أصابتهم هذه

اللعنة، إبراهام لينكولن الذى انتُخِب عام **1860** وقُتِل بعدها بخمس سنوات، وفرانكلين روزفلت الذى انتُخِب للمرة الثالثة عام **1940** وتُوفى خلال فترة رئاسته بنزيف فى المخ، أما جون كينيدى فقُتِل عام **1963** فى مدينة دالاس عقب **3** سنوات من انتخابه .. !!!

⑤ **غابات هويا باكيو في رومانيا** : غابات غامضة ذات أشجار غريبة منحنية الجذوع ، تدور في فلكها مجموعة واسعة من القصص الغامضة عن الأرواح و

الأشباح و الجن بسبب سماع أصوات مخيفة من أعماقها ، ناهيك عن حوادث اختفاء عشرات البشر فيها

و تتوسط هذه الغابات دائرة عشبية ضخمة لا تنمو فيها الأشجار دون سبب علمي مقنع ، فدراسة تربتها أكدت أنها مشابهة لتربة الغابات المحيطة بها .. و تنتشر بين الناس قصص رؤية أطباق كروية طائرة فوق منطقة الدائرة بالتحديد !!

رابعاً ، اكتشافات غامضة :

① مخطوطة فوينيش:

لو بحثنا في ألغاز التاريخ لوجدنا أنّ أكثر اكتشاف غامض حيّر العلماء هو مخطوطة فوينيش الغامضة التي تبين بفحصها بالكربون أنّها تعود لأوائل القرن **15** و تنقلت بين أيدي كثيرين حتى وصلت إلى بائع

الكتب البولندي ويلفريد فوينيش

في أمريكا الذي احتفظ بها حتى وفاته ثم منحت لمكتبة بينيك في جامعة يال الأمريكية ، و سبب شهرتها الواسعة أنها كتاب مؤلف من **212** صفحة مكتوبة بلغة غريبة لم يتعرف عليها أحد و تعجّ بعشرات الصور الأغرب عن نباتات و حيوانات لم يسبق لأحد مشاهدتها أو السماع بها ..

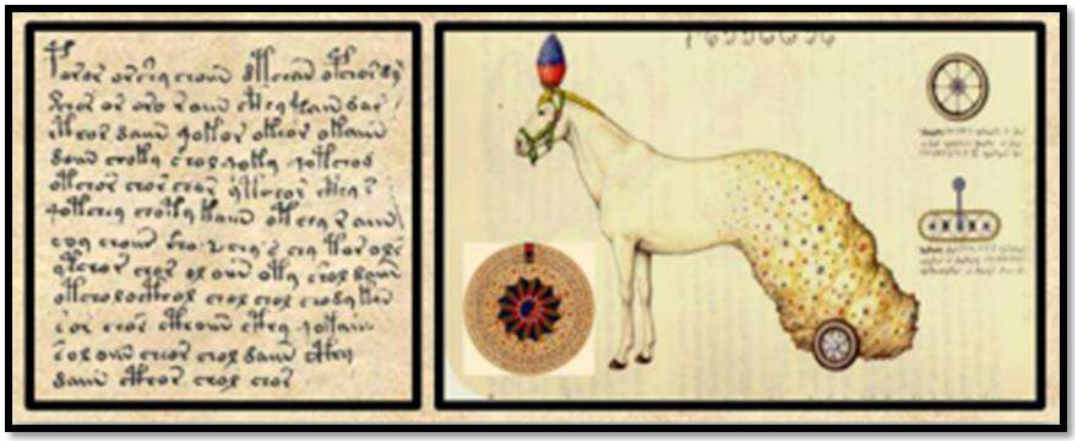

هذا الخليط الساحر من ِشفرة الكتابة و الصورة أثار حماس مئات الباحثين و الخبراء لمحاولة فك شفرتها على مدار عقود عبثاً ، و نحن بانتظار قادم الأيام علّ الباحثين يصلون لفك شفرتها بطريقة ما **!!**

② آثار سومرية قديمة في بوليفيا:

عُثر ضمن آثار موقع تيواناكو الأثري في بوليفيا على أواني أثرية سومرية من العراق، تعود إلى العام **3500** قبل الميلاد، مما يوضح لنا وجود علاقات بين

العالمين القديم و الجديد بشكل أبكر بكثير ممّا نتخيّل!!

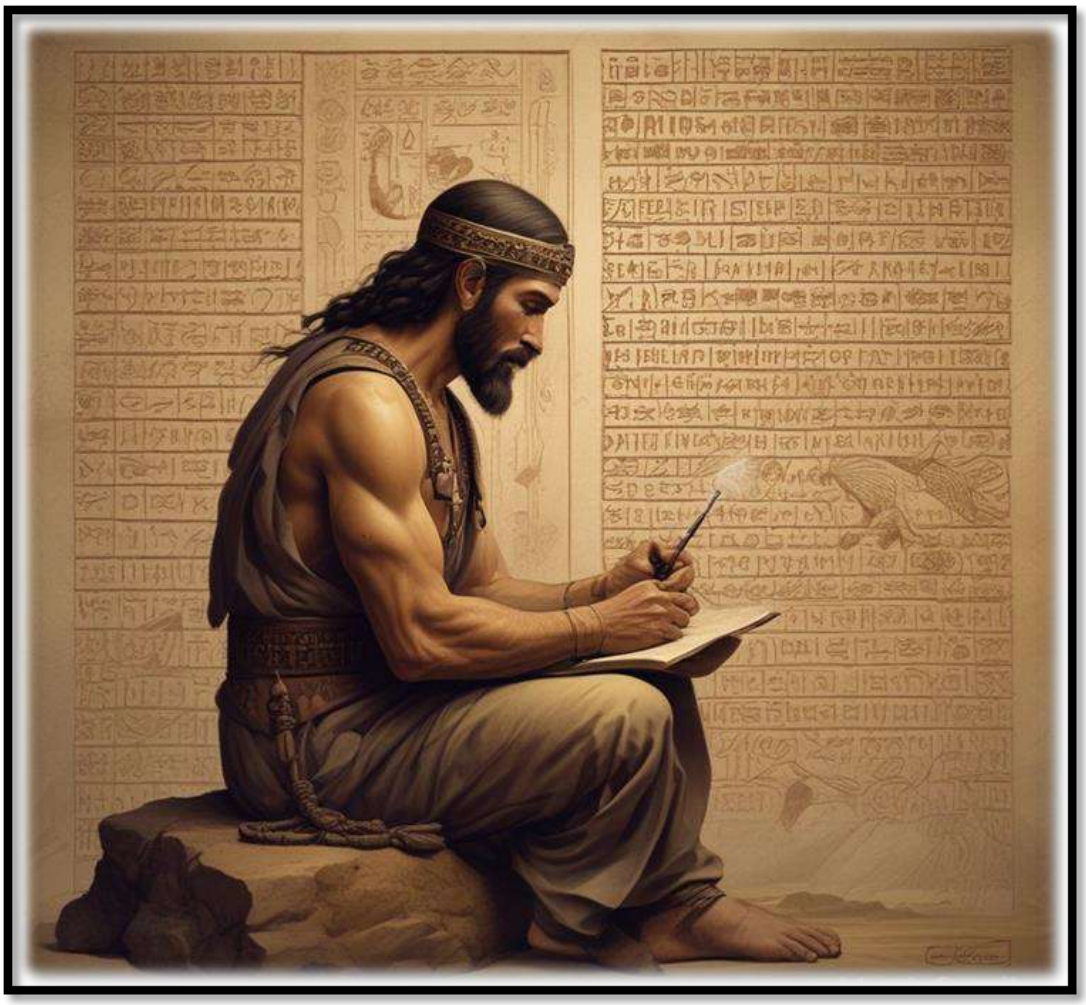

③ تماثيل أكامبارو :

33 ألف تمثال اكتشفت عام **1944** من قبل فالديمار في بلدة أكامبارو المكسيكية الصغيرة قرب العاصمة مكسيكو سيتي، و التي تجسد بشراً يروضون ديناصورات مع مجسمات لسفن فضائية ، ظن البعض أولاً أنها دفنت حديثاً في المنطقة ، لكن العلم أثبت أنها تعود لقرون خلت قبل اكتشاف الديناصورات أو وضع فرضية وجود فضائيين ... مما يطرح العديد من

الأسئلة العجيبة عن هوية مصممها !!

④ **مدينة الجنّ في تركيا** : توجد هذه المدينة العجيبة في مدينة ديرين كويو التركية ، و تم اكتشافها عام **1963** عندما كان أحد السكان يهدم جداراً في منزله، ليفاجأ بغرفة غريبة مفتوحة على بضع غرف متصلة ومتسلسلة..

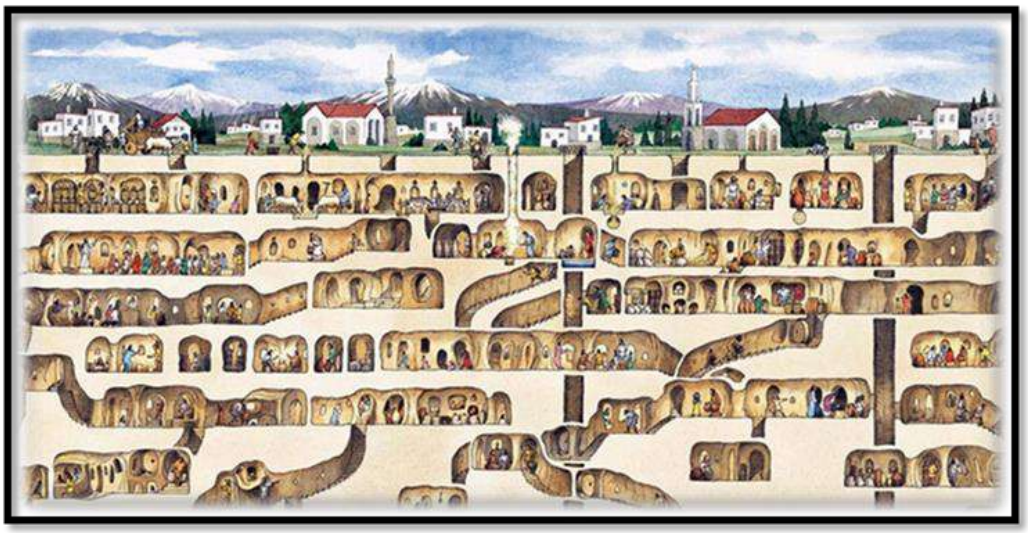

لتكشف الأبحاث الأثرية أن المدينة الغريبة شيدت على عمق عشرات الأمتار تحت الأرض وهي مكونة من **13** طبقة وفق تصميم هندسي دقيق وتفاصيل توفر كل ظروف العيش للإنسان ، من تهوية وماء وغذاء وحماية.. و لا تزال هوية بانيها أو قاطنيها مجهولة حتى اليوم !!

⑤ **صفارات الموت**: عثر علماء الآثار أثناء التنقيب في أواخر تسعينيات القرن الماضي، على رفات شاب يبلغ من العمر **20** عاماً مقطوع الرأس، ويجلس في وضعية القرفصاء عند قاعدة الدرج الرئيسي لمعبدٍ دائري يخصّ الإله إيكاتل، إله الريح عند شعب الآزتيك.. و الهيكلِ العظمي يعود لأحد قرابين ممارسات التضحية البشرية، و كانت بيده صفارات صغيرة مزيّنة بوجهٍ غريب قال البعض أنه وجه فضائي و البعض الآخر قال أنه لجماجم بشرية .. لكنّ علماء الآثار أثبتوا لاحقاً أن صورة الوجه تُمثل الإله كولمزتلي ، إله العالم السفلي عند الآزتيك .. و على نحو يفسر كل ذلك اكتشف العلماء في إحدى صفحات مخطوطة كوديكس بورجيا العائدة لتراث حضارة الإزتيك رسماً للإلهين إيكاتل و أكولمزتلي يقفان و ظهراهما لبعض، بحيث يحرسان مدخل العالم السفلي بحيث يُمثّلان ثنائية الموت والحياة معاً .. مما يفسر

العثور على الصفارات قرب ذلك المعبد .. و لا تزال وظيفة هذه الصفارات المرعبة مجهولة حتى اليوم ..!!

خامساً ، الطبيعة الغامضة :

① نهر الألوان الخمس في كولومبيا : يقع نهر كانيو كريستيلز في حديقة سيرينيا دي لاماكارينا الوطنية في كولومبيا ويعتبر من أجمل العجائب والظواهر الطبيعية الغامضة، ويطلق عليه نهر قوس قزح السائل حيث يتسم قاع النهر بالألوان الزاهية مثل الأخضر والأصفر والأزرق والأسود خلال أشهر محددة بالسنة (أيار ، كانون الأول ، تشرين الأول و حزيران) .. يعتقد بعض العلماء أن هذه الظاهرة تحدث بسبب تكاثر النباتات المائية الملونة في النهر ، إلا أن الدراسات مازالت مستمرة حوله إذ أن هذه الظاهرة لا تحدث في أي مكان في العالم باستثناء

هذا النهر !!!

② **جبال قوس قزح** : جبال عجيبة موجودة في الصين في منطقة دانكسيا ، و هي عبارة عن تكوينات صخرية رسوبية ملونة تتكون من المعادن بجميع أنواعها إضافةً إلى الحجر الجيري و قد تشكلت عبر **24** مليون سنه بفعل عوامل التعرية كالمياه والرياح .. مظهر غريب يسرّ العين و يفرح القلب!

③ **أشجار قوس قزح** : تنتمي هذه الأشجار إلى نوع الأوكالبتوس و تنمو في نصف الكرة الشمالي في الفلبين وغينيا الجديدة وإندونيسيا ، حيث يزدهر في الغابات الاستوائية التي تتساقط فيها الكثير من الأمطار، كما تنمو في الولايات المتحدة الأمريكية ، في المناخات الخالية من البرد كما في هاواي والأجزاء الجنوبية من كاليفورنيا وتكساس وفلوريدا..

و هي أشجار عملاقة قد يصل طولها إلى **80** متراً ، تتميز بلون لحائها الزاهي من ألوان الطيف بظاهرة غريبة غير معتادة **!!**

④ **عفاريت البرق** : ظاهرة منتشرة في ولاية تكساس الأمريكية ، و هي ظواهر كهربائية غريبة تظهر على ارتفاعات عالية فوق السحب الرعدية، وتتميز بمظهرها الشبيه بقناديل البحر السابحة في الفضاء بمظهر سريالي غامض و مخيف بنفس الوقت ..

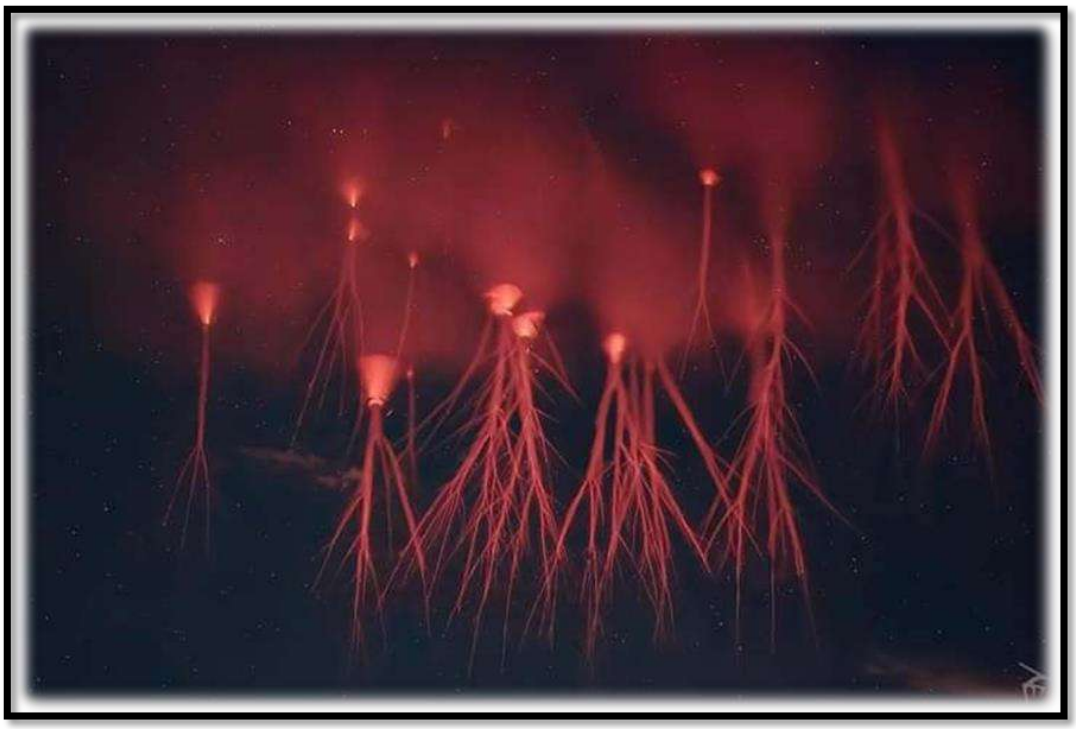

⑤ **الغيوم العدسية** : يخيل للناظر أول ما يراها أنها غزو لكيانات فضائية على الأرض ، لكنها ظاهرة طبيعية تماماً تنجم عادةً عن أسباب تضاريسية، فهي تنشأ خلف الحواجز عندما يواجه الهواء أثناء انتقاله على طول سطح الأرض بعض العوائق والتضاريس الطبيعية للأرض (مثل الجبال أو التلال)، أو الهياكل الاصطناعية (مثل المباني)، حيث تؤدي هذه العوائق

إلى تعطيل تدفق الهواء فتتحول حركته إلى دوامات، لتأخذ السحب مظهر الشجرة أو الهرم ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الكوكب المضجر**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= كوكب الأرض ممل للغاية ، فالأحداث الطبيعية و البشرية فيه معروفة و تتكرر باستمرار ..

بل أن نقول :

= كوكب الأرض يعجّ بالظواهر و الأحداث و الأماكن الغريبة و الغامضة و المثيرة ، لكن علينا أن ننقب عنها بأنفسنا في مغامرة شيقة تحبس الأنفاس ، بل إن أجمل ما في كوكبنا العزيز أنه يتحفنا بمزيد من الإثارة مع

كل يوم جديد..

في صفحات التاريخ أسماء كثيرة لرحالة دفعهم حب المغامرة و البحث عن الإثارة للتجوال بين قارات العالم و التعرف على كل ما هو جديد و مثير و غامض قاطعين آلاف الكيلومترات في سعيهم هذا ، **كابن بطوطة** و **ماركو بولو** و غيرهم .. أما أنت عزيزي القارئ فلن تصدق كم أنت محظوظ .. فبوجود الأجهزة الذكية و الانترنت ، يمكنك زيارة كل العالم و التعرف على كل ما هو غريب و غامض و أنت جالس في مكانك تحتسي فنجان شاي .. لذا لا تفرط بهذه النعمة العظيمة و استثمرها .. علّ هذه المغالطة تكون بمثابة فتيل إشعال لقنبلة البحث و الاكتشاف لديك .. فما خفي من عجائب كوكب الأرض أعظم بكثير مما ذكرناه !!

مغامرة الغرب الفاجر

(سرير بروكرست)

= الغربيّ عبارة عن كتلة من العيوب الصرفة و يجب محوه من البشرية فوجوده غير شرعي و ضارّ ..

= لولا الغرب لكان كوكب الأرض عبارة عن جنة ..

*****

هذا كلام مجتزأ من حوار دار بيني و بين أحد معارفي منذ فترة ، حاول فيه إقناعي بأن الغرب رمز للشر و الشيطان و بأنه يجب محوه من الوجود ليتحول العالم إلى جنة حسب وجهة نظره مستخدماً كماً هائلاً من المغالطات المنطقية في حواره لا **سيما مغالطات الشخصنة و رجل القشّ و التأطير و التسليم بالصواب** و التي تحدثنا عنها من قبل ، لم أناقشه كثيراً لأنني أعرف أنّ من يتحدث بطريقة شمولية فيقسم كل شيء إلى نقيضين أبيض و أسود يعاني من طيف من اضطراب الشخصية الحدية كما سبق و ذكرنا في إحدى مغالطاتنا و هذا الصنف من البشر جلّ همه هو إقناعك برأيه و لا يهتم أبداً بوجهة نظرك ولو كانت مدعمة بالحقائق و الأرقام ، فهو يرى محاسنه هو و عيوب الآخرين فقط و لديّ معارف يدعمون الغرب بنفس الطريقة و أتجنب نقاشهم بدورهم

و هنا قررت أن أقارب الموضوع عبر مغالطة مستقلة ، و هذه المغالطة لا تعني إطلاقاً أنني أتبنى جميع مواقف

الغرب بشكل بديهي، كما أنني بالطبع لا أتبنى جميع مواقف الشرق بدوره ، لكن بحكم أنني تطرقت إلى بعض عيوب الغرب من قبل في مغالطات سابقة فالإنصاف أن أتحدث عن بعض إيجابياته أيضاً ، لنرى هل تصوير الغرب على هذه الهيئة الشيطانية كشرّ مطلق بلا محاسن هو حقيقة بالفعل أم مغالطة جديدة تنضم إلى قافلة سلسلة مغالطاتنا ؟ و هل بقية العالم ملائكة بلا عيوب ؟

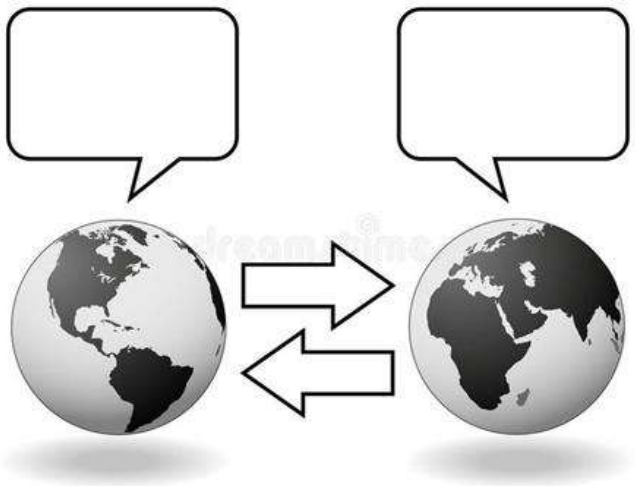

هذا ما سنحاول مقاربته بتجرد و حياد خلال الصفحات القليلة التالية لنتوصل إلى نتائج مرضية قائمة على الأدلة و البراهين و الأرقام ، لا على رغبات النفس البشرية التي تنحو في العادة منحاً ظالماً قائماً على التعامي عن العيوب الشخصية و التغاضي عن محاسن الآخرين أو محاولة طمسها سواء بالتزييف أو بالقوة ..

لكن قبل الخوض في غمار مغالطتنا الهامة هذه لا بد من التركيز على نقطتين أساسيتين :

❁ وجود سلبيات في الإنسان أو الدول ليس عيباً على الإطلاق بل واقع يشمل جميع البشر و الدول ، و إنما العيب ألا نعمل على تصويب هذه العيوب مع الزمن ، و العيب الأكبر في الحياة هو ادعاؤك أنك لا تخطئ و بلا عيوب ، فالأنبياء أنفسهم لم يكونوا كذلك كما حللنا ذلك بالأدلة في المغالطة السابقة فأي بشري يحقّ له أن يدعي ذلك ؟! و هذا ليس عيباً فحسب بل موضوع خطير للغاية لأنه يعمي الإنسان عن عيوبه و يدفعه لمهاجمة البشر من حوله و التفنن بعدّ عيوبهم بدلاً من تصويب عيوبه الذاتية .. كما أنه يعميه عن محاسن غيره التي ربما لا يملكها بنفسه و الهيام بمحاسنه الشخصية ..

❁ السماء بنفسها لا شرقية و لا غربية بل تحمل العالم كله في عيونها ..

و من نعم السماء الكبرى عليّ كما أؤمن أنني أتيت إلى هذه الحياة في منطقة جغرافية تقع تماماً في وسط الكرة الأرضية فلا أنتمي للشرق كي أدافع عن محاسنه

بشراسة و أغفل عيوبه كما لو كان معصوماً ، و لا إلى الغرب فأفعل الشيء ذاته.. أي أنني ألتزم بسياسة و فلسفة السماء ذاتها (**رؤية العالم برمته بتجرد و حياد .. بعيوبه و محاسنه .. فأشير إلى العيوب من باب الفائدة لتصويبها و ليس بغاية التشويه ، كما أطري على المحاسن و أشكر فضلها على البشرية جمعاء و هذا ما فعلناه و نفعله في سلسلة المغالطات هذه**) ..

إذاً فسؤالنا الهام الجوهري في مغالطتنا الجديدة :

(هل الغرب بالفعل هو شرّ مطلق بلا محاسن، في حين أنّ بقية العالم هو الخير المطلق بلا عيوب ، و ماذا قدّمت و تقدم دول العالم للبشرية من منفعة في يومنا الحاضر ؟)

للإجابة عن هذا السؤال بشكل أعمق سنقوم بمقاربة مغالطتنا عبر عدة نقاط محورية بالأدلة و الحقائق و الأرقام التي لا تكذب على خلاف الطبيعة البشرية ..

لكن قبل القيام بذلك تجدر الإشارة إلى نقطة غاية في الأهمية في هذا الصدد و هي الكيل بمكيالين في مفهوم الغرب و الشرق في العالم .. فنرى البعض مثلاً يسقط أمريكا الجنوبية مثلاً من غرب العالم رغم أنها تقبع في أقصى غرب العالم .. و يسقط اليابان و استراليا من

شرقه و مع أنهما تقبعان في أقصى الشرق منه .. و هذا تفصيل للواقع على المقاس الشخصي و تلاعب به كما نشاء كي يلائم مصالحنا و يحقق أكبر مكسب مادي أو معنوي لنا على نحو غير منطقي و متناقض كما فعل صديقي الذي تحدثت عنه منذ قليل خلال حوارنا ..

و الآن هيا بنا عزيزي القارئ نقارب مغالطتنا عبر نقاطها الهامة و المحورية التالية :

❁ المرأة و الجنس :

نبدأ من فكرة الجواري و بيع النساء في سوق النخاسة و التي كانت مشهورة للغاية في مناطق كثيرة حول العالم غير الغرب في التاريخ بل أصبحت من السمات الأساسية لبعض الشعوب و اقترنت صورتهم بها..

من جهة أخرى يلام الغرب على الحرية الجنسية الزائدة التي تتجاوز بعض الحدود الأخلاقية في عدة أمور بلا شك .. لكن بالمقابل نجد نسبة الكبت الجنسي و التحرّش مرعبة في مناطق أخرى من العالم و كثيراً ما تكون نهايتها الاغتصاب أو الزنا في الخفاء أو تعدد الزوجات غير العادل أو أشكال مبتدعة من الزواج التي تنتهي في المحصلة بما يفعله الغرب تماماً ، فالجميع يبتعد عن الاعتدال في هذه النقطة ..

و حتى زمن قريب كانت المرأة في بقاع من العالم

مجرد آلة للإنجاب و إمتاع الزوج حتى اقترنت صورة البشر هناك حول العالم بالذكر المسيطر المتحكم بزوجته و يعاملها كعبدة أو أمة عند البعض ، أو يرى دورها في الآخرة كجواري مهمتها الوحيدة إمتاعه عند البعض الآخر ، أو أنه يمشي و خلفه أكثر من زوجة كإثبات لرجولته و فحولته عند آخرين ، في حين كانت المرأة في أغلب بقاع الغرب أكثر تحرراً و ذات شخصية قيادية ، مستقلة و بعيدة عن هذه الصفات و التصورات بل ترفضها شكلاً و مضموناً و لا تسمح للرجال بالتحكم بها ، و بسبب طفرة حدثت منذ زمن ليس ببعيد تغيرت معاملة النساء في العالم برمته و أصبحت مكانة المرأة أكبر فنالت مزيداً من الحقوق و الحريات المفقودة ، و قد يحاجج بعض الذكور بأنّ المرأة عورة يجب ألا يراها أحد فيصادرون قراراتها و يضيقون الخناق عليها بحجّة أن المنزل أو القن هو مكانها المناسب .. لكن لا ننس بأن خديجة زوجة رسول الرحمة محمد كانت تعمل بالتجارة ، بل إنه عمل تحت سلطتها في شبابه و كانت تؤتيه أجره ، فالعمل ضرورة نفسية قبل أن يكون ضرورة مادية .. لذا فعمل المرأة في الغرب ليس بعار أو عيب على الإطلاق ، بل هي مكرّمة لدرجة أن بإمكانها رئاسة حكومات و دول كإقرار من الرجل الغربي بإمكانياتها العقلية و القيادية و حكمتها فهي ليست بتابع للذكر تلتزم بأوامره و

توجيهاته دون نقاش كما كان الحال في كثير من بقاع العالم حتى زمن قريب ، و لا يزال للأسف عند قلة حتى اليوم تحت مسميات مختلفة .. و هذه المكانة المميزة للمرأة الغربية هي أول إيجابية عند الغرب في مغالطتنا ..

❁ **التمييز العنصري** : فيلام الأوربيون على استعباد الأفارقة في فترات من التاريخ و هذه بلا شك وصمة عار على جبين الإنسانية ، لكن هذا لم يعد واقعاً اليوم بل على العكس نرى رؤساء منهم على دول هم أقليات فيها ، كما نجد بلاداً مثل ألمانيا تضم ملايين منهم بعد أن كان مصيرهم التعنيف و النفي أو القتل في زمن النازية و هتلر ، و بلاداً كفرنسا يشكلون المحور الرئيسي فيها .. دون أن ننسى أيضاً بأنّ الرق و العبودية كانت شائعة للغاية في بقاع أخرى من العالم و قبل انتشارها عند الأوروبيين كحال العرب مثلاً .. فنجد

جذور الرق في أمريكا مثلاً تعود لعام **1619** عندما تم جلب **20** إفريقي كعبيد على متن سفينة هولندية إلى ولاية فرجينيا الأمريكية ، لكننا نجد بعدها بفترة قصيرة نسبياً إلغاء أبراهام لينكولن لاستعباد السود الذي حاولت الولايات الجنوبية تكريسه في حين دافع الشمال عن حريتهم وذلك عام **1862** ثم تم منح المواطنة الكاملة لهم عام **1868** ثم تم منحهم حق التصويت عام **1870** ، أما تاريخ الرقّ عند العرب و غيرهم فيعود لقرون عديدة سبقت ذلك ، فهل ورث الأوروبيون هذا التمييز البغيض عن غيرهم ؟! ..

ليس ذلك فحسب بل بدأنا نرى تمييزاً عنصرياً معاكساً في بعض مناطق العالم تجاه بيض البشرة ، و قد روى صديق صادق لي أنه تعرض للتنمر المخزي البغيض في إحدى الدول بسبب شعره الأشقر و لحيته الشقراء في أماكن عمله المدنية و العسكرية بحجة أنها هيئة غير رجولية، و بعيداً عن إهانة مليارات البيض حول العالم بهذا الكلام و بالتغاضي عن حقيقة أن كل ذكر من البشر يحمل جانباً أنثوياً في شخصيته بامتلاكه للصبغي الجنسي الأنثوي **X** و لا يمكنه إنكاره أو حذفه من جسده كما شرحنا في مغالطة سابقة ، و بغض النظر عن تزييف أبسط حقائق الحياة بأنّ تلك الهيئة هي معيار للوسامة و الجاذبية بالنسبة للكثير من الفتيات حول

العالم ، فالأخطر من ذلك كله هو اختزال مقياس الرجولة بذلك إلى الهيئة و الشكل ، لا ربطه **بالعلم و العمل و الأخلاق ، و هذا هو ثالوث الرجولة لا غير** .. مما دفع صديقي في النهاية إلى اعتكاف منزله تجنباً لأذى الآخرين و سطحية تفكيرهم ، محاولاً نفع نفسه و الآخرين ضمن إمكانياته في تلك الظروف الصعبة ، ريثما تتغير الظروف فيعمل بحرية دون تنمّر.. فهل العنصرية بغيضة في مناسبات و مشرّعة و مستحبة في مناسبات أخرى أم أنها كغيرها شعارات رنانة فيحاسب الإنسان على لون بشرته تبعاً للمصالح الشخصية أو الأساطير السائدة كما تعرض ذوو الشعر الأحمر عند بعض الثقافات للتنمر بربطهم بقصص مهينة حسب أساطيرهم .. و هذا يؤكد أن التمييز العنصري ليس رهناً بلون بشرة محدد بل تم تطبيقه على الأقليات في كل مكان على اختلاف ألوان بشرتهم أو دياناتهم أو أعراقهم كالأرمن و الشركس ومسلمي الروهينجا و غيرهم .. فالمشكلة الأساس هي شعور الأكثرية بالتفوق بالقوة على الأقلية فيترجمون ذلك إلى تنمر و تعنيف و استغلال ..

و تصويب الغرب لعيبه الكبير هذا فيما مضى هو ثاني إيجابية في مغالطتنا ، و في هذا السياق نذكر هذه المقولة الجميلة للرئيس الأمريكي الأسبق **ريتشارد نيكسون** :

((إذ أردت صنع موسيقى جميلة فعليك أن تعزف

النغمات البيضاء و السوداء معاً))

فهذا هو واقع الحياة في أمريكا اليوم مثلاً بعد إيجابية القضاء على العنصرية البغيضة ، على أمل ألا يعقب أفولها في الغرب ، استيقاظها مجدداً في الشرق كإحياء لتراث الأجداد القديم !!

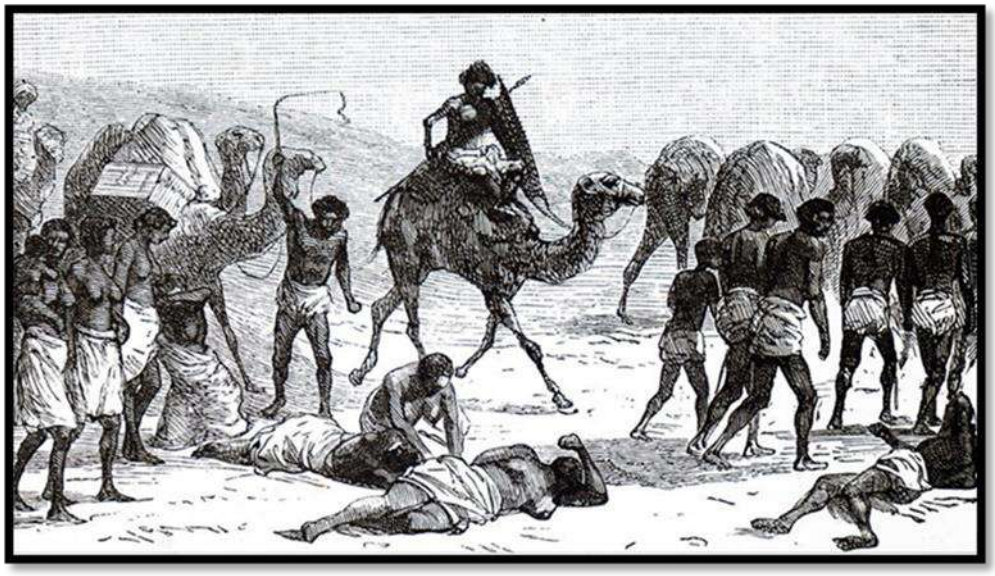

❁ **الغرب مجرم و بقية العالم مسالم** : فهل هذا التعميم صحيح ؟ كيف ننسى ما فعله المغول أو اليابانيون أو الصينيون أو الفرس وغيرهم بالشعوب الأخرى عندما كانوا امبراطوريات مهيمنة و متوسعة.. أيضاً كيف وصل العرب إلى شمال إفريقيا أو غرب آسيا أو شبه الجزيرة الإيبيرية أو بلاد الهند و السند ؟ بالورود و أغصان الزيتون أم بالقوة لنشر الدين بالإجبار تحت شعار (**أسلم تسلم**) البغيض و فرض لغتهم و هويتهم على شعوب أخرى على خلاف تعاليم القرآن الكريم الصريحة .. فهل كانت إسبانيا مثلاً للعرب سابقاً دون أن نعلم و أرادوا استعادتها ؟!

من جهة أخرى تطرّق صديقي في هجومه على الغرب إلى فكرة هامة للغاية بأنّ الولايات المتحدة الأمريكية بلد احتلال قام على قتل الأوروبيين للسكان الأصليين من الهنود الحمر و احتلال أراضيهم ، وهذا صحيح و وصمة عار على جبين التاريخ بدوره .. لكن الحقيقة أن الواقع هو ذاته في أمريكا الجنوبية بل قام الإسبان و البرتغاليون بفظائع أكبر بحق الهنود الحمر هناك ، و مجازرهم أكثر وحشية بكثير و اليوم هم الغالبية الساحقة من التعداد السكاني لهذه القارة .. لكن صديقي لم يطالب بطردهم من القارة كونهم صنيعة احتلال و بطش و عودتهم إلى قارتهم الأصلية أوروبا كحال

الأمريكيين الشماليين ، فهل وجودهم فيها أصبح واقعاً مفروضاً و مشروعاً لا يقبل النقاش أو الطرح إن كانت مكاسبنا تتقاطع معهم ، أي أن مقاييسنا للأمور تتغير حسب خريطة المصلحة الشخصية.. ؟!

فشرف الأوطان لا يسقط بالتقادم والاحتلال لا يصبح شرعياً بالتوارث و التواتر و مرور السنين كما أنه لا يطبق في بقاع معينة من الأرض و نغضّ الطرف عنه في بقاع أخرى وفق أهوائنا و مصالحنا !! فندعم السكان الأصليين في بلاد معينة على استرداد أرضهم و لغتهم و هويتهم ، و نطالبهم في بلاد أخرى بالقبول بالواقع الجديد المفروض و نعتبره شرعياً بسبب مرور الزمن ، و الأسوأ ألا نعرف هويتنا الحقيقية بجذورها التاريخية و ندافع عن هوية احتلال فرض علينا بالقوة بجهالة أياً كان هذا الاحتلال مثل احتلال الأوروبيين

للأمريكيتين ، احتلال بريطانيا للهند أو توسّع العرب خارج حدود شبه الجزيرة العربية ..

و كخلاصة لهذه النقطة : مما لا شك فيه أنّ احتلال بعض دول الغرب لدول أخرى هو سلبية كبيرة في تاريخ الغرب ، لكنّ ذلك كان واقعاً مشابهاً في الشرق في فترات كثيرة من التاريخ حاولت فيه الامبراطوريات التوسع و مد نفوذها على حساب الآخرين .. و تعميم هذه الصفة على الغرب فقط أمر غير منطقي و غير عادل يكيل بمكيالين ..

❁ **الاستعمار الغربي**: اعتمد صديقي في نقاشنا على **مغالطة التسليم بالصواب** كثيراً ، فكان يتحدث بكثرة عن فتوحات العرب المجيدة و عن الاستعمار الأوروبي البغيض رغم أن هذه الجملة مفعمة بالأخطاء **التاريخية** و **الدينية** على حد سواء ، كيف ذلك ؟

تعال عزيزي القارئ كي نقارب هذه الجملة قليلاً **بمنطق مجرّد من العاطفة** :

الاحتلال بالتعريف المتفق عليه عند جميع البشر يقوم على بنود واضحة صريحة :

① **السيطرة على أرض الغير بالقوة ..**

② **فرض لغة المعتدي و هويته على سكان الأرض الأصليين و طمس لغتهم و هويتهم ..**

③ إكراه الغير على مبادئك و عقيدتك ..

و أي جهة تنطبق عليها هذه المبادئ هي احتلال بلا شك ، و هذا يصف احتلال الأوروبيين لأمريكا الشمالية و الجنوبية و استراليا و غيرها بدون تبرير أو تجميل بأي لقب كفتوحات أو هداية الشعوب أو تطويرها و غيرها .. لكن لا بد هنا من التركيز على فكرتين رئيسيتين :

■ الأوربيون انسحبوا فعلياً من كثير من تلك الدول أي أنهوا احتلالها العسكري ، أما بقاؤهم في أمريكا الشمالية و الجنوبية و استراليا مثلاً و هل هو شرعي أم لا بسبب تقادم السنين و توسع الأجيال ،و هل ينبغي طردهم من هذه القارات الثلاثة ؟ فهو سؤال يستحق الوقوق عنده مطولاً و التفكير به ..

■ امبراطوريات الشرق الشهيرة قامت بالتوسع و

احتلال أراضي الغير بالقوة أيضاً ، كالمغول و اليابانيين و الفرس و غيرهم ، لكنن نجد البعض يركز على الاحتلال الأوروبي و يتجاهل عمداً تلك الاحتلالات رغم وحشيتها و دمويتها التي لم يسبق لها مثيل ، و ما فعله المغول في الشرق لوحدهم ببقية الشعوب يتفوق على ما فعلته احتلالات التاريخ مجتمعة ، و هنالك أيضاً مثل هام للغاية في هذا السياق لابد من مقاربته بشكل منطقي بدوره ، وهو توسع العرب خارج شبه الجزيرة العربية ثم غزو و احتلال شمال إفريقيا و شبه الجزيرة

الإيبيرية و غرب آسيا و بلاد السند و الهند بالقوة و الذي يُلمّع و يُمنح الشرعية بوصفه (**فتوحات**) .. أي **تجميل احتلال أراضي الغير و منحه الشرعية تحت اسم دين بريء من ذلك !!**

في حين تتم تسمية سيطرة جهات شرقية و غربية كالفرس و الروم و المغول و العثمانيين و الأوروبيين على بلادهم أو على بلاد أخرى : (**غزواً أو احتلالاً أو استعماراً**) ، فالطرفان ببساطة احتلا أراضي الغير دون موافقة أهلها و العقلية واحدة تنطبق عليها شروط الاحتلال الثلاثة التي ذكرناها ، أما حجة نشر الدين بالإكراه على مبدأ (**أسلم تسلم**) القبيح أو شعب الله المختار أو الحروب الصليبية و غيرها ، هذه المبادئ

التي لا تعتدي فقط على الشعوب بل على القرآن بحد ذاته فهي حجة باطلة و زائفة ، فالدين عزيزي القارئ لا يمنح أحداً الشرعية لاحتلال أراضي الغير ، و نشره يتخذ مساراً وحيداً لا غير و هو **بالشرح و الإقناع و الحكمة و الحب و التبشير** لا بالقوة و البطش كما قال البارئ :

(لا إكراه في الدين)

(و جادلهم بالتي هي أحسن)

(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

(من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر)

و هي آيات صريحة و واضحة لا يختلف على تفسيرها اثنان عقلاء بجوهر واحد (**الدين لا ينشر بالقوة**)..

فنبي الرحمة محمد لم يخض في بعثته كلها أي حرب هجومية ، بل كانت حروبه كلها دفاعية ليحمي بها نفسه و المسلمين كتطبيق حرفي لتلك الآيات، و هو بريء مما حدث بعده و يخالف هذا النهج ، أي كما فعل العرب بالضبط ، فنشر الدين بالقوة باطل كلياً ، وكل ما بني على باطل فهو بلا شك باطل!

و السؤال الهام للغاية على بساطته هنا :

((لو أنّ العرب اليوم قرروا متابعة توسعهم خارج شبه الجزيرة العربية لتوسيع مساحة (الأمة العربية) ، و غزو إيران أو تركيا مثلاً ثم فرض لغتهم و هويتهم و حضارتهم بالقوة العسكرية عليهما ، فهل سيوافق الفرس و الأتراك على ذلك ؟ أم أنّ بعض الحضارات مستباحة للعرب دون غيرها و لا حقوق أو هوية لها ؟))

لذا على البشر ألا يناقضوا أنفسهم و يكيلوا بمكيالين فيحللوا و يحرموا الاحتلال و الاعتداء على السكان الأصليين على هواهم و وفق مصالحهم لا حسب معايير العقل و المنطق و الحقائق التاريخية .. فيكون احتلال الغرب لمناطق من العالم **حراماً** و احتلال الشرق (كالعرب والمغول و الفرس مثلاً) **حلالاً** أو يتم تجاهله عمداً في أحسن الأحوال ..

فوجود العرب اليوم مثلاً في بلاد الشام و شمال إفريقيا هو بحد ذاته غير شرعيّ و مرور القرون عليه لا يجعله كذلك، بل هو نتاج لاحتلال أجدادهم لهذه المناطق بالقوة و طمس اللغات الرسمية للسكان الأصليين فيها كالأمازيغية و السريانية و غيرها ثم استبدالها باللغة العربية ، و أخيراً فرض عقيدتهم بالإجبار و الترهيب عليهم كي يسلموا من أذاهم كتطبيق حرفي لا غبار عليه لبنود الاحتلال الثلاثة

السابقة و كتجاهل حرفي للآيات القرآنية السابقة أيضاً، و على العرب في هذه المناطق العودة من حيث أتوا إلى شبه الجزيرة العربية موطنهم الأساسي لأن هذه القرون الطويلة لا تمنح وجودهم الشرعية كما يؤمن كثيرون .. و أنا لا أؤمن بعودتهم فهم لا ذنب لهم بما فعله الأجداد ..

و من يرى أنّ وجود العرب في إسبانيا مثلاً كان شرعياً و مستباحاً ، عليه تصحيح وجهة نظره الخطيرة هذه لأنها تشرّع الاحتلال أينما كان !!

ومن حق كل إنسان الدفاع عن هويته الأصلية (هنود أو هنود حمر أو سريان أو أمازيغ أو إسبان ...) بالحقائق و الأرقام إن تعرض للظلم و تشويه السمعة و الاستغلال لطمس هويته عبر شعارات رنانة مسيئة ، و ذلك لتصويب الحقائق و وضع الأمور في سياقها الصحيح **لأن المنطق المسلّح بالأرقام إن سكت سيظن اللامنطق المسلح بالشعارات أنه على حق ..**

و كخلاصة لهذه النقطة : احتلال الأوروبيين لدول أخرى منذ زمن غير مبرر أو شرعي حاله حال احتلال جهات شرقية عبر التاريخ لبقاع أخرى كالمغول و العرب و اليابانيين و الفرس و غيرهم .. و التركيز

على الاحتلال الأوروبي فقط و تجاهل بقية الاحتلالات أو التعامي عنها هو كدفن النعامة رأسها في التراب لا يعني أن البشرية لا تراها .. و الكلمة الفصل في تعريف الاحتلال هو :

① **ثالوث الاحتلال ..**

② **آيات القرآن الكريم الصريحة حول نشر الدين ..**

❁ **القانون** : فالقانون في أغلب دول الغرب فوق الجميع .. بل ترى رؤساء دول يحاكمون و يسجنون دون حصانة ..

أما في دول كثيرة من العالم فرادار القانون لا يرصد سوى مخالفات الضعفاء و الفقراء .. في حين نجد المتنفذين و الأثرياء و رجال الدين يتمتعون بحصانة أو يتملصون من العقاب برشوة دسمة أو فتوى أدسم فما

قولك بحكام بعض الدول الذين لا يجرؤ الشعب على توجيه ملاحظة واحدة لهم ، فهل ذلك لأنهم منزّهون عن الأخطاء على خلاف الغرب الفاجر ؟!..

و هذا هو سبب رئيسي لتفشي الفساد في هذه الدول و تخلفها عن ركب الدول المتطورة .. فغياب النقد الذاتي هو أول خطوة على طريق الضياع ، لا سيما مع الانشغال بنقد الآخرين .. و هذه إيجابية هائلة في بعض دول الغرب لا يشعر بها سوى الشعوب التي خسرتها ..

❁ **الموقف من قضايا الشعوب المضطهدة** : مما لا شك فيه أن بعض الحكومات الغربية تكيل بمكيالين في دعمها للشعوب المضطهدة و ذلك حسب التحالفات السياسية و العسكرية لكن شعوبها ليست كذلك بالمجمل فلا يمكن وسم الغرب برمته بهذه الصفة ، من جهة ثانية نجد ازدواجية المعايير ذاتها في هذا الصدد عند حكومات أخرى من الغرب و أبسط مثال هو حكومات بعض دول أمريكا الجنوبية التي تدعم الشعوب المضطهدة و هي ذاتها دول قامت على شرعنة الاحتلال و المجازر، فرؤساؤها و رموزها و مشاهيرها هم أحفاد محتلين و مجرمين و وجودهم في بلادهم بالأساس غير شرعي فكما يقال (**الاحتلال لا يسقط بالتقادم**) .. أيضاً إذا أخذنا القضية الفلسطينية (**قضية القضايا**) كمثال ، فبعيداً عن أنّ القسم الأكبر

من الشرق ذو موقف بارد من هذه القضية على نحو مخجل ، فلا شك أن أغلبنا رأى بأم العين في أحداث غزة الأخيرة أن أكبر المسيرات المنددة بها و الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني كانت في دول الغرب و هذه بحد ذاتها إيجابية لا يمكننا التغاضي عنها و هي سماح حكومات الغرب لشعوبها بالخروج في مظاهرات حاشدة لدعم دول لا تتفق معها سياسياُ ، في حين نجد أن حكومات أخرى بالعالم لا تسمح لشعوبها حتى بالخروج في مظاهرات لدعم حقوقها الذاتية المحقة فما قولك بحقوق شعوب دول لا تتفق معها سياسياً ، بل إنّ يهوداً كثيرين خرجوا في تلك المسيرات يستنكرون ما يفعله بعض يهود العالم بحق الشعب الفلسطيني .. في حين رأيت البعض يرفع على شاشات التلفاز شعار (**الموت لليهود**) أي أنه يدعو لموت من يدافع عن الفلسطينيين ضد أتباع دينه ، و هو فعل غير مبرر بل فيه تهجم ليس على دين سماوي فحسب، بل على الخالق نفسه الذي أوجد هذه الديانة ، و كأنك تقول له أنت لا تعرف ما الذي تفعله .. و خلال حديثي مع صديقي كان يكرر التباهي بمقولة هتلر الشهيرة : (**لقد تركت بعض اليهود على قيد الحياة كي يعرف الناس لماذا أبدتهم**) .. أي أنه يعمم ما يفعله بعض اليهود على ديانة سماوية كاملة ، و بالطبع هنا نلتقي بشعار آخر و هو مهاجمة النازيين و هتلر بالكلام و التحلي بأخلاقهم و الاقتداء بهم على

أرض الواقع و هذه أمر غير منطقي ..

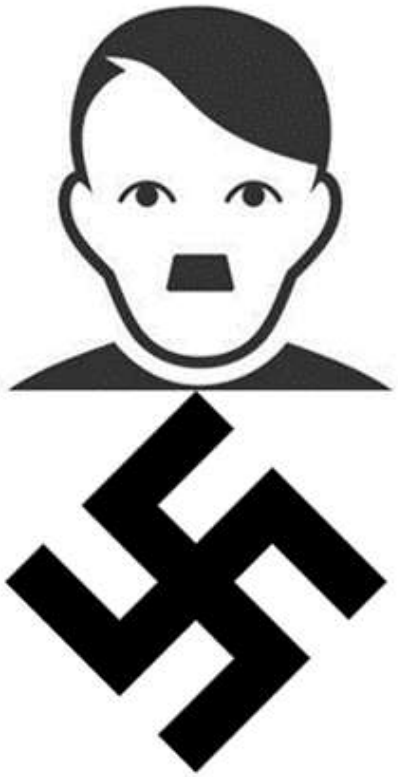

كما أنّ صديقي يتغنّى كثيراً بالسبي البابلي لليهود و يطالب بتكرار الحادثة مجدداً ، فإن كنت تريد القيام بنفس الأفعال المسيئة الذي يفعلها غيرك بحسب قناعاتك فبماذا تختلف عنه ؟ .. أي أنك ترفع شعارات تهاجم أخلاق الآخرين و تذمها و تعلن رسمياً أنك ستنفذها بحذافيرها متى قامت لك قائمة أي أنك هو لكن في زمن مختلف و ظروف مختلفة ، مما يطرح سؤالاً آخر هاماً للغاية :

(هل في الحقيقة لا وجود للحق و الباطل بين البشر بل هنالك قوي و ضعيف .. فالقوي يقوم بالباطل لأنه

يقتدر و الضعيف يتمسك بالحق لأنه ملاذه فإن

انعكست الآية ذات يوم سيتبادل الطرفان الأدوار ؟!)

و قد سبق و ذكرنا في مغالطة (**تطور الدول**) في الجزء الأول من سلسلة المغالطات (**الابن يلد جديه**) بأن إحدى العيوب الكبيرة لبعض الدول الغربية هو تعاملها اللاأخلاقي مع بعض دول العالم شرقاً و غرباً ، و السؤال الهام هنا هو أنه في حال تغيرت قطبية العالم إلى دول عظمى جديدة هل سنرى الفعل ذاته ؟
فامبراطوريات التاريخ قاطبة تشهد بالأرقام بأن للسلطة مفعولاً يسكر أكثر من النبيذ و كان المسار المشترك لها جميعاً التوسع و فرض الهيمنة بالقوة ثم الانكماش و الانهيار لاحقاً **!!** فهل سيكون هذا مسار القطب الجديد في العالم كحال من سبقه **؟!**

و كخلاصة لهذه النقطة : بعض حكومات الغرب تكيل بمكيالين فتدعم شعوب مضطهدة معينة فقط بحسب التحالفات السياسية و العسكرية كأمريكا الشمالية و بعضها الآخر يكيل بمكيالين أيضاً في دعم قضايا التحرر و الاستقلال فيهاجم واقعاً يعيشه هو بحذافيره كأمريكا الجنوبية ، و الأهم أن الشعوب الغربية بأغلبيتها تدعم حقوق الإنسان في كل مكان فهم ليسوا بشياطين كما صورهم صديقي و بالطبع الغرب ليس

حكومات فقط من أشخاص معدودين بل شعوباً بالملايين ذات حسّ إنساني ..

❁ **العمل** : فالغربيون يقدسون العمل و جلّ أوقاتهم يعملون فيبدعون و يرفدون البشرية بالإنجازات و الاكتشافات و الاختراعات ، و العمل هو أكبر تجسيد للعبادة .. لينطبق عليهم قول الله : (**إني جاعلٌ في الأرض خليفة**) .. و كما قال رسول الله : (**أحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله**) و فضل الغرب على العالم في هذه النقطة لا ينكره إلا كل جاحد أو أعمى .. و هذه من أكبر إيجابيات الغرب ..

❁ **العلم** : أكثر من **90** % من الاختراعات المحورية في العالم الحالي هي نتاج الغرب و علمائه و لو كان صديقي الذي يعادي الغرب و يشيطنه مبدئياً في شعاراته بالفعل فالأحرى به كخطوة أولى أن يقاطع المنتجات الغربية كافة فهي رجسُ من عمل الشيطان وفق قناعاته ، و إلا غدا طفيلياً يقتات عليها و متسلقاً يحقق إنجازاته على أكتافهم ثم يهجوهم و يشيطنهم باستخدامها بلا حياء .. فإن فعل أي بشري ذلك سيعود إلى الوراء آلاف السنين ليسافر على ظهور الجمال ويرسل الرسائل باليد و تنقطع عنه أخبار العالم و إن

تكلم لن يسمع العالم صوته و يموت من الأمراض ويقاتل بالسيوف و القائمة تطول ..

مع التأكيد على حقيقة أن كثيراً من العلماء في مناطق مختلفة من العالم لا يحظون بأبسط حقوقهم التي تذهب

إلى الأثرياء و التجار و المتنفذين و رجال الدين فيدُللون على حسابهم و يمنحون مقاماً أعلى ، و اقرأ الفاتحة على بلاد الثريّ أو رجل الدين فيها أفضل من العالم ، أما تقدير الغرب للعلماء فلا يوصف بكلام .. و قيمتهم تفوق قيمة الحكام و رجال الدين سوياً ..

بل نجد تماثيلاً لعلماء البشرية جمعاء على اختلاف انتماءاتهم في جامعات و ميادين الغرب كتقدير و احترام لهم و تذكير بفضلهم على البشرية ، في حين نجد التماثيل تنحو منحاً مختلفاً جذرياً لأمور لا معنى لها في بقاع أخرى من العالم ..

و الأهم ألا ننس أنّ الغربي يعشق الثقافة و المطالعة و الفارق بين الغرب و غيره في هذا المجال حسب الإحصائيات كبير جداً .. فنجد مثلاً أمة (**أقرأ**) لا تمنح القراءة قداستها و حقها و احترامها ، في حين نجد الغربيين يعشقون القراءة و يقدسونها .. و العلم و المطالعة هما أكبر إيجابيات الغرب بلا شك و لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها ..

❁ **الغرب الرأسمالي الجشع** :الرأسمالية حالها حال الاشتراكية لها ما لها و عليها ما عليها ، ولا أحد ينكر تفشي الرأسمالية في كثير من المجتمعات الغربية .. لكن هل بقية العالم اشتراكي بالفعل ؟ إنّ ما أراه بأم العين في بعض الدول إضافة إلى الحقائق و الأرقام التي أقرأها يؤكد أنّ كثيراً من الدول التي تدعي الاشتراكية تحولت إلى نظام رأسمالي أسوأ بكثير من الغرب بل إلى ما هو أسوأ من الرأسمالية ، حيث تفسخت

مجتمعاتها إلى طبقتين واضحتين : قلة ثرية من حكام و ملوك و عوائلهم و أثرياء الفساد و التجار المدللين و غالبية مسحوقة من فقراء يتم عصر جيوبهم و طاقاتهم لتبقى الطبقة الأولى هانئة .. أي أن هنالك دولاً عوضاً عن الاقتداء بإيجابيات الغرب و الاستفادة منها ، تتمسك بعيوبه و تتنازل عن إيجابياتها .. أي أن الغرب بدأ يصوّب عيوب الماضي كالتمييز العنصري و سلطة الدين على الدولة مثلاً ليخرج نسخة أفضل منه ، في حين نجد دولاً أخرى تتخلى عن محاسن الماضي لتخرج صورة أسوأ منها ..

❁ **الهجرة** : فأعداد هائلة من البشر في العالم تبذل قصارى جهدها للسفر إلى دول الغرب بغاية العمل و العلم و الحياة الكريمة ، أما الهجرة العكسية فقليلة للغاية ، فإن كان الغرب رمزاً للفجور و الفشل و عبارة عن كتلة من السلبيات الصرفة ، فلماذا يصارع الملايين على الهجرة إليه إن كانت أوطانهم تقدم لهم ما هو أفضل منه أو على أقل تقدير ما يوازيه ..؟!

❁ **الغرب الفاجر الكافر** : و نذكر بعض الأفكار في هذا الصدد :

● قال الإمام المصري الكبير **محمد عبده** بعد عودته

من أوروبا :

((رأيت هنالك إسلاماً بلا مسلمين ، و أرى هنا مسلمين بلا إسلام))

و الغرب بلا شك و على خلاف وصفه بالفجور والزندقة ، فهو **باحترامه للقوانين و اعتنائه بنظافة بلاده و نظامها و تأمين الحياة الكريمة لمواطنيه و اهتمامه بالثقافة و المطالعة و التأليف و تطوره العلمي** يجسد تعاليم رسول الرحمة حرفياً أكثر بالفعل من مسلمين و غير مسلمين كثر ..

- من جهة ثانية يمكنك في الغرب اعتناق أي معتقد تريد دون أن يتدخل أحد في ذلك كتطبيق حقيقي مباشر لقول البارئ : (**من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر**) ، أما في مناطق أخرى من العالم فحدث و لا حرج عن فرض معتقداتك على الآخرين أو اتهامهم بالكفر و الزندقة و بأن مصيرهم الجحيم و كأنّ السماء منحت البعض شرعية تقييم الآخرين و خولتهم حسابهم .. بل أكثر من ذلك نرى بأم العين كيف يهاجر كثيرون إلى الغرب و يتنعمون بالحياة الكريمة بفضلهم ثم يحاولون فرض معتقداتهم عليهم بلا حياء أو الأسوأ القيام بأعمال إرهابية بحق مواطنيهم ..

● قال رسول الرحمة محمد (**العلماء ورثة الأنبياء**) و أبرز علماء العصر الحديث هم من الغرب و كأنّ غيرهم تنازل عن إرث أنبيائه و علمائه و بدده في حين حمل الغرب رايتهم من بعدهم .. و نعيد التأكيد على أنّ أول وصية من الله لرسوله محمد كانت (**اقرأ**) و الغرب أكثر شعوب الأرض تطبيقاً لهذه الوصية بإتقان.

● احترام نعم الله : في قصة مفعمة بالعبر حدثت مع أحد معارفي عندما كانوا في مدينة هامبورغ الألمانية فقد تم تغريمهم بمبلغ لا بأس به من المال في أحد المطاعم لأنهم تركوا بقايا طعام في صحونهم رغم أنهم دفعوا ثمن الطعام من جيوبهم ، فكان رد الموظف الذي قام بمخالفتهم : (**المال مالكم ، لكنّ الموارد للمجتمع فإن ترك كل مواطن هذه الكمية في صحنه أهدرت كميات هائلة من موارد الدولة**) ..

فهل هنالك احترام للنعمة أكثر من ذلك ، و هل هنالك من تنفيذ لتعليمات الأنبياء و الرسل أفضل من ذلك ؟!
و كما ذكر عن نبي الرحمة محمد أنه كان يمسح ما يتبقى في صحن الطعام بإصبعه و هو يقول :

((لعلّ البركة في هذا))

و بحسب قول أبي و معارفي الذين زاروا دولاً غربية كثيرة ، فإن هذه ظاهرة منتشرة في أغلب الدول الغربية ، فهل هذه أخلاق فجار و شياطين ؟!

- إن كانت الكنيسة في العصور الوسطى الأوروبية قد اقترفت كوارث لا يمكن إنكارها ، فإن الغرب تطور في هذا الصدد و اعترف بأخطائه فرفع شعار العلمانية و أنّ الدين لله و الوطن للجميع .. أما الدين السياسي في مناطق أخرى من العالم فقد اقترف ما لا يقل عن ذلك و لا يزال مستمراً حتى اليوم دون عبر أو اعتبار .. و لم يعد هنالك وجود للدول الدينية في الغرب باستثناء الفاتيكان و صلاحياتها محدودة بالوعظ و لا تملك سلاحاً تفرض به منطقها على الآخرين كما فعلت دول دينية عبر التاريخ ، و متى ما خرج الدين من دائرته الشرعية (كعلاقة بين الإنسان و ربه) إلى قوة بيد السلطة للتحكم بالشعوب فنهاية السلطة و الشعوب

وخيمة بلا شك..

و كخلاصة لهذه النقطة : لا شك أنّ هنالك مظاهر غير أخلاقية في دول الغرب قاطبةً لكنها ليست سمة شاملة للبلاد بل تعود لحالات فردية كما هو الوضع في جميع دول العالم ، لكن مما لا شك فيه أيضاً أن كثيراً من الدول الغربية على الصعيد الداخلي من بناء هيكل الدولة و تأمين حقوق المواطنين و تطبيق القانون على الجميع فيها و دعم العلم و تقديس العمل تطبق تعاليم الأنبياء و تهتم بالأخلاق أكثر من دول كثيرة حول العالم كلّ ذلك مفقود فيها ..

❁ **الحضارة** : لا شكّ أنّ الشرق هو مهد لحضارات كثيرة متنوعة ذات فضل كبير على البشرية كالصينية و الهندية و الفارسية و غيرها ، لكن لا بد من التأكيد على نقطتين هامتين للغاية في هذا الصدد :

- الشرق ليس مهد الحضارات و منشأها .. فلا ننس بأن أوروبا القارة العجوز من القارات القديمة للغاية و المأهولة مع حضارات عريقة كحال الحضارة الإغريقية و فلاسفتها العظماء ، و بأن حضارات الهنود الحمر في الأمريكيتين موغلة في القدم و قد بلغت مبلغاً هاماً من العلم ،و في الحقيقة إنّ أقدم حضارات العالم تشكلت في وسط العالم تماماً بين الشرق و الغرب في **بلاد ما بين**

النهرين و بلاد الشام و مصر .. و كأنّ السماء اللاشرقية و اللاغربية تقول للشرق و الغرب :

(**لا ينسب أي منكم الفضل لنفسه**)

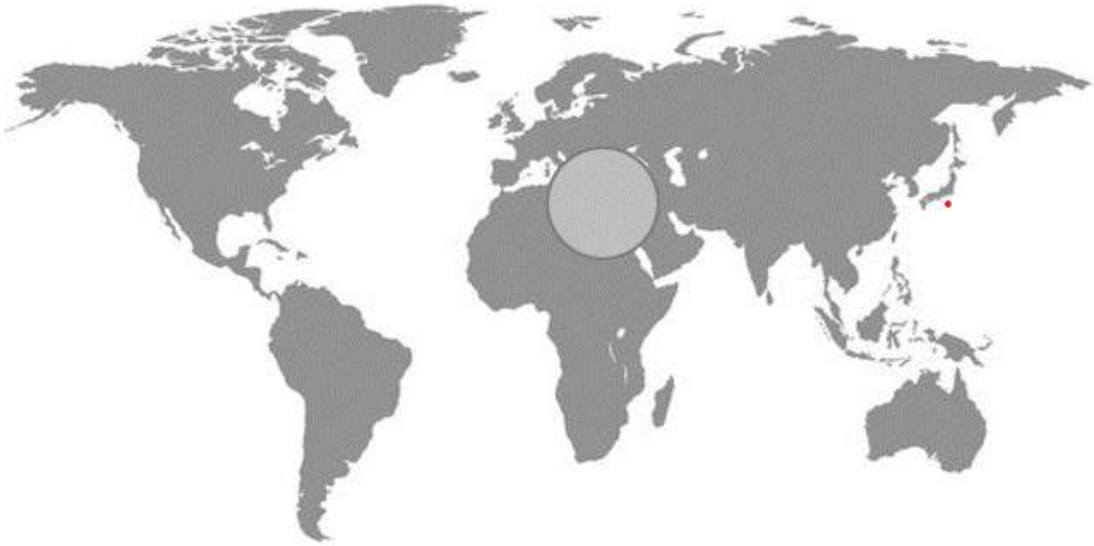

- بعض دول الغرب أكثر دراسة و دراية و استفادة من حضارات العالم قاطبة من غيرها ، فهي تبذل جهوداً جبارة و تضع ميزانيات كبيرة في هذا المجال لتخرج بنتائج مذهلة .. أما ميزانيات دول كثيرة في العالم فتذهب لأمور غير حضارية .. و يبقى تقديرهم لحضاراتهم مجرد تباهي بإرث الأجداد الذي يبددونه و لا يضيفون أي شيء جديد عليه .. و كما يقال (**لا تقل أصلي و فصلي أبداً ، إنما أصل الفتى ما قد حصل**)..

❁ **منع الآخرين من التطور** : في حواري مع صديقي اتهم بعض الدول الغربية كالولايات المتحدة

الأمريكية مثلاً بأنها تستغل قوتها لمنع الدول الأخرى من التطور و مزاحمتها على السيطرة على العالم ، و لا شك أن هذا فيه كثير من الصحة ، لذلك فنحن من وجهة نظرنا ندعو باستمرار **لعالم متعدد الأقطاب** كي تردع الأقطاب بعضها بعضاً و تتصحح عيوب الجميع لأن الحقيقة بأن أي قطب جديد سينفرد لوحده بحكم العالم سيفسد ، فللقوة تأثير مسكر كالنبيذ كما قلنا و هذا ما حدث مع امبراطوريات التاريخ قاطبةً دون استثناء .. لكن يجدر هنا التنويه إلى نقطتين غاية في الأهمية من جديد :

- هنالك دول كثيرة متطورة على نحو رائع و تتطور باستمرار رغم وجود أمريكا كقوة مهيمنة على العالم كحال أستراليا و اليابان و الصين و روسيا و البرازيل و الهند و كوريا الجنوبية و سنغافورة و أغلب دول أوروبا الغربية و غيرها .. مما يؤكد بأنّ هنالك أسباب أخرى لتخلّف بعض الدول عن ركب التطور غير أمريكا و على رأسها بالطبع الفساد بكافة أشكاله ، و الاهتمام بالحفاظ على الحكم أكثر من الاهتمام بمصلحة الدول .. فإن استغلت دول أخرى نقاط الضعف هذه في دولة ما لمصلحتها فالعيب الأساسي في الدولة نفسها و ليس في الدول الأخرى ..
- صحيح أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تمارس

الديكتاتورية على بقية الدول منتشيةً بقوتها العسكرية و الاقتصادية ، لكن هنالك دول كثيرة في العالم تخضع لأنظمة ديكتاتورية ينتهج حكامها نفس سياسة أمريكا في التعامل مع دول العالم و ذلك في التعامل مع خصومهم السياسيين الذين يشكلون تهديداً على عروشهم ، فيحاولون منعهم من التعبير عن آرائهم بإلغاء التعددية السياسية أو التخلص منهم بالسجن أو النفي أو القتل .. فإن كنت تنفذ سياسة أمريكا مع خصومك لنفس الغاية (الانفراد بالزعامة) على بلدك و أنت ضعيف ، فمؤكد أنك ستنفذها على دول أخرى إن أنت أصبحت قوياً ذات يوم ، **فالموضوع برمته مجرد عقلية لا أكثر** .. و من يطالب بسياسة تعدد الأقطاب في العالم بحقّ ، الأنسب أن يبدأ بتطبيقها في بلاده أولاً لأن الغاية هي ذاتها (تطور الدولة أو العالم ككل) .. لأن وجود منافسين لك على الحكم على مستوى العالم أو الدولة يلقي الضوء على عيوبك و بالتالي عيوب البلاد ليتم استدراكها ، أما إن كنت بلا منافسين **فلن ترى نفسك سوى كتلة من الإيجابيات الصرفة فتبدأ بالحديث عن سلبيات الآخرين بثقة زائفة ..**

و لا تزال هنالك إيجابيات كثيرة للغرب و أكتفي بذكر ما سبق على سبيل المثال لا الحصر لنصل إلى نتيجة واضحة في مغالطتنا بأن تهجّم صديقي على الغرب و

تشويه صورته جذرياً و تحويله إلى كتلة من الأخطاء الصرفة كشرّ مطلق أو شيطان هو مغالطة ظالمة تكيل بمكيالين فترى محاسن الذات و عيوب الآخرين و تعمى عن عيوب الذات و محاسن الآخرين .. **و الحقيقة المؤكدة أن الغرب كغيره من بقاع العالم له عيوبه الخاصة و محاسنه الفريدة و ليس شراً مطلقاً أبداً..**

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الفاضحة الجديدة (**الغرب الفاجر**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الشرق معصوم و منزّه عن الأخطاء .. أما الغرب فهو كتلة من العيوب الصرفة لذا يجب محوه من الوجود ليستحيل العالم جنة ..

بل أن نقول ..

= التعصب للانتماء الجغرافي هو جاهلية لا تختلف عن جاهلية العرب قبل الإسلام و التعميم بالخير و الشر هو ليس بخطأ فحسب بل اضطراب شخصية حدية خطير ، فلكلّ جهة في العالم عيوبها و محاسنها التي نحاول إسقاط الضوء عليها عبر سلسلة مغالطاتنا هذه ، و السماء لا شرقية و لا غربية بل تحمل العالم كله في عيونها فلا تتهجم على أحد ، و أي طرف يتهجم

على الآخر و يشيطنه يعبر عن نفسه فحسب لا عن السماء.. و خير عيال السماء أنفعهم للبشرية ..

في التراث الإغريقي أسطورة مميزة تدعى (**سرير بروكرست**) ذات صلة وثيقة بجوهر مغالطتنا، و التي تتحدث عن بروكرست ابن بوسيدون إله البحار وكان لديه قلعة محصنة في **جبل كوريدالوس** الموجود على الطريق إلى أثينا .. حيث كان يملك هناك سريراً حديدياً

و تقول الأسطورة أنّ بروكرست كان يقوم بدعوة أي مسافر مارّ إلى حصنه المنيع ليحسن ضيافته ، ثم يدعوه إلى النوم في هذا السرير، لكنّ بروكرست في

الحقيقة كان مهووساً بضرورة أن يناسب طول الضيف طول السرير، فإذا كان الضيف أطول من السرير قام بروكرست بقطع ارجله ليتناسب جسده مع السرير، وإذا كان أقصر من السرير مطّ جسد الضحية حتى تتكسر مفاصله حتى يساوي جسده السرير بالضبط .. ولم يتمكن أحد من النجاة من هذا المصير المرعب ..

و كثير من البشر في مختلف بقاع العالم شرقاً و غرباً ينتهجون فلسفة بروكرست ذاتها في شعاراتهم التي يدافعون فيها عن انتمائهم الجغرافي الجاهليّ **فيحذفون الأدلة و البراهين الدامغة التي لا تناسب مصالحهم أو يضيفون أدلة مبتدعة إليها لنفس الغاية بحيث يناسب ذلك سرير شعاراتهم** فيصبح الحق باطلاً في مناسبات و يمسي الباطل حقاً في مناسبات أخرى ، و الأسوأ من ذلك كله أن يستخدموا قوتهم لفرض شعاراتهم الزائفة ، المتناقضة و المبنية وفق مصالحهم على الآخرين و لو كانت عواقب ذلك ظلم الآخرين بالتغاضي عن العيوب الشخصية و ادعاء العصمة أو عن محاسن الآخرين و تشويه صورتهم .. فلربما كانت عيوبك أكبر من عيوبهم و أنت متعامي عنها أو محاسنهم لا تملكها و أنت تحاول طمسها ملتزمين بتوجيه البارئ :

(لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً

منهم)

على كل إنسان مؤمن أن يتخلق بأخلاق يسوع المسيح ، الذي لقب بالحمامة لأنه يحتضن تحت جناحيه الشرق و الغرب معاً .. و يحمل في ملامحه ملامحهما معاً ... فالله ليس حكراً على قوم أو دين أو طائفة .. الله للجميع و الجميع عيال الله ، و أحبهم لله أنفعهم لعياله .. أي من يكتشف و يخترع و يسهل حياة البشر و يريهم إبداع الله في أنفسهم و في الآفاق .. فالشعارات الجوفاء الرنانة لا تقدم و لا تؤخر ..

مغالطة النصيحة بجمل

(المرآة السحرية لا تكذب)

يروى أن رجلاً ضاقت به الحياة كثيراً فترك بلده و عائلته وخرج يبحث عن عمل في مكان آخر.. وبعد سنوات منالعمل الجاد ، تمكن من جمع مال وفير و شراء 3 جمال ثم أراد بعد تحقيق طموحه أن يعود إلى بيته و عائلته التي افتقدها بشدة .. في طريق العودة صادف رجلاً عجوزاً وقوراً شاركه المسير لمسافة من الطريق ، و خلال سيرهما معاً وجد فيه صديقنا حكمةً ورأياً سديداً فقال له :

(يا عماه أريد نصائح منك تعينني في نوائب حياتي و تجنبني المشقات و الخطر)

فقال له العجوز:

(بالطبع لكن النصيحة بجمل، أي مقابل كل نصيحة لك تهبني جملاً من جمالك)

وافق الرجل دون تردد فقال له العجوز :

(النصيحة الأولى ، لا تنم بين اثنين، و النصيحة

الثانية ، لا تبت في بطن الوادي، أما النصيحة الثالثة ، فنم حزيناً و لا تنم نادماً)

أعطى الرجل الجمال للعجوز ومضى في طريقه يفكر بنصائحه الغريبة ، حتى التقى رجلين قرب شجرة على قارعة طريقه فألقى عليهما التحية و جلس معهما بعد أن قرر أن يبيت ليلته تحت تلك الشجرة حتى الصباح التالي، ولما خيم الليل قالوا له تعال نم هنا بيننا فذلك أمان أكثر لك ، وكانا في الحقيقة يخططان لقتله وأخذ ماله، فتذكر نصيحة العجوز الأولى و رفض طلبهما متذرعاً بأول حجة خطرت في باله، و لأنه نام بعيداً عنهما لم يتمكنا من قتله و نجا ..

و في اليوم التالي أكمل رحلة العودة حتى وصل إلى أناس ينصبون خيامهم في قلب وادٍ، فقالوا له بعد أن حلّ الليل، بت هنا حتى الصباح فذلك أمان أكثر لك، لكنه تذكر مجدداً نصيحة العجوز الثانية فرفض و نام في مغارةٍ أعلى الجبل، و في تلك الليلة هطلت أمطار شديدة تحولت إلى سيول جرفت الخيام في الوادي و قتلت كثيرين لكنه لم يصب بأي أذى في كهفه الحصين

ثم تابع مسيره حتى وصل إلى بيته ليلاً و قد أنهكه التعب و الاشتياق ، لكنه فوجئ بشاب ينام في فراشه بجوار زوجته، فتملكه الغضب و أوشك على الدخول عليهما وقتلهما بسبب تلك الخيانة البشعة، لكن نصيحة

العجوز الثالثة منعته.. انتظر حتى الصباح، وإذا بالنائم في الفراش هو ابنه، وقد أصبح شاباً و قد نام بجوار أمه لأنها مريضة ، و بذلك أنقذته بالفعل نصائح العجوز الحكيم الثالثة من الموت في مناسبتين و من قتل عائلته في مناسبة ثالثة ..

بعد فترة اضطر الأب لمغادرة منزله فأوصى ولده أن ينتبه للأغنام و ألا ينشغل عنها، لكن ابنه تجاهل وصيته و نصيحته و غادر المنزل بدوره ليعود و يجد أنّ الذئب أكل عدة خراف لانشغاله عنها، و عندما عاد أبوه إلى البيت و سمع ما حدث ، قال لابنه بدهشة و حزن :

(لقد كانت النصيحة بجمل و قبلتها ، أما أنت فرفضت نصيحة مجانية يا بني !!)

و من وقتها أصبحت عبارة (كانت النصيحة بجمل) ، شائعة بيننا و نستخدمها كمحاولة لإقناع من نحب باتباع نصائحنا المجانية التي نعي تماماً أنها ستوفر عليهم مصائباً و صعاباً جمة ..

*****

النصيحة بجمل ..

جملة نتداولها باستمرار إيماناً ضمنياً عميقاً منا بأهمية المشورة و النصيحة من الآخرين لا سيما أهل الاختصاص منهم .. رغم أن كثيراً من البشر يحجمون

عنها بعناد و تكبر و غرور ، بحجة أنهم أدرى بمصلحتهم ، ليتحملوا النتائج السلبية بأنفسهم فيتعلموا من تجاربهم الشخصية في مغالطة شائعة بين البشر و مؤلمة و مؤسفة للغاية .. و كي نفهم حجم و خطورة هذه المغالطة ، تعال عزيزي القارئ لنتعرف أكثر على الفوائد الذهبية الخمسة للشورى و النصيحة و التي أعتقد - من وجهة نظري المتواضعة - أن علينا تذكرها للأهمية طوال حياتنا ففيها منجاة لنا من السقوط ، الضرر ، الضياع و الخسائر الجمة .. لكن قبل الشروع بذلك لابدّ من التنويه إلى نقطة هامة للغاية على بساطتها و هي أننا و منذ نعومة أظفارنا نتجنب كوارث حقيقية في حيواتنا اعتماداً على نصائح المحيط حولنا من آباء أو أخوة أو كبار السن أو الأصدقاء أو غيرهم ، بدءاً من تلافي عبور الشارع بينما السيارات تمر ، مروراً بتجنب التعامل غير الحذر مع الكهرباء ... و هكذا انتهاءً بالقرارات المصيرية التي شكلت مفاصل وانعطافات هامة في مسيرتنا .. لكننا للأسف و متى اشتد عودنا قليلاً ، ننكفئ عن سماع تلك النصائح و الإرشادات و يبدأ الجزر و الانحسار يسيطران على قبولنا أكثر لها لنكتفي بتجاربنا القليلة و معلوماتنا الشحيحة كمنبع لقرارات ذاتية كثيراً ما تكون قاصرة أو حتى خاطئة تكلفنا أثماناً باهظة قد تصل لدرجة خسارة حياتنا نفسها أحياناً ، متغافلين عن فطرتنا

الأولى و الدروس البديهية و الهامة التي تشبعنا بها بتواضع و إقرار بالضعف صغاراً ثم أهملناها بتكبر كباراً ..

و الآن لننتقل إلى تحليل **خماسي الشورى الذهبي** الهام للغاية بالترتيب ..

① رؤية عيوبك التي تجهلها و يراها الآخرون فيك :

ففي الحقيقة كل إنسان منا يعجز عن إدراك عيوبه الذاتية على عكس عيوب الآخرين التي يتفنن في عدها و تشريحها و فحصها الدقيق تحت مجهر النقد و التقريع و التنظير .. و لهذا السبب بالتحديد أو كما يقال (داوني بالتي كانت هي الداء) يمكننا التعرف على نقائصنا من عيون الآخرين الذين ينتهجون ذات الدرب فيرون عيوبنا بوضوح و شفافية .. و خير من لخص هذه النقطة بعبقرية هو **ناصح الدين الأرجاني** بأبياته الأيقونية التالية التي تؤكد على أن له من اسمه نصيب كبير :

شاور سواك إذا نابتك نائبة

و إن كنت من أهل المشوراتِ

فالعين تبصر منها ما دنا و نأى

و لا ترى نفسها إلا بمرآة

فالإنسان لا يرى عيوبه إلا في مرآة نقد الآخرين له بالضبط و ما أشبهها بمرآة سحرية ترى فيها مستقبلك مع كل ما قد تمر به من أزمات فتتمكن من تغييره و تجنب كوارث الحياة الكامنة في أعماقك بجهلك لنفسك أو قصور معرفتك و قلة خبرتك !!.. و في الفيزياء ما يحاكي هذه الأبيات تماماً عندما نجد أن بعض النتائج تكون خاطئة بالاعتماد على جملة مقارنة داخلية ، و تتصحح على الفور متى ما اعتمدنا على جملة مقارنة خارجية ترى الأحداث بتجرد و حياد و منطقية

كذلك الحال نجد المقولة الشهيرة التالية التي تعد تكملة لهذه الأبيات و التي تؤكد على ضرورة إصغاء الإنسان

لملاحظات الآخرين على سلوكه كي يطور ما هو إيجابي فيه و يصحح و يتلافى السلبي منه بعد تحديد

مكان الخلل فيه بدقة بالاستعانة بمرآة الغير و التي تقول :

(رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي)

فهل هنالك أصدق و أنبل من شخص يشير بسبابته إلى مواطن الضعف في حياتك معبداً الدرب لك كي تصححها و تتلافاها بدلاً من السير أعمى البصيرة عنها فتقع في الشراك التي تحيكها لك في الخفاء دون أن تدري ؟!

و لهذا السبب بالتحديد نجد الإمام **جعفر الصادق** أستاذ الأئمة و المنبع لما تلاه من مذاهب يقول :

(لا يزال الإنسان بخير ما كان له : توفيق من الله عز و جل، و واعظ من نفسه، و قبول ممن ينصحه)

فنصائح الآخرين لنا لا غنى عنها كي نبقى بخير و نتجنب النوائب و المصائب في حيواتنا أو نحسن تدبيرها إن وقعت في أسوأ الحالات ..

② تبادل المعلومات التي تنقصنا مع الآخرين فنملأ الفراغات الثقافية و المعرفية في عقولنا :

و ننطلق في تحليل هذه النقطة من المقولة الفلسفية

المذهلة للإمام **علي بن أبي طالب** :

(من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها)

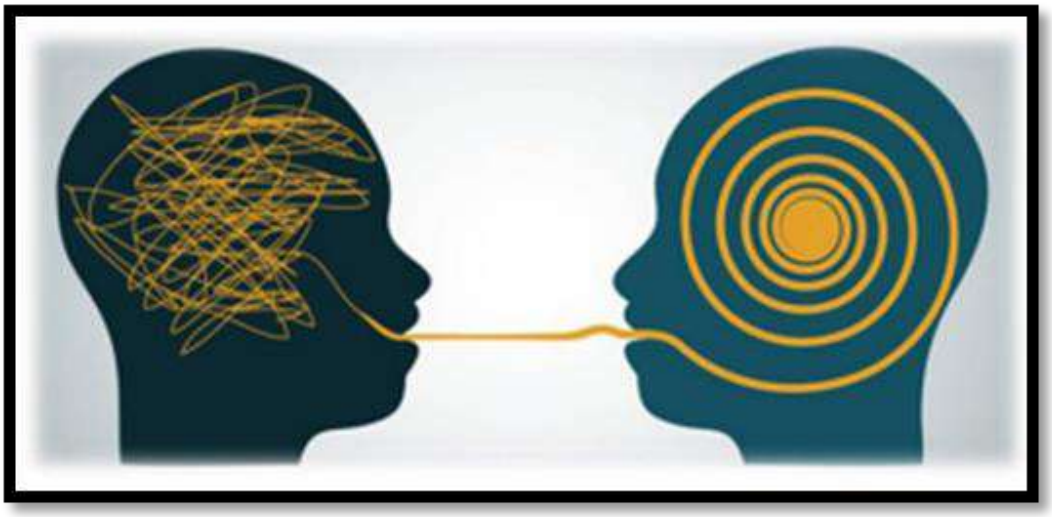

فالنقاش البناء الإيجابي بين البشر هو خير رحم لتشارك الخبرات و التجارب و المعارف كي تولد منه أفكار جديدة و دروس و عبر لا تنتهي، بحيث يغدو الإنسان حاملاً لأكثر من عقل في رأسه ، عقله الشخصي و عقول من يحاورهم فتتكامل المعلومات و الخبرات لنحرق مراحل كثيرة على درب التعلم و التطور فنستفيد من أخطاء الآخرين و تجاربهم دون أن نضطر إلى الوقوع فيها بأنفسنا كي نتعلم من أخطائنا الشخصية و كما قال الإمام **علي** أيضا:

(العاقل من اتعظ بغيره أما الجاهل فهو من اتعظ بنفسه)

③ إيجاد الحلول لمشاكلنا :

فلا تدري عزيز القارئ ، ربما تسمع جملة واحدة جديدة من شخص ما توحي لك بحلول خلاقة لمشاكلك بعد أن استنفذت حلولك و خلت مشكلتك بلا حل فيئست ، و لأهمية النصيحة في حياتنا نجد القرآن الكريم يحث على استشارة الأخرين لا سيما أهل الاختصاص في مشاكلنا كي نخرج بحلول منطقية لها فيقول واصفاً المؤمنين :

(و أمرهم شورى بينهم)

أي ألا يستبد المؤمن برأيه فيهلك ، حتى أننا نجد رسول الرحمة محمد يستشير أصحابه في مناسبات كثيرة و هو متلقي الوحي من السماء مباشرةً و لا يحتاج النصيحة من أحد ، كي يعلمنا النهج الصحيح في إدارة مشاكل الحياة عبر تقبل النصيحة .. و تجدر الإشارة هنا إلى أن الاستخارة بحد ذاتها هي أقوى وسائل الشورى .. فهي طلب المشورة من خالق الكون بنفسه الذي يعلم كل شيء ، يعرف مصلحتنا أكثر منا و لا يردنا خائبين أبداً

④ النقد خير حارس و عاصم لنا من الوقوع في الزلات و الخطأ :

قال أحد الحكماء ذات يوم :

(إذا أردت للسائقين ألا يقودوا بسرعة و تهور فتخلّ عن المخالفات و ضع منجلاً خلف أعناقهم)

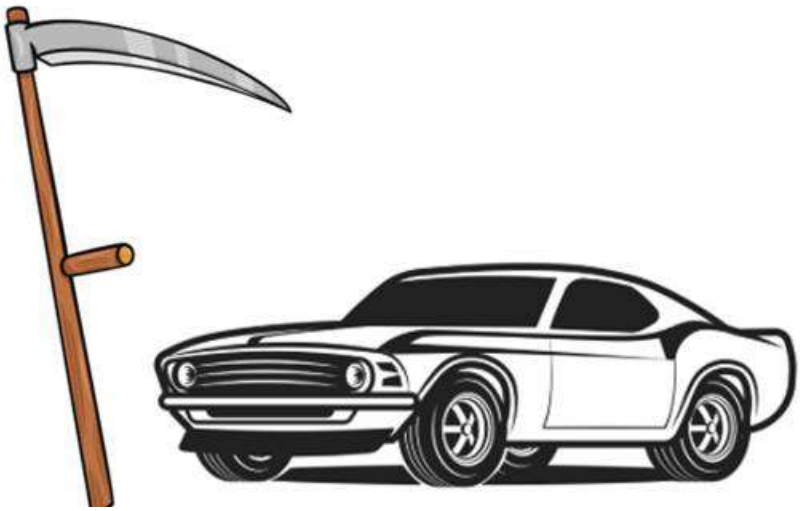

و منجل النقد يجبرنا على استخدام الفرامل بكثرة في حيواتنا و التأني في اتخاذ القرارات و الأعمال التي ننجزها تجنباً للملامة و التقريع من قبل الآخرين سواًء **من باب محبة أومن منطلق تنظير أو حتى صيد في المياه العكرة كمحاولة لتشويه سمعتنا أو تدمير نجاحاتنا ..**

⑤ تشرب حكمة الشيوخ و من كشف عنهم جزء من الحجاب :

فالقاعدة العامة في الحياة هي أنه كلما تقدم الإنسان في العمر زادت تجاربه ، تفاقمت حكمته و تعاظمت معرفته و بالتالي نجد فيه خير واعظ و ناصح لنا في ملماتنا ..

و كم هي وسيلة مجانية نبيلة أغدق الله الرحيم بها علينا بانتقال الحكمة من جيل لآخر عبر بضعة كلمات تخرج ببساطة و مجاناً من الأفواه فلا ترهقنا بسعي مجهد لبلوغها أو تجبرنا على خسائر مادية مقابلها ، و للأسف بعد كل هذا نجد البعض يتكبرون على طلبها و يعرضون بوجوههم الشابة عن تلك الوجوه التي نقشت عليها السنون تجاعيد الحكمة و الخبرة على نقيض ما فعله صديقنا في مطلع مغالطتنا عندما اشترى نصائح العجوز الحكيم بجماله كلها !!

و من تجربتي الشخصية ، شاهدت ذات مرة فيديو طريف و معبر للغاية يتحدث عن قيمة النصيحة و عاقبة رفضها الوخيمة يمكن إيجازها بالحوار التالي بين صديقين :

- لماذا أنت متأنق هكذا يا نسيم ؟

○ لدي مقابلة عمل هامة قد تغير حياتي جذرياً يا صديقي ..

● خبر رائع يثلج الصدر .. لكن أرى من واجبي أن أنصحك بتخفيف القاء دعاباتك المعتادة خلال المقابلة ، فهذه خصلة إيجابية في بعض المواقف لكنها لا تليق بمثل هكذا مناسبة ..

○ أخالفك الرأي بشدة يا نصوح .. خفة الدم تجعل مني شخصية جذابة محببة للقلوب و ستزيد من فرصي في الحصول على الوظيفة .. أنا أدرى بنفسي ..

● هذا شأنك .. قيل قديماً أنّ النصيحة كانت بجمل ، و أنت الآن ترفض النصائح المجانية .. أمرك غريب!

سارت مقابلة العمل على نحو مثالي واعد حتى ختمها مدير الشركة بالقول ..

● أظن أنك سيد نسيم أكثر شخص مناسب بين من التقيتهم للحصول على الوظيفة .. شركتي **ABC** بحاجة لخبرات أمثالك بلا شك..

تفاءل نسيم و ابتهج بالكلام للغاية فقال ضاحكاً يخال نفسه يفيد المدير و يسعده برأيه ..

○ هذا يسرني سيدي .. لا أخفيك سراً أنّ اسم الشركة أثار حفيظتي في بادئ الأمر ، فهو أقرب إلى اسم روضة أطفال يتعلمون هجاء الحروف .. على خلاف

توجهها الجدي الهام على أرفع المستويات و أعتقد أنّه من الأنسب تغيير الاسم إلى اسم يليق بهيبتها أكثر..

تغيرت ملامح المدير و أسلوبه اللطيف جذرياً بعد الدعابة الأخيرة ، ثم قال ببرود و امتعاض ..

- على كل حال سنتصل بك في حال رست المقابلة عليك بشكل حاسم .. لقاؤنا انتهى سيد نسيم ..

خرج نسيم من مكتب المدير جاراً ذيول الخيبة و قد أدرك أن دعابته الأخيرة أفقدته ثقة المدير و الوظيفة على حد سواء في غمضة عين .. إن صديقه نصوح كان على حق .. و لو أنه أصغى لكلامه لوفر على نفسه إضاعة هذه الفرصة التي يصعب تكرارها .. لقد أهلكه التشبث برأيه و قناعاته و الإحجام عن نصائح الآخرين ممن يحبونه و يريدون مصلحته ال غير ..

و لا يساورني الشك على الإطلاق بأننا جميعاً مررنا بتجربة صديقنا نسيم بشكل أو بآخر ، عندما نصحنا أحدهم بالقيام بأمر ما أو تجنب أمرٍ آخر ، فلم نصغ له و تشبثنا بآرائنا بغرور و عناد حتى دفعنا الثمن بأنفسنا .. ليصدق المثل الشعبي الشهير : (**لا أحد يتعلم إلا من تجربته الشخصية**) ..

و للنصيحة آداب ، فيجب أن تكون بغاية نبيلة تصب في مصلحة الطرف الآخر ، و ألا تكون بأسلوب التقريع و التأنيب الذي ينفر الآخرين منها ، و ألا تكون من باب التشفي و الانتقام .. و الأفضل أن تكون بينك و بين الطرف الآخر لوحدكما و ألا تحرجه أمام الآخرين و الأهم ألا تجبره على قبول نصيحتك ، بل أن تقدم مشورتك بوضوح و تترك له حرية الأخذ بها من عدمه

إن أشهر مثال عن رفض النصيحة يأتينا من قصص الأنبياء الكرام .. فنجد آدم و حواء يخرجون من الجنة بتجاهلهم لنصيحة البارئ ألا يقتربوا من شجرة المعرفة المقدسة .. كما نجد نوح ينصح قومه بتجنب الطوفان فيتجاهلون كلامه حتى يغرقوا جميعاً ، و هذا أيضاً ما كان مآل فرعون و قومه برفضهم نصيحة موسى ، و بالطبع لا ننس **قصة صالح الذي أوصى قومه ألا يعقروا ناقته ففعلوا فحق عليهم غضب الله و عقابه و عذابه** .. و في هذه القصص خير عبرة بحد ذاتها

كنصيحة من الله للبشر أن يتعلموا من أخطاء من سبقهم ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**النصيحة بجمل**)، من المنطقي بعد اليوم ألا نقول :

= أنا أدرى بنفسي و مصلحتي و سأفعل ما يمليه عليّ عقلي و حدسي ..

بل أن نقول :

= مهما بلغ الإنسان من العلم و الخبرة سينقصه الكثير على الدوام و لعل ما ينقصه موجود عند غيره ممن يرون عيوبه عارية و ممن يمتلكون معلومات و خبرات غائبة عن خزينة عقله ، لا سيما إن كان الواعظ رجلاً متقدماً بالسن تعارك مع الحياة لعقود و مر بمختلف التجارب و جمع كماً لا يستهان به من المعرفة .. لذا علينا أن نتواضع قليلاً و نصغي لنصائح الآخرين خاصة من يحبوننا ، و نقاطع كل ما نسمعه من مشورات في عقولنا كي نخرج بقرارات حكيمة صائبة توفر علينا الكثير من المصاعب و المصائب و الخسائر التي ربما ترتقي إلى خسارة حياتنا نفسها في النهاية ..

نشأنا منذ نعومة أظفارنا نصغي إلى حكاية ذات الرداء

الأحمر الشهيرة التي عزمت على زيارة جدتها فنصحتها أمها بتجنب الخروج عن الطريق أو التكلم مع الغرباء فتجاهلت النصيحة بغرور حتى سقطت بين براثن الذئب كلقمة سائغة ..

و ما أكثر الذئاب التي تتربص بنا في مفارق حياتنا سواءً من داخل أعماقنا بجهلنا لعيوبنا و قصور معرفتنا أو حولنا في الخارج من أشخاص يريدون استغلالنا أو تدميرنا أو مواقف عويصة شائكة تعصف بمحطات حياتنا .. فانزع عنك عزيزي القارئ رداءك الأحمر و أصغِ لنصائح أمنا السماءِ فلا تخرج عن الصراط المستقيم أو تكتفي بنصائح الغرباء سواء نفسك فأنت أكبر غريب عن عيوبك أو الآخرين ممن هم ليسوا أهلاً لاستقبال النصائح منهم ..

و نرجو الله أن تكون سلسلة مغالطاتنا هذه نصائح

إيجابية و مفيدة للقراء ، كي لا يقعوا في أفخاخ مغالطات الحياة ليمضوا قدماً بنجاح و سلامة وعافية في مغامراتهم على كوكب الأرض ..

مغالطة حروب عبثية

(معضلة المتهمين)

= كيف قضيت أمسيتك البارحة يا صديقي ؟

= شاهدت نهائي كأس ملك إسبانيا بين فريقي ريال مدريد و برشلونة ، أو ما يعرف بكلاسيكو الأرض ؟

= و من فاز بالمباراة ؟

= ما من فائز فيها ..

= لم أفهم ، مباراة بلا فائز ، كيف ذلك ؟!

= لقد شبّ شجار عنيف بين اللاعبين بسبب طرد لاعب من فريق برشلونة ثم انتقل الشجار إلى الجماهير في المدرجات و منها إلى الجماهير خارج الملعب و ذهب ضحيتها عشرات القتلى و مئات الجرحى بحسب تقارير الصباح الإخبارية .. و لا تزال المناوشات مستمرة حتى اللحظة الحالية ..

= كل هذا الصراع من أجل كرة ؟ أمر لا يصدق !!

= يا صديقي عبر صفحات التاريخ نشبت حروب كبيرة بين دول بذاتها ذهب ضحيتها الآلاف لأسباب غير

منطقية .. و ما صراعات مباريات كرة القدم إلا استمرار لنفس العقلية البشرية ..

= حروب لأسباب غير منطقية .. أعطني مثالاً عن هذه الأسباب إن أمكن ؟

= مثلاً **حرب الدببة** الشهيرة في **سويسرا** عام **1579** بين إقليمين في البلاد هما **إقليم ابنزيل** و **إقليم سانغال** اللذين كانا يتشاطران **صورة الدبّ** كشعار لهما.. وفي ذلك العام أقام رئيس إقليم سانغال احتفالاً، وتهكَّم فيه على دب إقليم ابنزيل و وصفه بالأنثى، بينما افتخر بدب السانغال مدعياً أنه ذكر.. مما أشعل لاحقاً حرباً بين الإقليمين استمرت لسنتين و ذهب فيها عشرات الضحايا و القتلى ..

= و كيف انتهت الحرب ؟

= انتهت باتفاقية بين الإقليمين أنّ كلي الدبين ذكر..!!

= يا للسخرية !! ناس تموت بسبب سبب تافه يتمحور حول شعار إقليم ، ثم تنتهي حرب طاحنة باتفاقية كان من الممكن ببساطة أن تتم و تجنب الناس الحرب و القتل من الأساس !!

= تماماً.. إنّ حروب البشر على الأرض كانت على الدوام **حروباً عبثية تتم بين الإنسان و الإنسان أي بين الإنسان و نفسه بمعنى أنه لا فائز فيها على الإطلاق فهو خاسر في كل الحالات بشكل مؤكد** ، كما حدث بالفعل في جميع حروب التاريخ قاطبةً .. دمار و تشرد و ضحايا ثم بعد فترة من الزمن يصبح العدو صديقاً و الصديق عدواً بل أكثر من ذلك يبدأ الأحفاد بالدفاع عن أعداء الأجداد المفترضين ..

= معقول ؟!!

= و أكثر من ذلك .. تعال لأحدثك يا صديقي أكثر عن الحروب العبثية للبشرية عبر صفحات التاريخ ..

*****

في صفحات التاريخ أمثلة كثيرة عن حروب طاحنة نشبت لأسباب أقل ما توصف بأنه تافهة ، كحصان أو

ناقة أو دلو أو مبارة كرة قدم أو أنثى بلا شرف أو زعيم مختل عقلياً يريد السيطرة على الكوكب و غيرها .. بل في الحقيقية إن عدنا للأسباب القابعة خلف جميع حروب التاريخ سنجد سبباً تافهاً لا محالة كمحرك رئيسي لها في مفارقة عجيبة للغاية بين **أسباب الحروب السطحية** و **نتائجها الكارثية المفعمة بالدمار و الضحايا و التشرد**.. و هذه الحروب هي جوهر مغالطتنا الجديدة (**الحروب العبثية**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل الحروب التي نشبت بين البشر هي عملية منطقية بالفعل لها ما يبررها على أرض الواقع، أم أنها عبارة عن حروب عبثية لا فائز فيها سوى القتل و الدمار و التشرّد ، تبدأ لأسباب تافهة ثم يتم نفخ الشر و الفتنة فيها فتتضخم ككرة الثلج أكثر فأكثر حتى تتحول إلى حروب دموية ضروس تتدمر فيها الأوطان و يقتل الملايين ؟)

في الحقيقة الجواب المبدئي الوجيز كالعادة على هذا السؤال هو ببساطة :

(الحروب البشرية عبر صفحات التاريخ كانت مجرد

عملية عبثية غير منطقية بلا فائز فالجميع فيها خاسر و بلا فوائد باستثناء فائدة وحيدة يتيمة و هي أن يتعلم الناس عواقبها فلا ينجروا إلى حروبٍ جديدة و للأسف غالباً ما يتم تجاهل ذلك بحماقة ، و خير مثال على تعلم الدروس هو أوروبا مثلاً التي خرجت من حربين عالميتين طاحنتين دمرتاها كلياً و حصدتا الملايين ، فوعت تماماً لمعنى الحرب الحقيقي و اليوم تتعاون دولها مع بعضها و تئد أي حرب ممكنة في مهدها)..

و لكي نفسر هذا الجواب بشكل أعمق و أكثر تفصيلاً بالتحليل المنطقي و الأرقام كعادتنا ، ستقوم بمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا غاية في الأهمية :

① الأسباب الكامنة خلف الحروب ..

② **العدوَ الصديق و الصديق العدو** ..

③ **أمثلة عن حروب عبثية لأسباب تافهة** ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نخوض غمار حربنا الجديدة الجميلة و المشروعة هذه ، إذ لا ضحايا فيها على الإطلاق بل إحياء للعقول و للنفوس و هي غزيرة بالفوائد الثقافية ، كما أنّ المنتصر الوحيد فيها هو العقل المتسلح بالمنطق و الأرقام و ليس البشر على حساب بعضهم ..

أولاً : **الأسباب الكامنة خلف الحروب** : في الحقيقة يمكن اختصار أسباب الحروب إلى الرباعي التالي ، علماً أن كثيراً من الحروب تحدث بسبب امتزاج عدة أسباب منها معاً :

① **المجد و الطموح الشخصي** : و هذا هو حال امبراطوريات التاريخ قاطبةً كحال امبراطوريتي الفرس و الروم مثلاً و اللتان توسعتا خارج حدودهما و احتلتا دولاً أخرى في سبيل مجدهما التاريخي .. و في صفحات التاريخ أسماء كثيرة لزعماء كانت لديهم عقلية شاذة جلّ همها بسط السيطرة على الكوكب و التوسع المستمر لدولتهم من أمثال الاسكندر المقدوني و أدولف هتلر و نابليون بونابرت و غيرهم .. و النتيجة واحدة و

هي أنّ كل تلك الحروب عبثية كما هو جليّ و واضح ، بلا غاية منطقية أو نبيلة ، بل بغية التوسع و تحقيق المجد الشخصي لا أكثر ، مات فيها شجعان سذّج وقوداً لطموحات الآخرين و أحلامهم الشخصية ..

② **نشر العقيدة** : و تندرج تحت هذا البند قائمة طويلة من الحروب لعلّ أبرزها حروب الأديان السماوية الثلاثة :

❁ **الحروب الصليبية** : لنشر الدين المسيحي بقوة السيف ..

❁ **الفتوحات الإسلامية** : لنشر الدين الإسلامي بقوة السيف ..

❁ **أرض الميعاد** : لفرض الدين اليهودي بقوة السيف

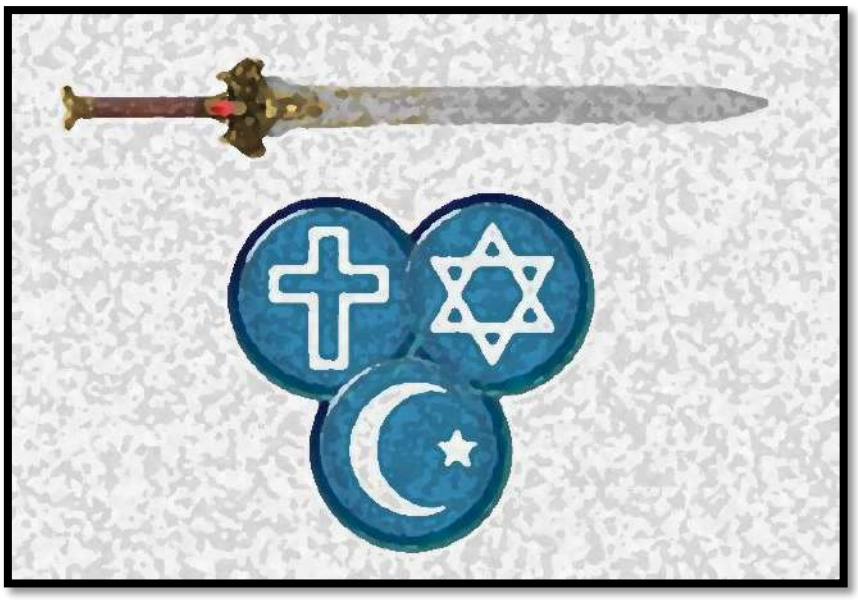

و قد سبق و حللنا في مغالطة سابقة بأن الحروب العقائدية كلها غير شرعية لأن نشر الدين كما أثبتنا بالآيات القرآنية الصريحة يتم بطريقة وحيدة شرعية و هي **الحكمة و الحب و التبشير** ، فنبي الرحمة محمد بذاته لم تمنحه السماء الحق لفرض دينه على الآخرين بالقوة ، فنجد مثلاً قول البارئ :

(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

و بنفس السياق نجد أن هذه الحروب عبثية كسابقتها فهي بالأساس غير شرعية و تقوم على مبدأ ديني زائف و غالباً ما تكون لهذه الحروب غايات أخرى توسعية أو

ذات صلة بالمجد و الطموح الشخصي كما حصل مع قادة مسلمين و مسيحيين و يهود عبر التاريخ أرادوا ترك إرث عسكري لهم بعيداً عن طبيعة الدين أو صوابية نشره بالقوة ..

③ **الثروات** :و هذا بند ثابت في جميع الحروب ، و تدعى الثروات فيها غنائم أو أنفال أو مكاسب مادية أو غيرها من الأسماء و الألقاب ، و بشكل بديهي كل امبراطورية أو دولة تحتل غيرها بالقوة ستبدأ بالاستيلاء على ثروات تلك الدول و الاستفادة منها للاستمرار و الحياة ، فالعرب في إسبانيا مثلاً لم يعيشوا من خيرات شبه الجزيرة العربية ، و لم يبنوا الهياكل من صخورها أو يشربوا من ينابيعها أو يأكلوا من ثمارها أو حيواناتها أو غيره .. بل سخروا خيرات اسبانيا لنفسهم لقرون طويلة من الزمن ،و بريطانيا في الهند انتهجت أيضاً السياسة نفسها ، كذلك حال الإسبان في الأمريكيتين أيضاً و غيرهم ..

④ **الشرف** : فكثير من الحروب عبر التاريخ تتم لأسباب تافهة جداً لا تستدعي الحرب من الأساس.. لكن في الحقيقة السبب الكامن خلف هذه الحروب هو شيء أتفه من هذه الأسباب الواهية و هو ربط هذه الأمور السطحية بالشرف (بحسب تسمية و ادعاء البشر الذين خاضوا تلك الحروب) ، حيث يعتبر البعض أنّ شرف الأوطان قد خدش في حال قتلت ناقة أو سرقت دلو ماء أو خسر فريق مباراة كرة قدم كما حدث في مطلع مغالطتنا و هكذا .. و لهذا السبب بالذات نجد الحروب الطويلة و المتكررة عند عرب الجاهلية مثلاً ، لأن الحمية أو الشرف الجاهلي كان متأجّجاً باستمرار .. فإن ألقى أحد أفراد قبيلة حصاة على قبيلة أخرى قد تشتعل حرب دموية ضروس تذهب بالقبيلتين لعقود طويلة .. حتى أتى نبي الرحمة محمد ليئد هذه الخصلة الجاهلية القبيحة فيقول :

(ليس الشديد بالصرعة ، بل الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

أما عرب الجاهلية فكان الغضب يعمي بصيرتهم و عقولهم لأسباب تافهة كحصان أو ناقة فتشتعل حروب طاحنة طويلة من أجل شرف جاهلي وهمي .. و للأسف لا يزال هذا الفهم الممسوخ للشرف منتشراً حول العالم

و بشكل أكبر في المجتمعات المتعصّبة حيث يتم ربط مفهوم الشرف على نحو وثيق و شائع لا يخلو من الخطورة و الباطل بمفهوم الجنس ، فنجد الأب يقتل ابنته التي تزوجت من غير دين كجريمة شرف أو الزوج الذي يقتل زوجته لأنها أقامت علاقة جنسية مع غيره باسم الشرف أيضاً و هكذا..

بل نجد قوانين بعض الدول تبيح عمليات القتل هذه على نحو يغتصب المنطق و العقل و الوعي .. و هذا أمر مؤسف بحقّ ، أن يتم مسخ الشرف و اختزاله إلى مفهوم سطحي سخيف كالعلاقة الجنسية بل الأخطر أن يقترن بالجريمة و الثأر بغطاء قانوني شرعي .. و إن كان ذلك مقبولاً في زمن الجاهلية و الحضارات القديمة بسبب قلة الوعي النفسي و العقلي و العلمي و الروحي وقتها .. فإنه غير مقبول إطلاقاً في زمننا الحالي مع

التقدم الذي بلغناه .. فيا أخي إن تزوجت ابنتك من غير دينها و اعترضْت أنت على ذلك قاطعها ، و إن كنت متزمتاً أكثر تبرأ منها ، لكن لماذا تقتلها ؟ أي جريمة ارتكبتها بأن أحبت شخصاً من دين أو طائفة أخرى يستحق القتل ؟ و أين تهديد الشرف بذلك ؟

و إن خانتك زوجتك مع شخص آخر فكانت بلا شرف ، طلقها و تزوج غيرها ببساطة .. لماذا ستقتلها ؟!
فشرفك لم يهن بل شرفها هي .. و هي حرّة بفعل ما تشاء و هي أيضاً من سيخسر سمعته في المجتمع و ليس أنت .. !!

بالمحصلة ربط الشرف بموضوع العلاقة الجنسية أو بأمور تافهة أخرى هو مفهوم بدائي جاهلي و إن كان يدلّ على شيء فيدل على أن ثقة الذكر برجولته مهزوزة لذا سيقدم على القتل على هذه الخلفية لا أكثر..

هذه هي الأسباب الأربعة الرئيسية للحروب عزيزي القارئ ، و كما تلاحظ فكلها أسباب وهمية تجعل منها حروباً عبثية بامتياز قادها جبناء أذكياء و مات فيها شجعان سذّج عبثاً لتحقيق الطموح و المجد الشخصي لأفراد أو نشر الدين بطريقة غير شرعية دينياً أو نهب ثروات الآخرين بشكل غير قانوني أو أخيراً صون شرف جاهلي لأسباب تافهة جاهلية بدورها لا علاقة لها بالشرف من الأساس !!

ثانياً ، العدو الصديق و الصديق العدو :

و هذه الفكرة خطيرة و حساسة للغاية ، لأنها بدورها تثبت كم هي الحروب البشرية حروبٌ عبثية تفضحها السنين اللاحقة لها ، فكثيراً ما يتم تقسيم البشر و الدول إلى أعداء أو أصدقاء تبعاً للحروب و العداوات و التحالفات التاريخية و الراهنة ، لكن في خضم هذا التقسيم نجد **تعميماً** و **شمولية** و **خلط مفاهيم** و **ازدواجية معايير** تجعل الصديق عدواً و العدو صديقاً في نفس الوقت على نحو لا يخلو من الانفصام الغريب !!

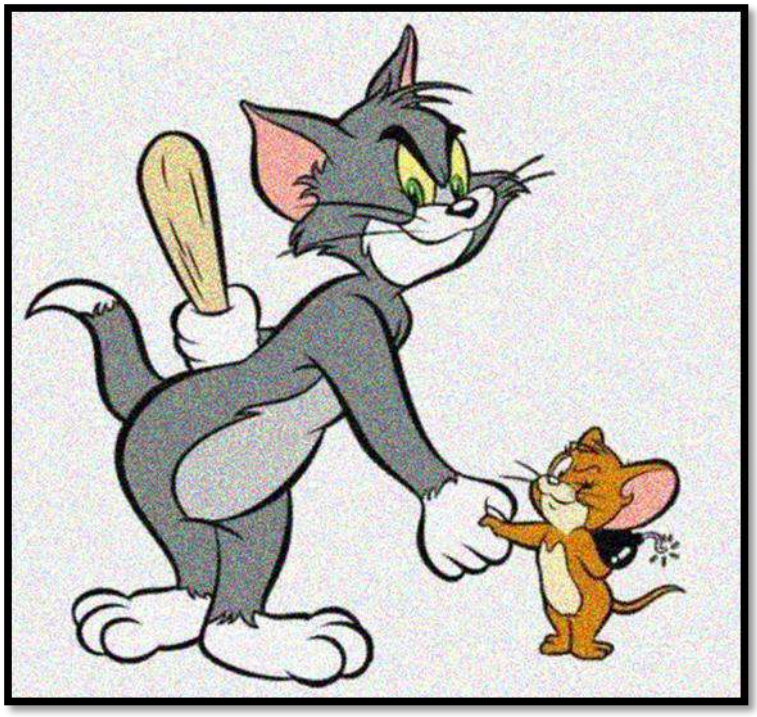

ومن هذه الأمثلة نجد :

① **محرقة اليهود** ، إذ عانى اليهود من محرقة

وحشية في ألمانيا (الهولوكوست) و الآن يقومون بمحرقة مماثلة في فلسطين .. فأين المبدئية في ذلك ؟!

② **احتلال العرب لإسبانيا** هو فتح إسلامي أما احتلال الإسبان لأمريكا الجنوبية هو غزوا إسباني .. و نجد هنا أن للعرب بحسب اعتقادهم شرف يحق لهم الدفاع عنه أما الإسبان فلا شرف أو أوطان لهم كي يدافعوا عنها بعنصرية هائلة و ازدواجية معايير فاضحة !!

③ **الاحتلال الفرنسي للجزائر** ، و الذي ذهب ضحيته أكثر من مليون جزائري كانت نتيجته اعتماد الشعب الجزائري للغة الفرنسية أكثر من الأمازيغية أو العربية و هجرة شبابه إلى فرنسا للدراسة و التعلم أو الهجرة .. و نفس الشيء نجده في العلاقة بين بريطانيا و الهند أو إسبانيا و الهنود الحمر .. و غيرها .

و القائمة تطول و تتسع من الأمثلة التي تؤكد لنا مجدداً عبثية الحروب التي تجعل من طرف صديقاً عندما نشاء و عدواً في نفس الوقت عندما نشاء في مفارقة انفصامية ساخرة و مؤلمة بنفس الوقت تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن جلّ حروب التاريخ هي عبارة عن حروب عبثية قادها جبناء أذكياء و قتل فيها شجعان سذّج ..

و أتركك أخيراً عزيزي القارئ مع كوكبة من الحروب التاريخية الشهيرة التي نشبت لأسباب تافهة للغاية تؤكد بالدليل كل ما سبق و قاربناه من قبل ..

ثالثاً ، أمثلة عن حروب عبثية لأسباب تافهة:

في الحقيقة كل حروب التاريخ قاطبةً هي حروب عبثية و تقف خلفها أسباب وهمية و واهية إن عدنا إلى جذورها الأساسية ، لكن هنالك حروب أسبابها التافهة واضحة للعين على نحو فاضح ، نذكر منها التالي من باب المنفعة الثقافية و الفكاهة المضحكة المبكية..

❁ حرب كرة القدم :

دارت رحى هذه الحرب بين دولتي هندوراس، والسلفادور، حيث جمعت قرعة تصفيات بطولة كأس العالم لكرة القدم عام **1970** الدولتين في مواجهة كروية حاسمة، فازت فيها السلفادور وتأهلت لاستكمال

التصفيات، وبنهاية المباراة كانت الدولتان قد نشرتا قواتهما على طول الحدود، وبدأت الحرب بانتهاك طائرة عسكرية من هندوراس أجواء السلفادور وإطلاقها النيران على كتيبة عسكرية هناك، مما أدى لقيام السلفادور برد الهجوم .. وبعد خمسة أيام من القتال، قامت فيهم قوات هندوراس بدك أكبر مدن السلفادور بالقنابل، نجحت جهود الوساطة الدولية، إلى جانب مجهودات لجنة خاصة من منظمة دول أميركا الجنوبية، في وقف الحرب..

فهل تستحق مباراة كرة قدم أن تندلع بسببها حرب طاحنة تحصد الأرواح بلا مبرر منطقي ؟!

❁ حروب الحمية الجاهلية :

حيث أشعل العرب حربين دامت كل منهما **40** عاماً، الأولى حرب (داحس والغبراء) سببها **حصان**.. و

الثانية (حرب البسوس) و سببها **ناقة** ، فتخيل عزيزي القارئ كم كانت قيمة الإنسان رخيصة كي يقتل بشر من نفس الجنس و الانتماء بعضهم بسبب ادعاء خدش شرف جاهليّ مبني على قتل الحيوانات ..!!

❁ حرب الخنزير و البطاطا :

دارت في جزيرة (سان خوان) حيث كان يتعايش البريطانيون والأمريكيون معاً، فقد حدث أن دخل خنزير بريطاني مزرعة أمريكي وأكل ثمرة بطاطا ..

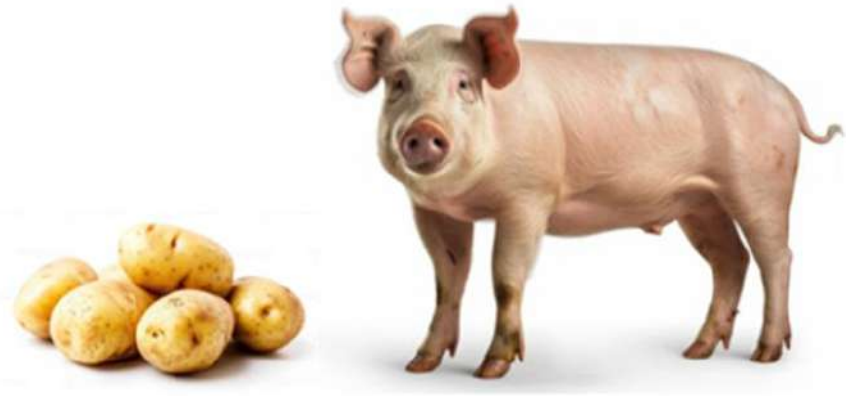

فقتله الأمريكي ثم تواجهت في الجزيرة الجيوش الأمريكية والبريطانية في عام **1839** وفيها قال أحد

القادة البريطانيين جملته الشهيرة بوعي و حكمة :

(لن أشارك في حرب بين دولتين عظيمتين بسبب خنزير!!)

❁ حرب الكلب المتشرد :

نشبت عام **1925** بين بلغاريا واليونان، والسبب كلب حراسة يوناني دخل محمية البلغاريين بالخطأ فقاموا بقتل الكلب وصاحبه، لتندلع إثر ذلك حرب ضروس بين الدولتين ...!!

❁ حرب الفطائر :

يرجع سبب اندلاع هذه الحرب إلى تعرُّض محل فطائر يمتلكه فرنسي في مدينة مكسيكو للنهب، بعد وقوع أعمال شغب في المدينة، في عام **1828**، و قد تجاهل

المسؤولون في المكسيك شكواه التي طالب فيها بتعويضه عن الضرر الذي أصابه، فطلب المساعدة عندها من الحكومة الفرنسية.. وظلَّت شكواه لفترة طويلة دون أي استجابة، حتى التفت إليها الملك الفرنسي **لويس فيليب**، والذي كان غاضباً من فشل المكسيك في سداد القروض التي عليها، مما جعله يطالب ملك المكسيك بدفع مبلغ ضخم لتعويض صاحب محل الفطائر عن خسائره، وعندما رفضت المكسيك دفع التعويض، قام الملك بإعلان الحرب، التي استمرت لمدة عام و توقفت بعد توسط الحكومة البريطانية وتوقيع اتفاقية سلام بين الدولتين، كانت إحدى بنودها إلزام حكومة المكسيك بدفع مبلغ التعويض الكبير لبائع الفطائر ..

❁ حرب الدلو :

قامت هذه الحرب عام **1325** في إيطاليا، بين اثنتين من مدنها المستقلة آنذاك وهما **مودينا و بولونيا**، وكانت بدايتها بقيام فرقة من جنود مودينا بالهجوم على

مدينة بولونيا وسرقة دلو خشبي كبير، والعودة به إلى مدينتهم، مما أثار غضب سكان بولونيا واعتبروه إهانة لشرفهم، وأدى هذا الموقف لاشتعال الحرب بين المدينتين، والتي استمرت **12** عاماً ، ورغم هذه المدة الطويلة إلا أن بولونيا لم تتمكن من الحصول على الدلو، وما زال حتى اليوم معلقاً في برج الجرس بمودينا..

❁ حرب الاتصال :

دارت هذه الحرب بين الولايات المتحدة والمملكة البريطانية، عام **1812**، إلا أن سبب قيام الحرب نفسها كان غريباً للغاية ، فرغم وجود بوادر لاندلاع صراع مسلح بين الطرفين ، إلا أنه قبل بداية الحرب بيومين أعلنت الحكومة البريطانية أنها بصدد إلغاء القوانين التي كانت سبباً في اندلاع القتال لكن عدم وجود اتصال برقي بين أمريكا وأوروبا لم يسمح

بوصول هذه المعلومات المهمة إلى واشنطن ما تسبب في اندلاع الحرب التي كان يمكن تجنبها لو كان الاتصال متوفراً، استمرت الحرب **3** أعوام وكان من أهم نتائجها ازدهار الصناعة الأمريكية، ودعم الروح القومية الداخلية..

هذه أشهر الحروب العبثية في التاريخ عزيزي القارئ التي اندلعت لأسباب تافهة ذهب ضحيتها الآلاف بلا مبرر .. و للأسف رغم غوغائية الأسباب القابعة خلف حروب التاريخ التي قاربناها في مغالطتنا هذه ، فإننا لا نزال نشهد اندلاع المزيد منها بلا عبرة أو اعتبار و لأسباب واهية كحال سابقاتها .. و لا تشبيه دقيق لهذه الحروب أكثر من تشبيه كوكب الأرض **بإنسان يتصارع في أعماقه إلى أي جهة من العالم ينتمي متغافلاً عن الحقيقة الأشمل و الأجمل بأنه العالم كله بشرقه و غربه ، بشماله و جنوبه** و أن انتصار أي طرف فيه على الآخر يعني نهاية العالم برمته و هزيمة

هذا الشخص المحتمة ، فكل هذه الأطراف تعيش على قارب واحد فإن ثقب أحدهم القارب كي يُغرق الأطراف الأخرى سيغرق معها بنفسه ، أي أن هذا الإنسان بمجرد إعلانه الحرب فهو يخوض حرباً خاسرة من بدايتها أياً كانت نتيجتها .. **فإن تعاركت ذراعاك و قطعت إحداهما الأخرى هل تسمي ذلك انتصاراً لك كإنسان ؟!** لذا فالانتصار الوحيد للإنسان هي أن يقتنع أن لا سبب أو مبرر للحرب من الأساس ، أي أن يفهم بأنه ينتمي للعالم برمته بأقطابه الأربعة و ليس إلى جزء ناقص منه .. **فيعزف عن الحروب و يعزف على نغمات السلام الداخلي** ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**حروب عبثية**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= هذه **الحرب مقدسة** و سأضحي بحياتي من أجلها ..

بل أن نقول :

= هذه **الحياة مقدسة** و سأحيا من أجل إعمارها و ازدهارها ، فقد ضحى كثيرون غيري من قبل بحياتهم لأجل حروب ظنوها مقدسة من أجل أوطان افتراضية رسمت حدودها الاحتلالات بالأساس أو لغايات دينية غير شرعية تخالف مبادئ الكتب السماوية أو احترقوا

كوقود لأحلام و طموحات الآخرين أو دفاعاً عن شرف لا وجود له من باب الحمية الجاهلية البغيضة من أجل حيوان مقتول أو دلو أو مباراة كرة قدم أو بحجة شرف جنسي بلا شرف بحد ذاته .. و البشر في جميع الحروب أشبه بدونكيشوت الذي يحارب طواحين الهواء ، ففي النهاية هو يحارب نفسه لا غير و سيقتل نفسه في الحرب بلا شك لذا سيخسر بالحالتين .. و انتصاره الوحيد هو بالحياة و الازدهار لا بالحروب العبثية ..

هنالك معضلة قانونية شهيرة تدعى (**معضلة المتهمين**) و فيها يقوم محقق باستجواب شخصين متهمين بتهمة ما هما بريئان منها تماماً ، و المحقق لا يملك أي دليل دامغ على أي منهما ، فهنا تكون خيارات هذين الشخصين كالتالي :

- **أن ينكر الاثنان علاقتهما بالتهمة فيخرج الاثنان براءة ..**
- **أن يشهد أحدهما على الآخر فيعدمه و يخرج هو براءة ..**
- **أن يشهد الاثنان على بعضهما فيعدمان سوياً ..**

و للأسف بسبب طبيعة النفس البشرية الأنانية و التي ينهشها الشك و الارتياب سيقوم كل من المتهمين على

الأرجح بالشهادة على الآخر كي يخرج نفسه من الموضوع و يسبق الآخر قبل أن يورطه لتكون النتيجة هي إعدام بريئين بتهمة لا وجود لها من الأساس ..

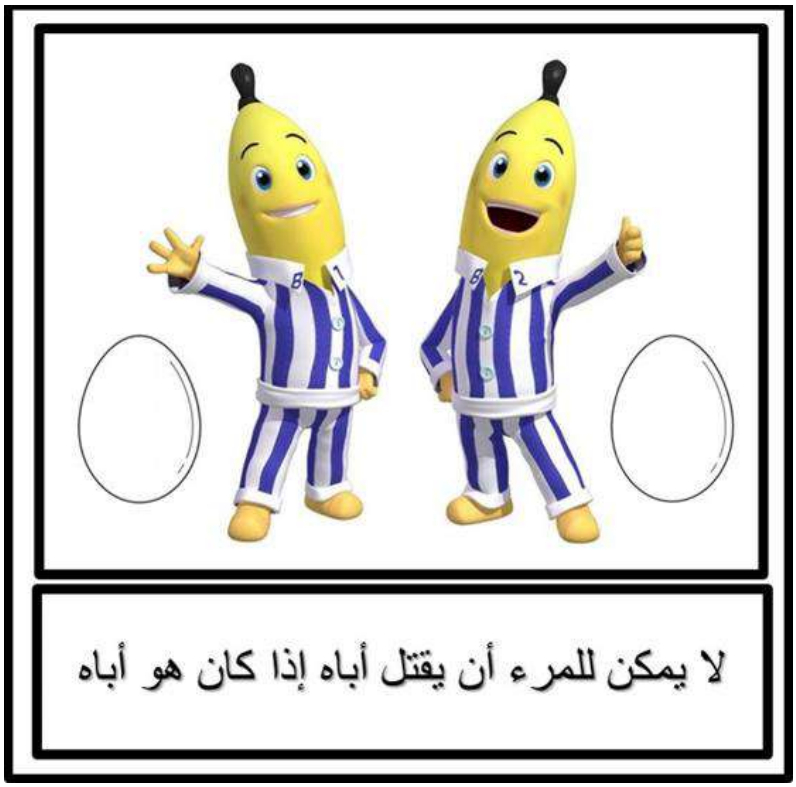

هذا بالضبط هو حال الحروب عبر التاريخ ، كان من الممكن بمنتهى البساطة ألا تندلع باتباع الحد الأدنى من الحكمة و المنطق و التعقل .. لكن شك البشر ببعضهم يدفعهم على الدوام إلى اتباع المثل الشعبي البغيض :

(سأتغدى به قبل أن يتعشى بي)

دون أن يعي البشر أن بإمكانهم الإفطار سوياً على مائدة واحدة هي مائدة العالم الكامل (**كوكب الأرض**) الذي يتسع بمساحته و خيراته للجميع ..فيفهم الجميع أنه ما من شخصين متهمَين بالأساس بل هنالك شخص واحد

هو الأرض برمتها فيه ملامح من الشرق و من الغرب ، من الشمال و من الجنوب، و يعيش حرباً أهلية افتراضية و عبثية لا وجود لها من الأساس و محركها الأساس هو **الشك و الطمع و الأنانية** بين البشر بحيث تحاول كل ملامح فيه أن تطغى على الملامح الأخرى ، دون أن يعي البشر أن هذا الإنسان مميز و جميل بهيئته الشاملة هذه و لا داع أبداً لأي تغيير فيها .. و أخشى ما أخشاه أن يودي هذا الثالوث المرضي **الشك و الطمع و الأنانية** بمصير الأرض و البشرية في النهاية ، عندما يرفض البشر أن يتقاسموا كوكب الأرض و خيراته و بهجته سوياً فيطمع كل طرف بالكعكة بكاملها لنفسه فيشهد كل طرف على الآخر متوهماً أنه يورطه و ينقذ نفسه ، لكن ما يحدث في الحقيقة هو أنّ الطرفين يوقعان سوياً على نهايتهما !!

مغالطة اجتماعية

(قوانين السير)

في مغالطتنا هذه عزيزي القارئ سنتطرق إلى موضوعين هامين للغاية يحكمان العلاقات الاجتماعية بين الناس ، و بسبب حساسيتهما و خطورتهما سنتناول كل منهما على حدة كمغالطتين متشابكتين في مغالطة اجتماعية واحدة ..

الإفراط في الإحسان تجاه الآخرين

(إطار العربة)

= لماذا يبدو عليك الحزن يا حمزة و كأنك تحمل هموم الجبال ؟

= إن أخبرتك لن تصدق ، فما يحدث معي لا يتجرأ الخيال نفسه على اعتناقه .. !!

= خير ؟ شغلت بالي !!..

= تتذكر الفتاة التي أحببتها منذ عام ..

= **ليلى** ؟

= أجل ..

= ما خطبها ، هل أصابها مكروه ؟!

= لا ، بل أصابني أنا و بيدها ..

= لم أفهم !

= لقد تزوجت منذ أيام ..

= و ما المشكلة ؟! .. أنت أخبرتني عندما انفصلت عنك منذ عام بأنك رغم حزنك الشديد تتفهم أنها حرة بأفعالها ، و أنك تتمنى لها كل الخير و السعادة تحت أي ظرف ..

= أجل ، رغم أنّ ليلى تعني لي الكثير روحياً قبل أي شيء آخر ، إذ تجمعنا معاً روح مقدسة ، إلا أنني لا أغصب أحداً على البقاء بجواري .. و هي بالطبع حرّة بأن تفعل ما تشاء ، لكن منذ أيام وصلتني دعوة لحضور زفافها مرسلة من العريس غيّرت كل ذلك و حولت زواجها من حرية شخصية إلى مسرحية إباحية لإهانتي ، أي أنها لم تكتفي بالتفريط بعلاقة روحية مقدسة فحسب بل جعلت من زواجها أداةً لتزييف و تزوير الحقائق ..

= لم أفهم ، تقصد أنك تعرف العريس ؟!

= أعرفه !! إنه شخص مددت له يد العون طوال

حياتي و ساعدته على النهوض على قدميه في أسوأ الظروف التي عاشها .. إلى أن تغيرت معاملته معي منذ عام و بدون سبب واضح ..

= و من هذا العريس ..؟!

= إنه أويس ..

= صديقك القديم ..!!

= أجل .. تبين أنّ أويس تغير معي فجأةً لأنه أعجب بالفتاة التي أحببتها و أغراها لتتركني و تتزوج به ، مستغلاً السلطة و المنصب الذين يتمتع بهما ، فهذه نقطة الضعف الكبرى في شخصية ليلى ..

= مستحيل !! حبيبتك و صديقك يتفقان عليك .. و بعد ذلك كله يرسلان إليك دعوة لحضور زفافهما .. ما الذي يريدانه من ذلك ؟ إنه أشبه بالمفطر الذي يتلذذ بشرب الماء أمام شخص صائم في عرض الصحراء كي يغيظه !

= لا أدري و لا يمكنني أن أفهم.. إن أرادا خيانتي بهذه الطريقة القبيحة بدون حياء ، فلماذا لا يفعلان ذلك بعيداً عني بالأساس .. لماذا تصرّ ليلى على إخباري بأنها خانتني مع صديقي من أجل الجنس و الجاه .. و لماذا يصرّ صديقي على إخباري بأنه تغير معي فجأةً لأنه معجب بجسد حبيبتي .. ؟ و الأمرّ من ذلك كله أنّ

بطاقة الزفاف التي وصلتني حملت عبارة غريبة للغاية في نهايتها ذكرتني بتهكم أويس عليّ من قبل بأن اسمي مخنث لأنه يحوي تاءً مربوطة ..

= عبارة من أي نوع ؟

= عبارة تقول :

(الزواج ليس لأيّ أحدٍ كان كالمخنثين)

= هكذاً إذن ! يعتبرك غير مؤهل للزواج لأنك مخنث بنظره ، و بأنه الفحل الذي تخضع له النساء .. بالفعل كما قلت ، الخيال نفسه يعجز عن حياكة مثل هكذا خيانة ، و كلام جميع قواميس اللغات يعجز عن وصف قباحة فعله .. أتفهم ألمك و حزنك يا صديقي حمزة ..

= هل تتوقع أن يكون هذا معنى العبارة ؟!

= بالطبع و لا شيء آخر .. لكن رغم هذا التعامل غير الإنساني أو الأخلاقي معك من قبل أويس و ليلى ، في الحقيقة هنالك جزء مما حدث تتحمله أنت شخصياً ..

= لم أفهم !! بماذا أخطأت أنا معهما ؟ لقد كنت صادقاً و وفياً مع أويس و أعنته في أحلك الظروف ، بل منحته أشياءً لم يكن يحلم بحياته كلها أن يحصل عليها ، و حبيبتي أحببتها بصدق و لم أرغب بشيء من هذه الحياة سوى أن تكون حولي و أراها سعيدة ؟..

= تماماً ، و هذا هو خطؤك الكبير الذي أعتبره نبلاً لكن الآخرين يرونه حماقة ، لقد أحببت ليلى أكثر مما تستحق و ينبغي ، و قربت صديقك أويس أكثر مما يستحق بدوره فكنت معطاءً بلا حدود و بلا مقابل ، و قبلت أن تكون الطرف الذي يتم استغلاله في علاقة الصداقة التي جمعتكما .. تمد يد المساعدة و الدعم له باستمرار في مختلف الظروف و المناسبات في حين هو بالمقابل يستقبل ذلك و لا يمنحك أي شيء أبداً ، و هذا بتعبير آخر يشبه **نفخك لإطار سيارة بالهواء أكثر مما يستوعب ، فالنتيجة ستكون انفجاره في وجهك و تشويه صورتك في عيون الآخرين و أذيتك** .. أي كما فعل أويس معك بالضبط .. و هذا قانون ثابت في الحياة يشمل كل الناس و كل العلاقات الاجتماعية ..

= إذن ما حدث معي ليس حالة خاصة ..؟!

= إطلاقاً لطالما تعرض البشر لطعنات الغدر بسبب منحهم الثقة الزائدة أو المقام غير المستحق للآخرين .. و هذا التصرف لن يؤدي إلى خسارتهم في النهاية فحسب بل قد يصل الأمر إلى أذى أكبر من ذلك بكثير كما فعل أويس و ليلى بخيانتهما لك ثم دعوتك الوقحة إلى حفل زفافهما ، بل قد يصل بك الأمر إن أنت أكرمت من لا يستحق إلى خسارتك حياتك نفسها ..

= معقول ؟!

= بالطبع ، و التاريخ خير شاهد على ذلك .. ألم تسمع بقصة مقتل يوليوس قيصر الشهيرة ..

= بلى .. لكن ليس بالتفصيل ..

= في عام **44** قبل الميلاد تآمرت حاشية قيصر كلها عليه و اتفقوا على طعنه جميعاً في نفس اللحظة كي يتوزع دمه عليهم جميعاً و يضيع ثأره في المستقبل ..

= و ما علاقة ذلك بأويس ؟

= سآتيك بالكلام .. من ضمن الجمع الذي طعن قيصر كان صديقه بروتوس الأصغر منه بالعمر بكثير و الذي عامله قيصر كابن له و أكرمه و منحه ثقته الكاملة ..

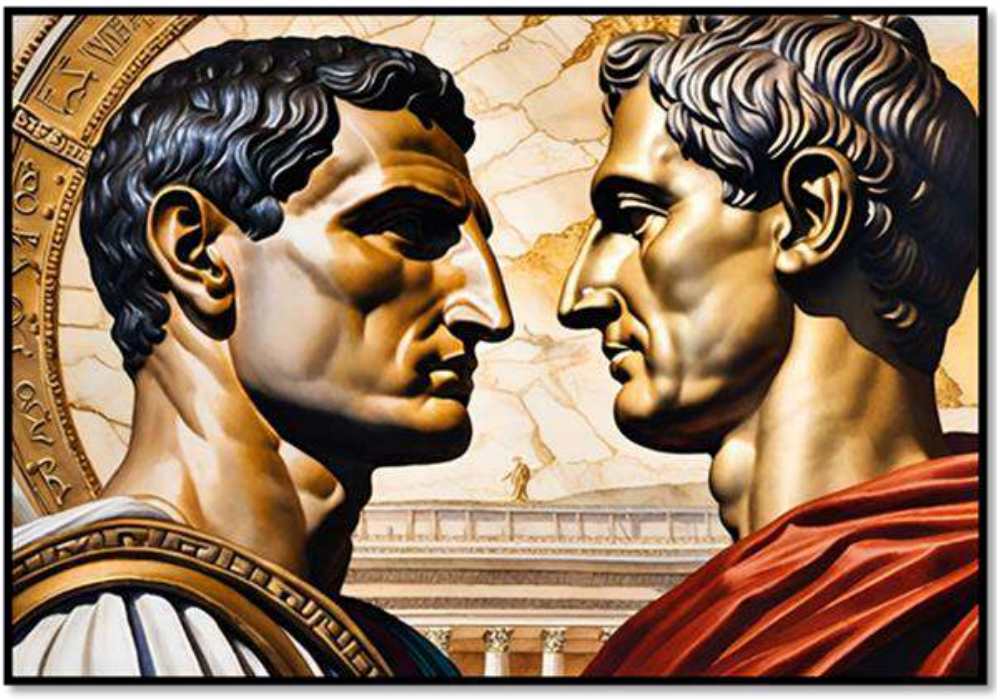

= و ماذا فعل بروتوس ؟

= رغم الكم الهائل من الطعنات التي تلقاها قيصر فإنه

لم يمت ، حتى أتت الطعنة الأخيرة و كانت بيد بروتوس نفسه ، هنا قال قيصر جملته الشهيرة :

(حتى أنت يا بروتوس ؟! فليمت قيصر إذاً)

و غطى وجهه كي لا يرى وجه بروتوس و فقد حياته .. لتصدق مقولة **جبران خليل جبران** الشهيرة :

(عندما أصابت الرصاصة قلبي لم أمت ، لكنني متّ عندما رأيت وجه من أطلقها)

= يا لها من خيانة مرّة و بشعة !! إنني في حالتي الراهنة أتفهم مشاعر قيصر بالكامل فما حدث لكلينا متشابه على نحوٍ غريب ، لكن لماذا فعل بروتوس ذلك بقيصر ؟!

= برّر بروتوس فعلته بالقول :

(لم أقتل قيصر لأنني لا أحبه ، بل لأنني أحب روما أكثر)

= ما هذا الكلام المفعم بالهراء ،يا لها من حجة واهية !

= بالضبط ، كان بإمكان بروتوس أن يلتزم الحياد في أسوأ الحالات إن لم يرغب بمساعدة صديق عمره بحجة أنه يراه ديكتاتوراً رغم أنه استفاد منه حتى النخاع من قبل مما يشير إلى نفاق بروتوس كشخص بالأساس، و

كان الأحرى به وفاءً لصديقه و تقديراً لإحسانه له و معروفه معه أن يقنع حاشية قيصر بإبعاده أو حتى سجنه أو نفيه عوضاً عن قتله ، لكنه قتله بدم بارد مع البقية ، و لا أستغرب أن يكون قد وُعد بمكاسب كبيرة في حال نجحت الخطة و قُتل قيصر ..

= أي أنه باع صديق عمره من أجل منفعته كالعادة ..

= تماماً كما باعت حبيبتك ليلى قصة حبك العذري معها من أجل الجنس و الجاه و باع صديقك المقرب أويس وفاءك و إحسانك من أجل جسدها و إثبات تفوقه عليك ، لأنه يشعر بعقدة نقص تجاهك كونك ساعدته لسنوات دون أن يقدم لك هو بالمقابل أي شيء يذكر و هذا منعكس نفسي بدائي لخصته المقولة الشهيرة :

(**اتقّ شرّ من أحسنت إليه**)

فالمنطقي أن يبادل الآخر إحسانك بالوفاء و الإحسان ، لكنه بسبب عقدة النقص تلك سيبادله بالشر و الغدر، تماماً كما فعل بروتوس مع قيصر ، فقد **استفاد بروتوس من قيصر في حياته** و عندما أدرك أنّ أمره انتهى **قبل بموته بل قتله بيده بنفسه** ، ثم تاجر بموته لتحقيق منفعته الشخصية لا أكثر ، و كل ذلك حدث

بسبب أن قيصر نفخ بروتوس بثقته به أكثر من اللازم فانفجر بوجهه كإطار السيارة .. إنه قانون ثابت في الحياة ، لذلك لا تحزن على ما فعله أويس و ليلى بك و تجاوز الأمر رغم أنه مؤلم و محزن بلا ريب ، فاستعد حيويتك و ثقتك بنفسك مجدداً ، و دع مظلوميتك للأيام فهي تدور و لا تبقى على حال ..

*****

يقول كثير من الناس :

(سأتعامل مع الناس كما أحبّ أن يعاملوني ، لذا سأكون طيباً و لطيفاً مع الجميع بدون قيد أو شرط)

فهل هذه الفلسفة الجميلة صحيحة و منطقية ، بمعنى أنه ينبغي على جميع البشر اتباعها كقاعدة ثابتة في علاقاتهم الاجتماعية ؟! أم أنها مغالطة جديدة تبصر النور إلى عالم مغالطاتنا ..

و كجواب وجيز و مبدئي كعادتنا يمكننا القول :

(الصدق و اللطافة أمران لا بد منهما في العلاقات الاجتماعية ، لكن يتوجب علينا إضفاء صفة الرسمية في تعاملنا مع الآخرين من حولنا بدءاً

من أقرب المقربين و الأحباء، لأن تقديم الورد الزائد قد ينتهي بالآخرين إلى تقديم طعنات الغدر لنا كما فعل بروتوس بقيصر بالضبط)

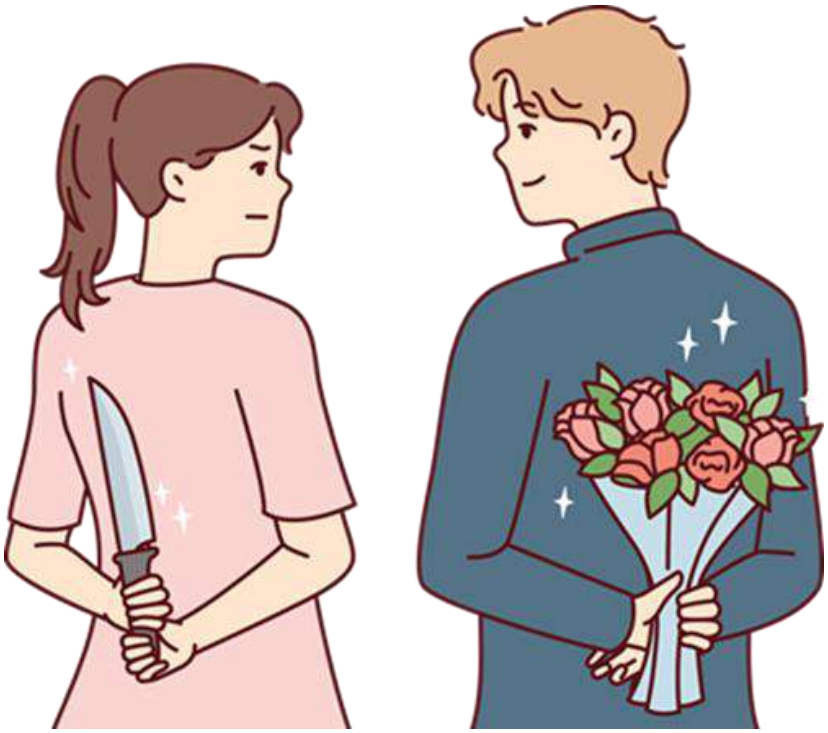

لتوضيح هذا الجواب أكثر سنقوم بمقاربة فكرتنا من **3** زوايا هامة للغاية :

① **خيبة الأمل ..**

② **نظرية الحمل الزائد ..**

③ **نظرية مسافة الأمان ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ اللطيف نتعامل مع موضوعنا بصدق لنرى هل سيقابل لطفنا بالمثل فيجود علينا بحقائق جديدة ؟!

① خيبة الأمل :

لا شكّ بأنّ الأمل هو أجمل و أهم شيء في حياة الإنسان ، إنه بصيص النور في نهاية النفق المظلم الذي يجعلك تبتلع جراحك و ترمم كسورك و تمضي بقوة نحو المخرج غير عابئ بالظلام من حولك .. لذا قيل :

(ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل)

و بسبب ذلك فإنّ خيبة الأمل هي أكبر ألم ممكن أن يشعر به الإنسان في حياته .. **إنها اللحظة التي ينتصر فيها الظلام من حولك على النور في نهاية النفق فتشعر بحالة من الضياع و الضعف و الانكسار ..**

و خيبة الأمل قد تأتي على صور شتى لعلّ أكبرها و أكثرها إيلاماً هي خيبة الأمل بالأشخاص كغدر صديق

أو خيانة حبيب مثلاً كما حدث مع صديقنا حمزة في مقدمة مغالطتنا ...

و حجم خيبة الأمل يكون بمقدار حجم الأمل بالأساس ، فكلما كان أملك المعلق على الآخرين أكبر كانت خيبة الأمل أكبر و كانت طعنة الخنجر أعمق و ربما قتلتك في النهاية كما حدث مع قيصر بالضبط .. لذا عزيزي القارئ لا تعلق آمالاً عظيمة على أي أحد .. لأنك في هذه الحالة ستسلمه مفاتيح قوتك ، فإن كان قليل أصلٍ سيدمرك في سهوة من عين الزمن لتصبح مصيبتك ثلاثية ، مصيبة فقدان أملك و بصيص النور الذي تتبعه ، و مصيبة خيبة الأمل في ذلك الشخص ، و مصيبة خسارتك لمكامن قوتك ..

و خير نصيحة تأتينا في هذا المجال هي مقولة **ألبرت اينشتاين** الشهيرة :

(إذا أردت ان تكون قوياً و تحقق أحلامك ، فاربط حياتك بأهداف لا بأشخاص)

فالأشخاص بالمحصلة سيبحثون عن مصالحهم الشخصية ، فإن كان تحقيقها يتطلب سحقك بطريقهم فستتحرك جينات الغدر فيهم كما وضحنا في مغالطة (**الغدر محكوم بالجينات**) من قبل، و لن يترددوا عن فعل ذلك فيشوهوا صورتك في عيون الناس و سمعتك

في المجتمع من حولك .. و كلما كان وفاؤك لهم أكبر كلما عرفوا مكامن قوتك أكثر فسهلت عليهم مهمة إيذائك و المتاجرة بآلامك في سبيل تحقيق أحلامهم و أهدافهم فيزيفوا الحقائق و يتلاعبوا بالمنطق كحال الأسطورة الإغريقية بروكرست بحيث يمتصون دمك حتى آخر قطرة ثم يتركونك جثة هامدة ..

و بذلك فإنّ أكبر مسبب لخيبات الأمل بالأشخاص هو **منحهم الثقة المطلقة و تسليمهم مفاتيح حياتك** ، لذا إن أردت أن تتجنب خيبات الامل فاجعل علاقاتك بالجميع من حولك رسمية و ضمن حدود مدروسة ، بحيث إن تبين لك لاحقاً بأنهم غير مؤهلين لاكتساب تلك الثقة فستكون في المساحة الآمنة التي تحميك من عواقب غدرهم أو تبعات خيبة أملك بهم .. و **العلاقات الرسمية** هي فقط الأساس و الحلّ لتجنب خيبات الأمل عزيزي القارئ ، فاجعل ثقتك المطلقة بشخصك فقط و اتبع عقلك في ظلام النفق فهو سيقودك إلى النور في نهايته بلا شك في حين يتساقط الانتهازيون على جانبي الطريق بينما تمضي قافلتك نحو مخرجه ..

② نظرية الحمل الزائد :

يقال في التراث الشعبي :

(لا تعطِ أحداً أكثر من قيمته كي لا تصغر قيمتك

في عينيه ، فالورد يموت أحياناً من كثرة الماء)

و هذه **حقيقة اجتماعية مؤكدة كقانون فيزيائي ثابت** ، فلكل شيء في هذه الحياة درجة استيعاب محددة للأمور الجيدة ، فإن تجاوزتها انقلبت الصورة إلى نتائج عكسية سلبية و أحياناً خطيرة تناقض طبيعة الفعل الأول ، و الإنسان لا يشذّ عن هذه القاعدة ، فكل شخص لديه قدرة لاستيعاب درجة معينة من المديح أو الإحسان إليه أو تعظيم أفعاله بعيون الناس فإن جاوزت هذه الأمور درجة استيعابه تحول إلى شخص آخر يسيء للآخرين الذين امتدحوه بالأساس في مفارقة غريبة و مؤلمة لكن حقيقية بكل تأكيد كما شرحنا من قبل في مغالطة (**الغدر محكوم بالجينات**) أيضاً و التي تعزز المقولة الشهيرة : (**اتق شرّ من أحسنت إليه**) ..

و في الحياة الحكيمة المفعمة بالعبر أمثلة كثيرة قد تكون بسيطة في ظاهرها لكنها عميقة للغاية و تدعم هذه النقطة ، نذكر منها من باب التوضيح :

❁ **البالونات :** حالها حال إطار السيارة ، إذا نفخت أكثر من اللزوم تنفجر في وجهك بالنهاية لتشوه صورتك في عيون الناس ، فيتحول فعلك الإيجابي تجاه البعض إلى فعل سلبي مشوه و معيب من قبله تجاهك !!

❁ **الإناء :** فلكل إناء قدرة محددة على استيعاب المادة بداخله ، فإن تجاوزت كمية المادة هذا الحد ستبدأ بالتسرّب إلى خارج الإناء لتلوث المائدة و ربما ثيابك أيضاً و تصبح مادة مهدورة ذات تأثير سلبي عكسي !!

❁ **الوتر :** فإن قمنا بشدّ أوتار الغيتار مثلاً أكثر من اللزوم فإنها ستنقطع بالنهاية ، و هذا حال العلاقات الاجتماعية ، إن منحنا الآخرين ثقة و مكانة أكثر من اللزوم ستنقطع أوتار المودة بيننا و بينهم !!

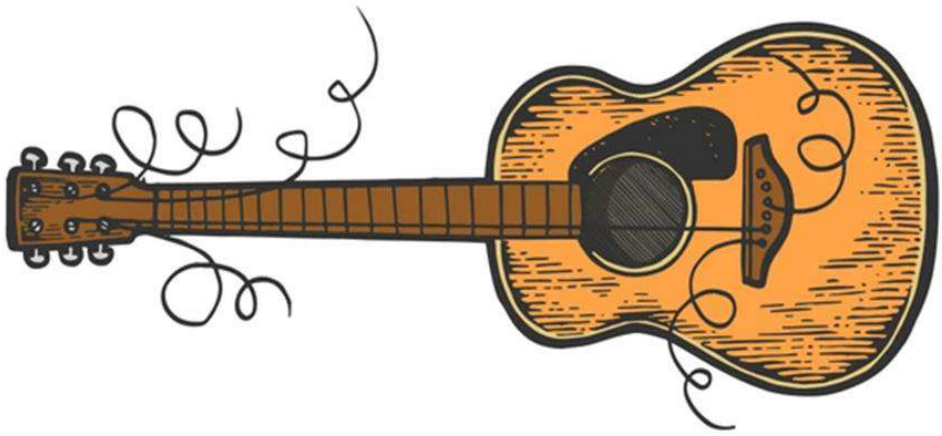

و في التراث الشعبي قصة مميزة ذات عبرة لصيقة بهذه النقطة من مغالطتنا تروي حكاية قومٍ خرجوا إلى الصيد ذات يوم ، و بينما هم في عرض الصحراء إذ خرجت عليهم ضبعة (يلقب العرب الضبعة **أم عامر**) ، طاردوها فهربت منهم حتى دخلت إلى خباء بدوي ، فخرج إليهم البدوي وقال: (**ما شأنكم؟**) فقالوا:(**هذه صيدنا وطريدتنا**) ، فقال: (**كلا و الذي نفسي بيده لا تصلون اليها ما ثبت سيفي بيدي**) ، فمن أخلاق البدو أنهم إذا استجار بهم أحد لا يخذلونه ، لذا رجع الصيادون و تركوه على مضض.. اتجه البدوي الى شاة عنده فحلبها ، ثم اقترب من الضبعة و قرّب إليها إناء الحليب فأقبلت تشرب حتى ارتوت و استراحت و

عادت لها الحياة ثم نامت ..

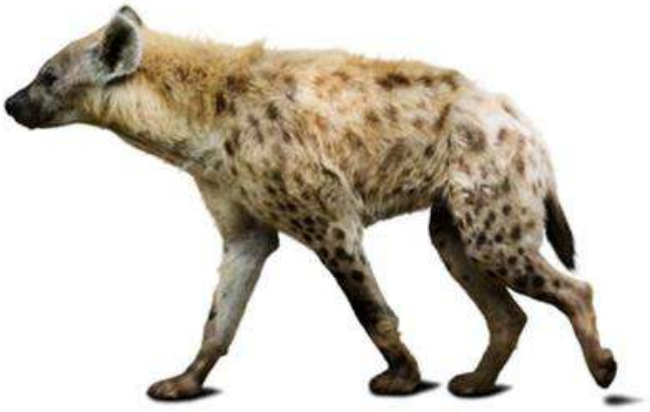

و بينما البدوي نائم في جوف الليل إذ وثبت عليه الضبعة فبقرت بطنه وشربت دمه وأكلت لحمه ثم تركته جثة مشوّهة ، و في الصباح جاءه ابن عم له يزوره و إذ به يراه مضرجاً بدمائه و قد بُقر بطنه و أُكِل قلبه .. فالتفت إلى موضع الضبعة فلم يرها فصاح: (**هي و الله التي أجارها بالأمس ..!!**) ، أخذ قوسه وكنانته وتبعها فلم يزل يبحث عنها حتى أدركها و قتلها .. ثم بكى على ابن عمه عند جثتها و أنشد الشعر التالي

ومن يصنع المعروف في غير أهله

يلاقي ما لاقى مجير أم عامر

أدام لـها حين استجـارت بقربه

قـراها مـن البان اللقاح الغزائر

وأسمنها حتى إذا ما تكاملت

فرته بـــأنياب لهـــا و أظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من

غداً يصنع المعروف مع غير شاكر

فالبدوي منح تلك الضبعة مكانة لا تستحقها بحكم طبيعتها المفترسة و كان الأجدر به إن لم يسمح للآخرين بقتلها أن يطعمها و يتركها في البرية ، لكن إبقاؤه عليها بجواره جاوز حد الاستيعاب المفروض فكانت النتيجة عكسية بافتراس الضبعة له !!

③ نظرية مسافة الأمان :

في العلاقات الاجتماعية يجب دوماً ترك مسافة أمان بيننا و بين الآخرين، و هي ما يدعى بتعبير آخر **العلاقات الرسمية** ، بحيث لا نعطي أحداً الثقة المطلقة أو نمنحه مقاماً أعلى مما يستحق كي لا تكون النتائج عكسية فيخون تلك الثقة و يحطّ من مقامنا ، و مسافة الأمان هذه نجدها في أمور كثيرة في حياتنا اليومية تدعم هذه النقطة بشكل بليغ ، نذكر منها :

❁ **قيادة السيارات** : فالعلاقات مع الآخرين أشبه بقيادة السيارات و عليك دوماً ترك مسافة أمان بين سيارتك و سيارات الآخرين تجنباً لحوادث السير

معهم! و تجاهل مسافة الأمان يعني الاصطدام الحتمي بين السيارات بالمحصلة ..

❁ **النار** : فهي مصدر للدفء يفيدنا في أوقات البرد الشديد ، لكننا إن تجاوزنا مسافة الأمان بيننا و بينها سنحترق فينقلب التأثير عكسياً إلى تأثير سلبي ..

❁ **لافتات عدم الاقتراب** : فكثيراً ما نشاهد لافتات متنوعة على الطرقات تحذّرك من الاقتراب بسبب وجود طريق زلق أو أعمال بناء أو طريق جليدي أو منعطفات خطرة أو غيره ، لذا عليك التقيد بهذه اللافتات

كي لا تؤذي نفسك ، و في العلاقات الاجتماعية هناك لافتة وحيدة تقول : (**احتفظ بعلاقة رسمية و لا تقترب أكثر من ذلك**) .. لأن النتيجة باتت معروفة بعد تحليلنا للنقاط السابقة !!

و في الختام من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أريد أن أعامل الناس بلطف و صدق كما أحب أن يعاملوني ..

بل أن نقول :

= لا بدّ من اللطف و الصدق في التعامل مع الآخرين ، لكن ضمن إطار رسمي للعلاقة بحيث لا نعطي الآخرين ثقة أكبر مما يستحقون أو نرفعهم إلى مقام أعلى مما ينبغي فينفجرون في وجهنا كإطار السيارة .. أي أن نتعامل مع الآخرين كما نتعامل مع النار ، نقترب منها إلى حدود معينة تمنحنا الدفء ، لكن لا نتجاوز مسافة الأمان فنحترق بنيرانها ..

يقول كبير الفلاسفة الإمام **علي بن أبي طالب** :

(إذا وضعت أحداً فوق قدره فتوقع منه أن يضعك دون قدرك)

و هذه الحكمة البليغة باتت مفهومة جيداً بعد مقاربتنا السابقة لمغالطتنا .. فربما وصلت بالتعامل غير المناسب كعطاء بلا حدود و بلا مقابل مع البعض و أن تمد لهم يد المساعدة و المودة باستمرار إلى درجة يمدّون فيها سكين الغدر و التآمر عليك في النهاية كما حدث مع قيصر و بروتوس في مقدمة مغالطتنا ، **فالمكانة المميزة التي منحها قيصر لبروتوس انتهت بطعنة بروتوس المميتة لقيصر** .. لذا عليك بالعلاقات الرسمية عزيزي القارئ و لا شيء آخر ، فاترك مسافة أمان أمامك بينك و بين الآخرين ، أما من يستغلك من وراء ظهرك مغتنماً فرصة أنك لا تراه فالقانون الإلهي يتكفل به .. و تذكر أنه حتى في قوانين

السير ، فإنّ أي حادث من الأمام (منحك الآخرين ثقة زائدة) أنت مسؤول عنه ، و أي حادث من الخلف (طعنات الغدر) ، الآخرون يتحملون مسؤوليته ، فاحترس بقيادتك بين الناس (كن صادقاً و وفياً ضمن علاقات رسمية) و دع من خلفك يحصد ثمار قيادته المتهورة (غدره بك) .. و بالعودة إلى مقدمة مغالطتنا لقد كان أويس مغروراً بنفسه بأنه شخص مفعم بالذكورة كإنسان شرقي أو لنقل **Y** أغرى ليلى **X** ليبعدها عن حمزة و يثبت بأن حمزة شخص مخنث **XY** كما يتهكم عليه و بأن الزواج له ناسه ، فشوه سمعته و صورته في عيون ليلى **آكلة الأكباد** و بين الناس ، لكن من زاوية أخرى فالحقيقة أنّ حمزة و كما وضحنا في مغالطة **SOS** من قبل هو بيضة كاملة من أب و أم (شرق و غرب) أي كالكوكب الأرضي البيضوي بكامله يحتضن الجميع بمحبة و حنان ، و لعل أويس شعر بالنقص من حمزة بسبب ذلك فقابل إحسانه بالغدر ، لذا على حمزة أن يدع ما حدث معه لقاضي السماء.. لأنّ الذكر قليل الأصل عندما يحين قضاء السماء لن تنفعه ذكوريته أو شعاراته الجوفاء بشيء و لن يتمكن حتى من الانتصار لنفسه فإما يفطس كالجرذان أو يهرب كالنساء فالأضراس المسوسة نهايتها القلع و لا شيء آخر ..

*****

الغيبة و البهتان

(عندما تأكل لحم أخيك)

= لقد اشتقت لراشد كثيراً فلم أره منذ أسبوع ..

= و ما الذي يعجبك فيه كي تشتاق له ؟!

= إنه إنسان كريم و مهذب و متفوّق ..

= دعك منه .. إنه مجرد إنسان مخنث ..

= كيف تقول عنه ذلك .. ألم يساعدك في واجباتك المدرسية كثيراً ..؟

= حلالٌ على الشاطر .. على الإنسان أن يستغل أي

فرصة جيدة .. هذا يسمى حنكة و ذكاء ، ألم تسمع بالتقية من قبل ؟!..

في تلك اللحظة وصل راشد على حين غرّة ليقطع سلسلة الحديث .. فسارع الشاب الذي كان يتحدث عنه بالسوء يبتسم في وجهه و يقول ..

= أهلاً بك صديقي .. ابن حلال .. كنا للتو نتحدث عنك بالخير .. أتيت في وقتك المناسب فلدي واجب مدرسي أعجز عن حله ، و لا يوجد غير صديقي راشد كي يساعدني به كالعادة ..

= من دواعي سروري يا صديقي .. هل أنا صديق من فراغ ، كلمة صديق اشتقت من صدق المشاعر بالأساس ، و أنا كصديق لا أتوانى عن مساعدة أصدقائي أبداً ..

*****

لا شك عزيزي القارئ أنك تعرضت في حياتك مرة على الأقل لنفس ما تعرض له صديقنا راشد ، عندما يبتسم إنسان في وجهك و هو يخفي في أعماقه مشاعر سلبية هائلة تجاهك و يشوه صورتك في أعين الناس من وراء ظهرك مستغلاً أنك تجهل ذلك ، و لربما كنت على دراية بكل ذلك و تغض الطرف احتراماً لنفسك لا لغيرك كونك تكره الخوض في أحاديث القيل و قال و تركز على مساعدة نفسك و الآخرين بمن فيهم أولئك الذين يستغلونك و بنفس الوقت يسيئون لك بين الناس في غيابك منطلقاً من مبدأ الترفع و التسامي .. ليأتينا السؤال التالي من القرآن الكريم بقول البارئ :

(أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟!)

هذه الآية البليغة التي شبه بها الله كلام الغيبة من وراء ظهر أخيك الإنسان ، كما لو كنت تقتله ثم تأكل لحمه .. و يتابع البارئ فيقول

(فكرهتموه) ..

و لكن هل جميع البشر على أرض الواقع يكرهون ذلك بالفعل ؟! أم أن هذه مغالطة جديدة و هنالك من يستمتع بأكل لحوم البشر أي باغتيابهم و يتلذذ به ..

للإجابة على هذا السؤال سنقوم بمقاربته أكثر من **4**

زوايا غاية في الأهمية :

① **الغيبة و البهتان ..**

② **عقلية الاغتياب ..**

③ **هل أنت مؤهل للغيبة ؟!**

④ **فوائد الغيبة على مرارتها ..**

لكن قبل الخوض في تفاصيل هذه المغالطة و زواياها سأروي لك عزيزي القارئ قصة حقيقية من صفحات التاريخ ذات صلة وثيقة بسؤالنا ، و التي حدثت في فرنسا في بداية القرن **15** عندما كانت تشهد حرباً أهلية و تعاني من مشاكل اقتصادية مرعبة.. ففي خضم تلك الأحداث اشترك كلّ من **باراباس كابارد** و **بيار ميكولون** في سلسلة من أعمال القتل حتى انتهى بهم المطاف إلى قتل **343** رجلاً خلال **4** سنوات فقط ! و كانت مهمة الحلاق كابارد تتمثل في ذبح زبائنه بموس الحلاقة للاستيلاء على نقودهم، ثم يتخلّص الخباز ميكولون من جثثهم بطريقته الخاصة ..

حيث كان الحلاق و بعد تنفيذه جريمة القتل يقطّع جثة ضحيته ، ثم يلفّها ويرميها داخل فتحةٍ بمحله تؤدي مباشرةً إلى قبو متجر جاره وشريكه الخباز، الذي يستخدم لحم الجثة في إعداد وطهي نوعٍ من الفطائر الصغيرة ويبيعها إلى زبائنه ! و قد أقدم الناس على

شراء و تناول هذه الفطائر و وجدها كثيرون لذيذة حتى عرفوا في النهاية بعد اكتشاف جرائم هذين الشخصين أن الفطائر هي لحم بشري !!

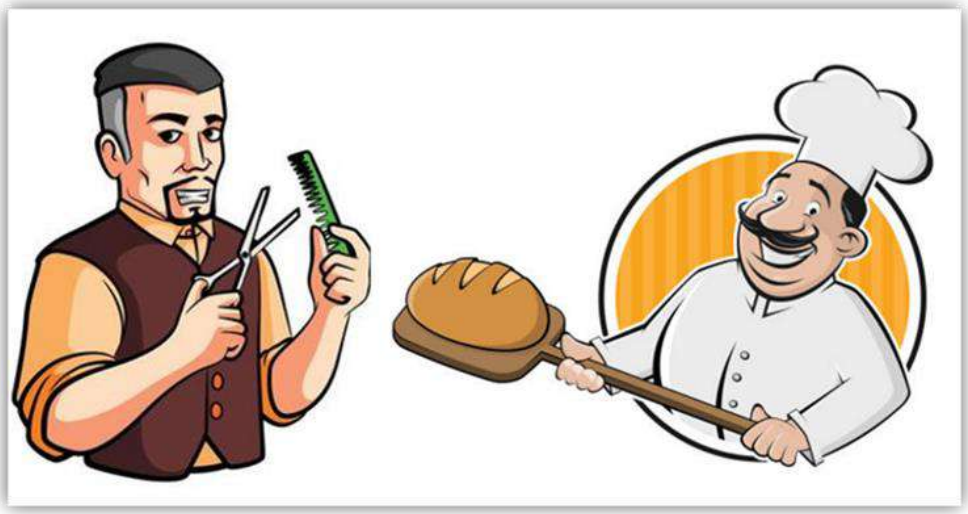

بالطبع كانت ردة فعل الناس عند معرفة الحقيقة سيئة للغاية ، و هذا هو رد الفعل الطبيعي للبشر على أكل لحوم بشر آخرين ، لكن كما نرى فإن باراباس و بيار لم يجدا ذلك سيئاً على الإطلاق ، بل تلذذا في قتل البشر و تحويل لحومهم إلى طعام و تناولاه بنفسيهما ..

العبرة من هذه القصة عزيزي القارئ أن الغيبة جريمة حقيقية لا تختلف أبداً عن قتلك لأخيك الإنسان و تناول لحمه كما وصفها البارئ من شدة بشاعتها و كما حدث مع الحلاق و الخباز في قصتنا ، و سبب ذم الله لها أنها تشير إلى ثالوث قبيح للغاية :

◉ **جبن** لأنك تتحدث من وراء ظهر أخيك ..

◉ **نفاق** لأنك تبتسم في وجهه عندما تلقاه ..

◉ **استغلال** لأنك ستنتهز أي فرصة لتحصيل مكاسب منه من باب ما تسميه وهماً حنكة و ذكاء ..

أي كما فعل ذلك الشخص مع صديقنا راشد في مقدمة مغالطتنا .. و من ينفذ هذا الثالوث برضا و طواعية هو شخص قبيح كقباحة بنوده ..فلا تكن عزيزي القارئ من هذا الصنف من الناس و لا تغتب أصدقاءك من وراء ظهورهم و تشوه صورتهم فملائكتهم حاضرة على الدوام تعد و تحصي حتى تقول الكارما كلمتها في النهاية ..

و الآن لنقلب صفحة الحلاق و الخباز كي نقارب الزوايا الأربعة لمغالطتنا بالترتيب :

❁ **الغيبة و البهتان** : و هما مصطلحان مختلفان يصفان حديثك عن أخيك في غيابه ، فإن كان كلامك السيء عن أخيك صحيحاً فهو يعتبر دينياً **غيبة** بدوره في حال تحدثت به من وراء ظهره و الأجدر بك أن تتحدث به في وجهه بجرأة لمنفعته ، فما قولك إن كان كلامك باطلاً فهذا ما هو أسوأ من الغيبة ، إنه **البهتان** كما قال نبي الرحمة **محمد** :

(أتدري ما الغيبة ؟ إنها ذكرك أخاك بما يكره دون علمه ، فإنْ كانَ فيه ما تقول، فقد اغتبته، و إن لم يكن فيه فقد بهته)..

فإياك عزيزي القارئ من الوقوع في مصيدة الغيبة أو البهتان فتحاول تشويه سمعة أخيك و صورته بين الناس لتحصيل المكاسب لشخصك بغية تحسين صورتك في عيونهم بأنانية دميمة لا ترى سوى نفسها ..

و كما يقال في التراث :

(اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، و دع منه ما تحبّ أن يدع منك)

و للأسف كثيرٌ من الناس لم يسمعوا بهذه العبارة بل يعملون بعكسها تماماً فيشوهون صورة أخوتهم في عيون الآخرين !!

❁ **عقلية الاغتياب**: فالاغتياب مجرّد عقلية على أرض الواقع كعادة يدمنها البعض أشبه بثرثرة النساء ، و من يتحدث عن غيرك بالسوء أمامك ، تأكد أنه يتحدث بالسوء عنك أمام غيرك .. و كما قيل..

لا تُصغيّن إلى جليسٍ طالما

يغتابُ بعضَ الآخرينَ أمامك

فلسوفَ يجلسُ عندهم في مرةٍ

ليلوكَ لحمكَ بينهم وعِظامَك

و انتبه عزيزي القارئ بأنك بنفسك عندما تتحدث عن شخص من وراء ظهره أمام الناس فإنك تمنحهم الإذن بأن يتحدثوا عنك بالمثل من وراء ظهرك .. لنعود إلى تأثير الكارما الهائل و العادل من جديد ..

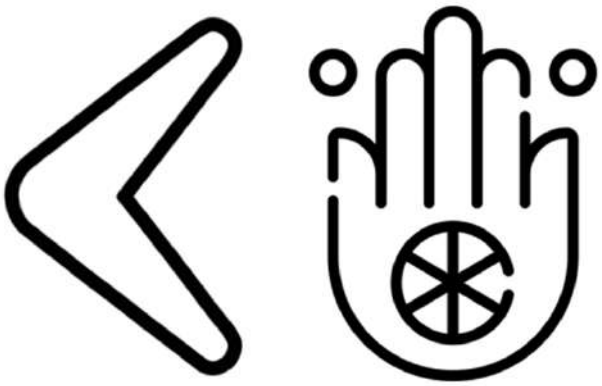

❁ **هل أنت مؤهل للغيبة ؟!**: إن أردت أن تتحدث بالسوء عن أخيك من وراء ظهره غيبةً أو بهتاناً ، عليك أن تسأل نفسك قبل كل شيء السؤال التالي الأهم :

(هل أنا أفضل من صديقي كي أتحدث عنه ؟)

و كنصيحة متواضعة أتمنى تقبلها مني عزيزي القارئ ، تذكر أبيات الشعر الأيقونية التالية **للإمام الشافعي** قبل أن تتحدث عن أي شخص في غيابه :

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات و للناس ألسن

و عيناك إن أبدت إليك معايباً

فدعها و قل يا عين للناس أعين

فإن كان كلامك عن صديقك صحيحاً و أردت لفت انتباهه إليه فبالطبع لن تتحدث به للآخرين من وراء ظهره ، بل ستقوله له في وجهه مباشرةً من باب النصيحة و المنفعة ، أما مجرد الحديث من وراء ظهره و خوفك من مصارحته به وجهاً لوجه فهو دليل على النوايا الخبيثة الرامية **لتشويه صورته في عيون الناس لإبراز نفسك كشخص هام على حساب آلامه** .. و كما يقال :

(أفضل كمّامة يمكن أن يرتديها الإنسان طيلة حياته

أن يمسك لسانه عن الغيبة)

فذلك وقاية للإنسان من عدوى حديث الناس عنه بالسوء كما يشوه هو سمعة أخيه بنفسه بينهم ..

❁ **فوائد الغيبة على مرارتها** : في الحقيقة أنا من محبي شعار الديانة التاوية لأبعد الحدود و ذلك لعدة أسباب لعل أجملها أنه يشير إلى حقيقة رائعة في الحياة بأنّ كل شيء مظلم و سيء يحدث معنا لا بد أن يحمل في أحشائه جانباً جيداً لنا ..

و في الواقع هذا ينطبق على حال الغيبة أيضاً ، فلها فوائدها و محاسنها التي سبق و تحدثنا عنها في مغالطة (**النار الإغريقية**) في الجزء الأول من سلسلة المغالطات ، و نكتفي هنا بذكر فائدة منها و هي أن حديث الناس عنك بالباطل دليل دامغ على أنك إنسان مؤثر لذا يرغبون في **تحطيمك ليبرزوا ذواتهم على حساب تشويه صورتك و سمعتك** ، و كما قال الشاعر الإيرلندي **أوسكار وايلد** :

(هناك فقط شيء واحد أسوأ من حديث الناس عنك و هو عدم حديثهم عنك)

فإن لم يتحدث عنك أحد فهذا يشير إلى أن حياتك في ركود و لا تغير في العالم من حولك ..

و في الختام ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول أي شيء سيء عن أصدقائنا من وراء ظهورهم ، بل أن نقول ذلك في وجههم من باب الفائدة و المنفعة لا الحقد و التشويه ، و أن نقول لأنفسنا :

= إن ذكرت مساوئ غيري الحقيقية من وراء ظهره فقد اغتبته كما لو أني قتلته و أكلت لحمه ، و إن ذكرت مساوئ ليست فيه فهذه كارثة أكبر و قد بهته لأشوه صورته في عيون الناس .. و عليّ أن أتذكر بأني

كإنسان مثل بقية البشر مليء بالعيوب و للناس ألسن كي تتناولها ، و الأهم الكارما تحكمنا جميعاً ، وكل تشويه يطال أحداً بسببنا سيرتد علينا ذات يوم بلا أدنى شك ..

هنالك في اللغة الإنجليزية مصطلح أعتبره جميلاً و معبراً للغاية ، فعندما يتحدث ناس عن طرف غائب ثم يظهر فجأة يقولونه له :

(BY TALKING OF THE DEVIL)

أي : بمناسبة الحديث عن الشيطان .. فعلى الأقل يعترف الناس هناك للشخص القادم أنهم كانوا يتحدثون عنه بالسوء أو بالخير لا فرق، بمعنى أنهم يكرهون الغيبة باللاوعي و يعترفون مباشرةً للآخرين أنهم كانوا يتحدثون عنهم .. و هذا خلق جميل على البشرية كلها أن تتحلى به .. لا أن يشيطنوا الآخرين من وراء جدر ثم يبتسمون بوجههم الذي يحاولون عبثاً تشويهه !!

البهتان أكبر الخطايا و الخبائث بشهادة أن الله شبهه بأبشع شيء ممكن للإنسان أن يفعله و هو **أكل لحم أخيه** ، و للأسف ينفذه بعض الناس ببساطة كلهوٍ و لغوٍ أو من باب المنفعة الشخصية ، في حين ينطبق عليهم قول البارئ :

(و تحسبونه هيناً و هو عند الله عظيم)

*****

بدمج مغالطتينا السابقتين معاً نتوصل عزيزي القارئ إلى خلاصة واحدة هامة للغاية :

(لا تغدق بالإحسان على الآخرين فتمنحهم الثقة المطلقة ، لأنهم على الأرجح سيقابلون معروفك هذا بقتلك و أكل لحمك باغتيابك و الحديث عنك من وراء ظهرك في محاولة لتشويه صورتك في عيون الناس بينما أنت تجمّل صورتهم في عيونهم ، أي ببساطة اتقِ شرّ من ستحسن إليه بألا تفرط بإحسانك هذا !! و هذا هو أهم قانون سير في شوارع العلاقات الاجتماعية)

مغالطة حجر بهذا

(لا إكراه في الدين)

= هل شاهدت الجزء الثامن من سلسلة أفلام (**المهمة المستحيلة**) المذهلة ؟!

= بالطبع لا .. فأنا أكره الممثل **توم كروز** ..

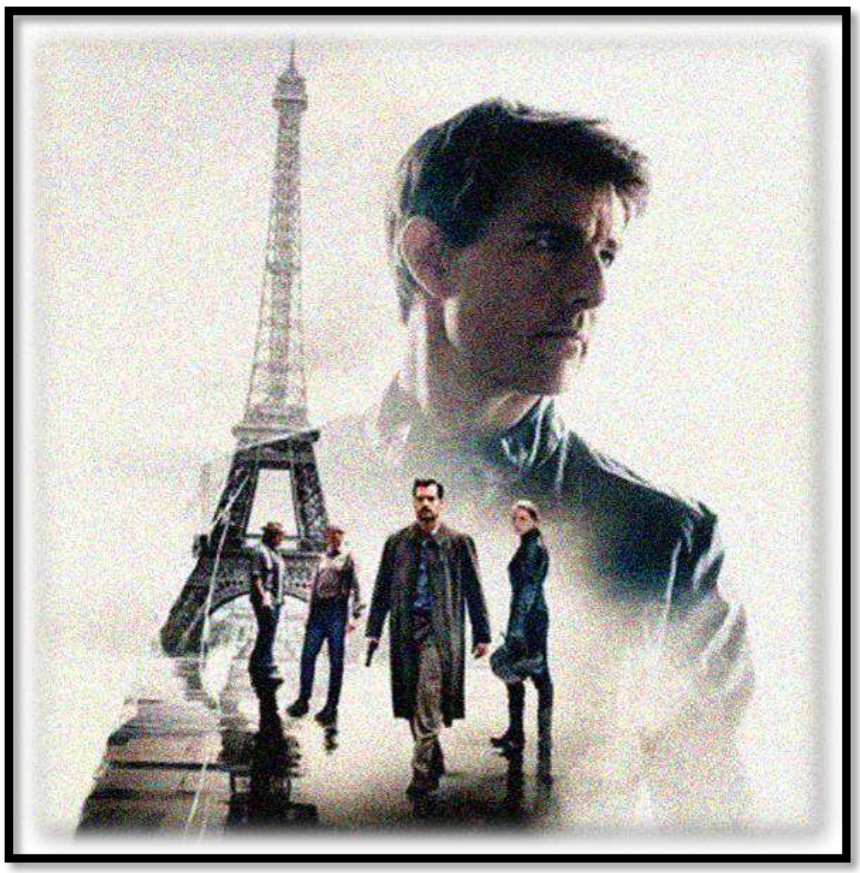

= تكرهه !! لماذا ؟

= لأنه إنسان كافر .. ألا تعلم أنه يؤمن بديانة غريبة تدعى **سينتولوجيا** ؟

= و ما مشكلة هذه الديانة ؟

= ديانة ابتدعها كاتب الخيال العلمي الأميركي **رون هوبارد**، و تقوم على مبادئ غير منطقية من قبيل أن البشر ينحدرون من مخلوقات فضائية و تمارس طقوساً عجيبة للغاية ..

= يا أخي هل يؤذي الممثل توم كروز أحداً بسبب اتباعه لهذه الديانة ؟

= لا أعتقد ..

= هل يرغم أحداً عل اتباعها ؟

= لا أظن ..

= إذاً ما المشكلة .. يا أخي لكل إنسان عقل مذهل يمكنه من اختيار ما يريد دون إجبار ، و الحق واضح و الباطل واضح .. و تبقى القاعدة العامة في الإيمان هي مقولة بوذا الشهيرة التي لا مثيل لها و لا بديل عنها :

(**اعبد الحجر لو شئت .. لكن لا ترجمني به**)

بل إن هذه المقولة تجسيد حرفي للآية القرآنية المذهلة :

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

فالله لم يمنحنا شرعية و لم يطالبنا بمهمة هداية الآخرين أو الأسوأ فرض معتقداتنا عليهم فيقول سبحانه في آية أخرى :

(و لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟)

و بعد كلام البارئ عزّ و جلّ لا كلام لأي بشري يحرفه كما يشاء حسب مصالحه و رغباته و أهدافه .. لذا يا أخي كل من على دينه الله يعينه ، المهم ألا نفرض ديننا على الآخرين أو نحتقر دينهم و نهينهم ..

= أعتقد أن كلامك منطقي و مدعّم بأدلة لا يمكنني دحضها ..

= إذاً هيا بنا نشاهد فلم توم كروز الجديد فسلسلة الأفلام هذه ممتعة و شيقة للغاية من حيث التأليف و الإخراج و التمثيل ..

*****

- **سأهدي الناس إلى ديني بالقوة ..**
- **سأدمر أركان ديانة البعض لأنها غير منطقية ..**
- **سأقتل البعض لأنهم يعبدون غير الله ..**
-
-

مقولات كثيرة يرددها بعض الناس بثقة عمياء زائفة و كأن الله منحهم هذه الشرعية أو كلفهم بهذه المهام ، في حين يقول بنفسه بشكل صريح في الكتب السماوية ما يناقض ذلك حرفياً، لتكون هذه العبارات بمجملها من أكبر المغالطات التي سنقاربها في سلسلة مغالطاتنا هذه بعنوان (**مغالطة حجر بوذا**) .. لنجيب من خلالها بالأدلة العلمية و الدينية الصريحة التي لا يشوبها شك أو تأويل عن الأسئلة التالية :

1. **ما هو الإيمان بالأساس ؟ ..**
2. **هل غير المسلم أو حتى من لا يؤمن بدين سماوي كافر و زنديق ؟ ..**
3. **أيهما أفضل ، شخص متدين مؤذٍ أم شخص غير متدين مسالم ؟! ..**
4. **هل الدين قرين التطور و العكس صحيح ؟ ..**
5. **هل أغلب البشر حول العالم موحدون ؟ ..**

⑥ كيف أروج لديني أو أهدي الناس بشكل شرعي ؟

فهيا بنا عزيزي القارئ نتجول في فضاء السموات الرحبة و عالم الأديان الشيق قليلاً في محاولة متواضعة منا للإجابة على كوكبة الأسئلة السابقة ..

أولاً ، ما هو الإيمان بالأساس ؟

ننطلق في الإجابة على هذا السؤال الهام من سؤال آخر هام للغاية بدوره و هو :

(ما هي ديانة أول الأنبياء و أبي البشر آدم ؟)

آدم لم يكن يصلي خمس صلوات يومياً أو يصوم أو يحج أو يزكي غيره و لا أحد غيره بالأساس .. فهل آدم كافر ؟

الجواب البديهي على هذا السؤال هو : (**بالطبع لا**)

إذاً ما الذي أراده الله من آدم و حواء بالتالي كل البشر الذين أتوا من نسلهما ؟

ببساطة الله طالب آدم و حواء بشيئين لا ثالث لهما ، **و لم و لا و لن** يطالب أي إنسان بغيرهما ، لأنهما بالأساس المطلب الوحيد من البشر في الكون الأكبر بعد الموت و انتهاء الكون الأصغر أما العبادات و الطقوس فوسيلة لاكتسابهما، و هذان الشيئان هما :

❁ **تقدير قيمة النعم و عدم الإفراط بها عند بلوغ درجة الإشباع منها** .. و هذا هو بالضبط سبب خروج آدم و حواء من الجنة عندما أشبعا من نعمها المهولة فعصيا أمر الله بتكبر و غرور و فرطا بكل تلك النعم..

❁ **الأخلاق الرفيعة** التي تهذب نفس الإنسان فيحسن التعامل مع نفسه أولاً ثم مع الآخرين ثانياً ، ثم مع خالقه أخيراً ..

فأي إيمان يمنحك هذين الشيئين هو إيمان حقيقي ، وأي إيمان يسلبهما منك ليس بدين مهما بلغ التزامك به و بفرائضه و طقوسه .. **لذا لا تتعجب عزيزي القارئ أن تجد ملحداً مؤمناً و متديناً كافراً** .. فكل الأديان السماوية و فرائضها و طقوسها هي بغاية وحيدة فقط لا غير و هي تدريب الإنسان على التحلي بهاتين الخصلتين ليكون مؤمناً بحق بالمحصلة .. فإن لم يساعده دينه على ذلك فهناك مشكلة في إيمانه و فهمه

لهذا الدين ..

ثانياً ، هل غير المسلم أو حتى من لا يؤمن بدين سماوي كافر و زنديق ؟

نعود إلى نفس الفكرة السابقة ، **هل جميع الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانوا كفرة ، كإدريس و نوح و هود و صالح ....** هم لم ينطقوا الشهادتين و لم يلتزموا بفرائض الإسلام ، إذاً هم بحسب تصنيف البعض غير مسلمين ، إذاً هم كفرة ؟

بالطبع لا .. فالإيمان ليس فرائض و طقوس ، الدين معاملة لا غير ، و الإيمان هو فن التعامل مع الذات و مع الآخرين لا أكثر ..

حتى أننا إذا أردنا أن نصف أي إنسان مهذب في

المجتمع حتى و إن كان ملحداً نقول عنه (فلان آدمي) ، أي أنه كالنبي آدم الخلوق الذي تعلم من الخطيئة الأصلية في الجنة و هي الغرور فتواضع و قدر نعم الله ، و ليس لأن آدم مسلم أو مسيحي أو يهودي أو سني أو شيعي أو بوذي أو هندوسي أو أي شيء آخر ..و كما يقول سقراط :

(تحدث حتى أراك)

أي أنّ ما تحمله في عقلك و قلبك هو ما يحدد قيمتك بالنسبة لي و ليس تدينك أو إيمانك ..

ثالثاً ، أيهما أفضل ، شخص متدين مؤذٍ أم شخص غير متدين مسالم ؟!

الجواب الفطري البديهي على هذا السؤال هو أن الإنسان المسالم أفضل و بمسافات ضوئية **بل إن كلمة إسلام اشتقت بالأساس من السلام و عدم الأذى و العنف** ، فماذا يهمني في حياتي اليومية من ديانة فلان أو علان ، ما يهمني فقط هو طريقة تعامله معي ، ألا يغشني ، ألا يؤذيني بالقول أو الفعل ، ألا يعتدي على حقوقي و أرزاقي .. فإن كان هو الشيطان بذاته فمرحباً به ، و إن فعل العكس فبئس الإنسان ولو كان شيخ الشيوخ .. و هذا ما عبر عنه الأديب الشهير **وليام شكسبير** بإبداع بمقولته الأيقونية :

(لا يهمني من تكون ، أنا معك بما أراه منك ، لا بما أخبروني عنك)

فأخلاقك و طبيعة أفعالك هي ما يحدد طريق تعاملي معك و مكانتك في قلبي ، و ليس دينك أو طائفتك أو شعاراتك الرنانة ..

رابعاً ، هل الدين قرين التطور و العكس صحيح ؟

من أجمل العبارات الأيقونية في التاريخ مقولة :

(الدين لله ، و الوطن للجميع)

بمعنى أن علاقتك بربك هي شأنك الخاص ، أما في الوطن فعليك الامتثال و الالتزام بالقوانين و أن تحاسب إن خالفتها أياً كانت ديانتك و بدون شفاعة أو واسطة من أحد ، و لعل أكبر مثال صارخ عن هذه الفكرة هي الدول الأوروبية الغربية التي عانت من حربين عالميتين تدمرت خلالها المدن بالكامل و مات ملايين البشر ، لتعود هذه الدول فتبني نفسها من تحت الأنقاض معتنقةً الشعار السابق و لتنفذه عملياً ، فلم يعد للكنيسة أو للدين أي سلطة على البلاد أو الشعب ، بل القانون و فقط القانون من يفرض كلمته على الجميع بمن فيهم رجال الدين .. ولولا أن فصلت هذه الدول سلطة الدين عن سلطة الدولة و القانون لما قامت لها قائمة أبداً و لأعاد

التاريخ نفسه بشكل متكرر .. و مما يثبت أن الدين ليس شرطاً لتطور الدول و رقيها نجد اليابان أيضاً فهي من أكثر دول العالم تطوراً لكنها دولة غير دينية بأكثريتها الساحقة ، لكن القانون قال كلمته و انصاع لها الشعب فتطورت البلاد .. أما إن أردنا الحديث عن دول أخرى ذات سلطة دينية سماوية أو أرضية على شعوبها و ما تزال على أولى درجات سلم التطور فحدث و لا حرج .. لنعود إلى الفكرة الأساس ، علاقتك بربك هي شأنك الخاص ، أما علاقتك بالآخرين و بالوطن هي شأن القانون الذي يرسم حدود هذه العلاقات بما يحفظ حقوق الأفراد و مصلحة الوطن ككل ..

خامساً ، هل أغلب البشر حول العالم موحدون ؟

بالطبع لا ، فنسبة المؤمنين حول العلم قليلة و نسبة المتدينين أقل بكثير ، فالغالبية العظمى حول العالم غير مؤمنة أو تعتنق أديان غير سماوية كحال البوذية أو الهندوسية أو الفودو مثلاً أو حتى أديان غريبة و غير منطقية يعتنقها الملايين بحرية كونهم لا يؤذون أحداً أو يفرضون دينهم على أحد .. و من هذه الأديان الغريبة نذكر التالي من باب الثقافة و المعرفة :

① **عبادة الأمير فيليب** : ديانة منتشرة في **جزيرة فانواتو** جنوب المحيط الهادئ و تؤمن بإلوهية **الأمير فيليب** زوج ملكة بريطانية **إليزابيث الثانية** و عدد

أتباعها **5000** شخص ..

② **الرائيلية** : أسسها الفرنسي **كلود فوريلون** عام **1974**، وهي ثاني أكبر ديانة مرتبطة بالكائنات الفضائية بعد السيناتولوجيا في العالم .. و تؤمن بوجود حياة خارج كوكب الأرض تتفاعل مع البشر سرّاً غالباً و جهاراً أحياناً..

③ **بانا ويف** : حركة دينية يابانية، أسستها سيدة تُسمى **يوكو تشينو** عام **1977** في طوكيو .. و هي خليط من المسيحية و البوذية و عدد من المذاهب الأخرى ، و تهدف إلى توعية الناس بخطر الموجات الكهرومغناطيسية و التي هي بنظر مؤسستها، المسؤولة عن التغير المناخي و التدهور العام للبيئة.. لذلك يرتدي أتباعها ملابس بيضاء واقية من انبعاثات الموجات الكهرومغناطيسية و أقنعة بيضاء و يستخدمون كذلك دراجات بيضاء.. و يقولون أن لديهم أدلة عن قرب يوم القيامة ، ولهذه الديانة **1200** من الأتباع ..

④ **الجيدية** : حركة دينية من وحي سلسلة أفلام حرب النجوم، تدّعي امتلاك القوة لحماية الكون من الصراعات والحروب.. و يرتدي الجيديون الملابس المقنّعة، والسيوف الوهمية و يطلقون على أنفسهم الرهبان أو الفرسان، ويدّعون أن بإمكانهم استخدام القوة من أجل رفاهية البشر.. و هذه الديانة هي مزيج من البوذية والتاوية إلى جانب بعض معتقدات العصور الوسطى و عدد أتباعها اليوم حوالي **200** ألف شخص

⑤ **العلوم السعيدة** : تأسست هذه الحركة الدينية الروحانية عام **1986** في اليابان على يد **رويهو أوكاوا** ، والهدف من هذه الديانة نشر السعادة بين البشر.. و يعتقد أوكاوا أنه تناسخ من الإله **إل كانتير** الإله المنقذ، الذي يمارس السلطة العليا والسيطرة الكاملة على العالم. ويعتقد هذا الدين أن **جبرائيل** سيزور **بانكوك** خلال الخمسين عاماً القادمة.. كما يعتقد أن الكائنات الغريبة ستعيش في الأرض خلال القرون الأربعة القادمة ..

⑥ **كنيسة وحش السباغيتي الطائر**: دين هزلي يستند إلى خطاب مفتوح أرسله **بوبي هندرسون** إلى **مجلس مدرسة كانساس**، طالب فيه بتدريس **نظرية وحش السباغيتي الطائر** إلى جنب نظريات التطور من باب الاستهزاء.. الغريب في الأمر أنّ هذا الدين معترف به رسمياً في هولندا ونيوزيلندا !!..

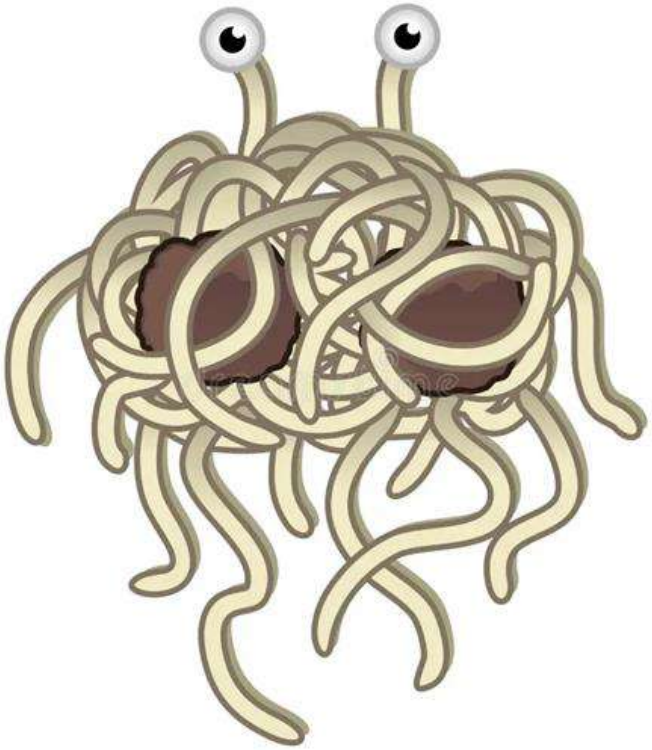

فإن كان البعض يعتقد أن بعض الأديان السماوية و طوائفها كافرة تستوجب القتل ، فليقارنها بهذه الأديان ليرى بنفسه كم هي أديان و طوائف موحدة و مسالمة ، إذ تؤمن بالإله الخالق و بأنبيائه و ببركة القديسين ، و بالطبع هذا لا يقلل من حق و حرية أتباع الديانات التي ذكرناها طالما أنهم كما قلنا لا يفرضونها بالقوة على أحد أو يحتقرون من يخالفهم المعتقد و يهينونه بل ربما

يهدرون دمه على نحوٍ يهتز له عرش السماء بمنح أنفسهم مزايا يختص بها الخالق لوحده و **هذا بحد ذاته إشراك من زاوية أخرى !!**

سادساً ، كيف أروج لديني أو أهدي الناس بشكل شرعي ؟

القرآن الكريم فصّل لنا الطريقة المثلى للترويج لعيقدتنا من باب الهداية لا التوسع و بسط النفوذ و الهيمنة و استغلال الآخرين ، فيقول البارئ :

(ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة)

و هذا ما جسده نبي الرحمة حرفياً في طريقة تبشيره

بدينه الجديد ، فهو لم يجبر أحداً على اعتناقه ، كما أنه لم يخض أية حرب بغية نشره بل كانت جلّ حروبه دفاعية ليحمي بها الإسلام و المسلمين من الأذى و التنمر ، ليتحد القول مع الفعل في أسمى و أنبل الأخلاق التي عرفتها البشرية .. أما من يروج لشعارات أخرى مناقضة تماماً لهذه الفلسفة من قبيل (أسلم تسلم) أو غيرها و التي تعد الناس بالقتل إن لم يصبحوا مسلمين ، فهؤلاء هم أبعد الناس عن الإسلام و نبي الرحمة ، فلا يعرفون معنى للسلام و لا للرحمة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**حجر بوذا**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= فلان يصلي و يصوم فهي صديقي ، أما علان فشخص غير مؤمن و هو عدوي ..

بل أن نقول :

= الدين مسألة شخصية بين الإنسان و ربه ، فمن يتبع الفرائض يتبعها لنفسه و لربه و ليس من أجل الآخرين ، وما يحدد قيمة الشخص في وطني و في قلبي هو معاملته معي و التزامه بالقانون ، فكل من يحسن ذلك هو أخي و ليس صديقي فقط ، و كل من يسيء لذلك

أتبرأ منه و لو كان أخي بالدم ، و على القانون محاسبته عله يغير من سلوكه غير القويم هذا ..

يصف البارئ نبي الرحمة في الذكر الحكيم بالقول :

(و لوكنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

فتأمل عزيزي القارئ قليلاً هذه الآية المذهلة .. لو أن نبي الرحمة كان غير مسالم أو يهدد الناس بالقتل كي يسلموا أي (أسلم تسلم) لما تبعه أحد من الأساس بل لانقلب عليه الجميع و تم وأد الإسلام في مهده ، بل هدوءه و أخلاقه الرفيعة و مجادلة الناس بالحكمة هي من أدخلت الإسلام إلى قلوب العرب و ليست القوة أو البطش التي تنفر الآخرين من الإسلام و من الدين ككل ، و لنا في نبي الرحمة القدوة الحسنة..

مغالطة تأثيم أو تألم

(من لا يتغير بملك)

= لماذا يبدو عليك الهم و الغم يا صديقي ؟

= عملي كيوتيوبر معرض للإفلاس .. و كما تعلم فهو مصدر دخلي الوحيد ..

= و لماذا ؟ أنت تقدم أحد أفضل المحتويات على الساحة !!

= أعلم ، لكن المشاهدين باتوا يفضلون المحتوى الجديد المصمم بالذكاء الاصطناعي ، و يعتبرون طريقة تقديمي السابقة كلاسيكية و عفى عليها الزمن ..

= و ما المشكلة إذن ، استخدم بدورك الذكاء الاصطناعي و حسّن من جودة محتواك ..!!

= أنا لا أؤمن بهذه التقنية .. إنها تقمع الموهبة البشرية و تؤتمت كل شيء بما فيها الثقافة ، كما تلغي المشاعر المتبادلة بين المقدم و المشاهدين ..

= يا صديقي الحياة لا تسير هكذا .. إياك و العناد بقراراتك ، عليك التكيف و مواكبة التطور ، و إلا انتهى مآلك إلى الإفلاس ، و لنا في قصص التاريخ خير عبرة في ذلك ..

= قصص من قبيل ماذا ؟

= مثلاً ، انهيار امبراطورية نوكيا للهواتف .. حيث نزلت من القمة إلى القاع في غضون سنوات قليلة ..

= و لماذا ؟

= كانت نوكيا مسيطرة على سوق الهواتف حول العالم و تعتمد نظام سيمبيان لتشغيلها .. لكن شركتي آبل و سامسونج اقتحمتا السوق بهواتف ذكية حديثة تستخدم نظام أندرويد الذي يتفوق على نظام سيمبيان بشكل واضح ..

= و كيف تعاملت نوكيا مع هذا التغير المفاجئ ؟!

= تمسك مديرها برأيه بعناد ، و رفض مواكبة التغيير و اعتماد نظام أندرويد الجديد ، أو على أقل تقدير منافسته ببرنامج أفضل منه ..

= و ماذا كانت النتيجة؟!

= سيطرت شركة سامسونج على سوق الهواتف و معها

آبل حتى أفلست شركة نوكيا ..

= كارثة حقيقية !!

= تماماً ، و أنت الآن تمشي على خطى نوكيا نحو الإفلاس إن لم تواكب التطور و اعتمدت على التقنيات الجديدة الأفضل كالذكاء الاصطناعي ، و يمكنك توظيفها بطريقتك الخاصة التي لا تلغي بصمتك الخاصة أو تواصلك الشعوري مع المشاهدين ..

= يبدو أنك محق .. سأبدأ بذلك من الفيديو القادم ، اشكرك على النصيحة يا صديقي ..

= العفو .. لم أفعل إلا واجبي تجاه صديق ..

*****

من لا يتغير يهلك ..

مقولة قديمة و شهيرة بين البشر وضعها الحكماء و الفلاسفة منذ آلاف السنين كخلاصة لتجاربهم الطويلة و عراكهم مع الحياة و الأحداث لعقود ، و هي مقولة صحيحة و واقعية مليون بالمئة .. لكن للأسف يتجاهلها قسم كبير من الناس من باب الحفاظ على العادات أو التراث أو النوستالجيا أو اتباع مقولة (الله محيي الثابت) و الاحتفاظ بالقناعات و المبادئ التي يمشون عليها رغم أنها قد تصبح باطلة و مضرة مع تغير الزمن و تطور البشرية .. ليصبح كل سبب من هذه الأسباب عبارة عن مسمار يدقونه في نعشهم و

يحكمون على أنفسهم و أعمالهم بالإفلاس و الهلاك .. و هذا العناد بعدم قبول المتغيرات الجديدة و التكيف معها يعتبر واحدة من أكبر المغالطات التي سنناقشها في سلسلتنا هذه ، بسبب فداحة نتائجها و عواقبها الوخيمة في نهاية المطاف ، لذا هيا بنا عزيزي القارئ نقاربها من عدة زوايا هامة للغاية كي نفهم بتفصيل أكثر مع بعض الأمثلة البليغة التركة الثقيلة التي يتركها رفض التغيير و مواكبة الحياة على كاهل من لا يتقن فن التكيف ..

أولاً ، مفهوم التكيف :

يقول الفيزيائي المكافح المبدع **ستيفن هوكينغ** :

(الذكاء هو القدرة على التكيف)

و هذا الكلام منطقي للغاية ، فأي كائن حي لا يتكيف مع التغيرات من حوله سيحكم على نفسه بالفشل أو لإفلاس أو الانقراض و هذا بلا شك لا يمت للذكاء بصلة ..

و التكيف مع تغيرات الحياة قد يأخذ **3** اشكال :

① **التكيف الجسدي** : أن تغير من تركيب جسدك كي تلائم تغيراً طارئاً في المحيط من حولك ..

مثال : شخص أصبح عمله يتطلب قوة عضلية أكبر ، عليه أن يلجأ لرياضة حمل الأثقال كي ينمي عضلاته و إلا سيتم رفده و استبداله بموظف ملائم أكثر ..

② **التكيف الوظيفي** : أن تغير من فيزيولوجيا جسدك كي تلائم التغيير ..

مثال : زيادة التعرق في الجو الحار لتبريد الجسم ..

③ **التكيف السلوكي** : أن تغير من سلوكك كي تلائم التغيير ..

مثال : معلم عين في صف جديد تلامذته متمردون و لم ينجح بضبطهم باللطف كما اعتاد ، لذا عليه أن يلجأ إلى بعض الحزم لضبط الأمور..

و أي إنسان لا يتكيف مع التغيرات من حوله سيفشل بلا شك لأن كل فعل يتطلب رد فعل مناسب كي يحافظ على التوازن .. تخيل ببساطة أن يبرد الجو من حولك فجأة و تنخفض درجات الحرارة كثيراً ثم تبقى بملابسك الصيفية ، كيف ستكون النتيجة ؟! و قس على ذلك في الأمور الكبيرة و المصيرية في الحياة كما حدث مع شركة نوكيا في مقدمة مغالطتنا .. لذا فالتكيف (المرونة) في التعامل مع التغيرات موضوع جدي و

مصيري لا تستهن به ، لأنه حتى التكيف المتأخر قد يصبح بلا جدوى أحياناً ، إذ يفوتك القطار إلى غير رجعة .. فإن هبت رياحك فاغتنمها ، لعلّ الخافقات لها سكونُ !!

باختصار عليك الاقتداء بالحياة البرية لتعلم فنون التكيف مع المحيط كالحرباء و الأخطبوط و فرس النبي و غيرها من الكائنات التي احترفت فن المرونة مع البيئة فتغير أشكالها و ألوانها كي تتماهى مع التغيرات فتتجنب بذلك الافتراس و الفناء ..!!

ثانياً ، أركان عدم المواكبة :

مقاومة التكيف أو انعدام المرونة في التعامل مع المتغيرات له **3** أسباب رئيسية أدعوه **ثالوث الهلاك** :

① **العناد** : فمن يصر على رأيه و يتشبث بوضعه الراهن في وجه رياح التغيير أشبه بعصفور يتحدى الإعصار بدلاً من الاحتماء منه في مكان آمن .. و كما يقول الإمام **علي بن أبي طالب** :

(من استبد برأيه هلك)

و هذا يعود بنا إلى مثال شركة نوكيا من جديد ، فأحد

أهم أسباب إفلاسها هو عناد مديرها التنفيذي و رفضه لمشورة مساعديه ..

② **قصور النظر** : عدم التفكير بعيداً و قراءة المتغيرات و نتائجها و التعامي عن الحقائق مما يجعل المرء منفصلاً عن الواقع يحارب طواحين الهواء كدونكيشوت ..

و هذا الخطأ وقعت فيه شركة نوكيا أيضاً عندما لم تعر تفوق نظام أندرويد على نظام سيمبيان الأهمية المطلوبة لتطور من نظامها ، فالمكتوب كان واضحاً من عنوانه لكن خبراء نوكيا تجاهلوا قراءة العنوان و المكتوب معاً

③ **النوعية الأقل جودة** : ففي أي مجال عمل ، نوعية منتجك هو المحدد لنجاحك و اكتساحك للسوق ، فإن تراجعت النوعية أو ظهرت نوعيات أفضل منها لشركات منافسة ، فأعتذر منك صديقي .. أنت أفلست!! ،اللهم إلا إن طورت نوعية منتجك في الوقت المناسب

و بالعودة إلى مثال شركة نوكيا مجدداً ، فظهور هواتف ذكية أفضل جودة من أجهزتها الراهنة و عدم ارتكاسها لهذا الحدث الخطير ، جعل الشركات المنافسة كسامسونج و آبل تأخذ مكانها في سوق الهواتف حول العالم بين عشية و ضحاها..

ويمكن تشبيه هذه الأسباب الثلاثة بلعبة الشطرنج على نحو ملائم للغاية ، فإن أنت صممت على القيام بحركة خاطئة ستخسر (عناد)، و إن أنت لم تفكر بنقلات

لاحقة أكثر من منافسك ستخسر (قصر نظر) ، و إن أنت اعتمدت تكتيكات قديمة مكشوفة ستخسر (نوعية رديئة) ..

و ما المنافسة في سوق العمل سوى دور شطرنج بين الشركات و الأذكى هو الذي يتجنب ثالوث الهلاك و يتكيف مع كل تغيير جديد كي يواكب السوق و أحداثه المتلاحقة ..

ثالثاً ، أمثلة تاريخية :

في صفحات التاريخ أمثلة كثيرة بليغة عن عواقب عدم التكيف مع المتغيرات و التي كانت وخيمة للغاية على شاكلة مصير شركة نوكيا أو حتى أسوأ ، نذكر منها لأخذ العبرة و الدروس التالي :

❁ ظاهرياً، يمكن القول إن الكاميرات الرقمية ظهرت بشكل واضح في بدايات التسعينيات من القرن العشرين، ثم شهدت على مدار هذه السنوات تطوراً كبيراً لتصل إلى ما وصلت إليه الآن، ولكن الواقع ينطوي على حقيقة مُدهشة، وهي أن أول ظهور لكاميرا رقمية على الإطلاق كان في عام **1975** بواسطة **شركة كـوداك**

العالمية المعروفة في التصوير ، و التي استطاعت إنتاج وتطوير هذه الكاميرا ببراءة اختراع حصرية لها بشكل كامل، الأمر الذي كان من الممكن أن يؤهلها لتقوم بتطوير هذا المنتج بشكل حصري كامل وتحتكر تقديمه للأسواق العالمية وتجني من ورائه مليارات الدولارات بشكل مباشر، أو من خلال بيع حقوق براءة الاختراع لشركات اخرى للبدء في استخدامها.

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فكوداك لم تفعل أي شيء على الإطلاق لاستغلال هذا الاختراع، وقررت إخفاءه وعدم تطويره بدعوى الخوف من أن اختراع كهذا قد يكون سبباً في تآكل صناعة وتجارة الأفلام التقليدية الهائلة التي تقوم بها الشركة..

و النتيجة أن المنافسين استطاعوا الوصول إلى إنتاج الكاميرات الرقمية وتطويرها لاحقا لتصبح هي الأساس في كافة الصناعات التي نشهدها الآن، وعلى رأسها صناعة الهواتف، بمعنى أن كوداك كان بإمكانها أن تحتكر قسماً هائلاً من صناعة الهواتف على مدار عشرات السنين لكنها لم تفعل و لم تتكيف مع التغير

القادم لا محالة في الأسواق بتطور التكنولوجيا مما أدى بنهاية المطاف إلى إفلاسها عام **2012**.

❁ عندما **غزا الإسبان أمريكا الجنوبية** بقيادة كورتيس ، اكتشف الهنود الحمر مباشرة بأن فرق التطور في الأسلحة بين الجانبين هائل ، لكن قادتهم لم يتكيفوا مع التغيير الخطير الحاصل ، و لم يهادنوا الإسبان كي يحافظوا على مملكتهم و وجودهم ، بل اختاروا طريق المواجهة الصدامي معهم مما أدى إلى مجازر بمئات الآلاف في صفوف الهنود الحمر على نحوٍ أشبه بإبادة جماعية ..

❁ لم تُقدر **شركة ياهو** أهمية محركات البحث، و رفض مديرها التنفيذي عام **2002** إتمام صفقة لشراء شركة جوجل ، وبدلاً من التركيز على البحث عبر الإنترنت مثل شركة جوجل، ركزت ياهو على أن تصبح شركة إعلامية ضخمة، ورغم أنها كانت واحدة من أهم الشركات في سوق الإعلان عبر الإنترنت عام **2005**، إلا أنها تجاهلت اتجاهات

المستهلكين، والحاجة إلى تحسين تجربة المستخدم فلم تواكب تغيرات السوق عكس شركة جوجل .. و كانت النتيجة هيمنة شركة جوجل على مجال محركات البحث، بينما سقطت ياهو في غياهب النسيان، ولم يعد لها وجود يُذكر.

❁ في تاريخ **كرة القدم** أمثلة كثيرة عن مدربين حققوا الألقاب و البطولات مع فرقهم ، لكنهم رفضوا مواكبة التغيرات الحديثة التي طرأت على اللعبة بظهور تكتيكات جديدة أكثر نجاعة ، فأصروا على نسقهم القديم مما كبدهم سلسلة طويلة من الخسائر أدت ببعض المدربين إلى فك العقد و ببعض الفرق إلى الهبوط إلى درجات أدنى ..

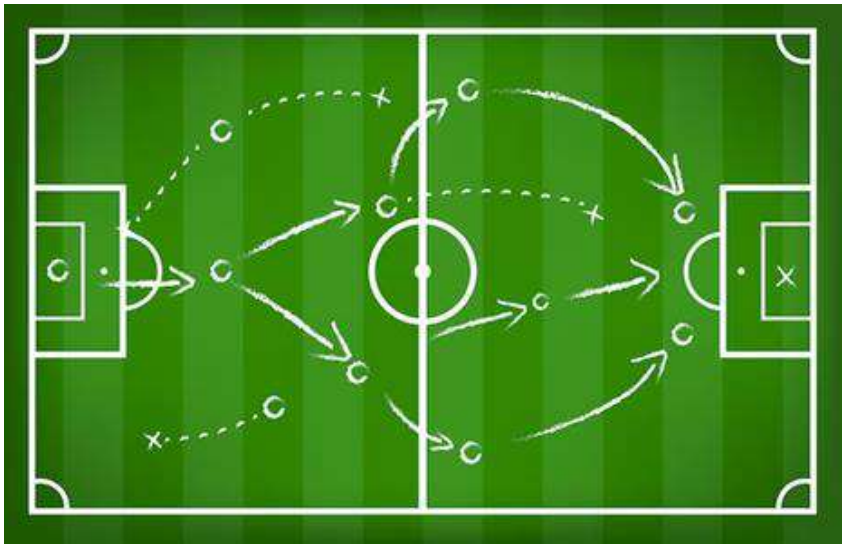

❁ في **الحروب** أمثلة كثيرة عن جهات لم تحسن قراءة المتغيرات و التكيف معها فكانت العواقب دمار هائل و ضحايا بمئات الآلاف .. و أبسط مثال على ذلك اليابان في الحرب العالمية الثانية ، التي لم تمنح امتلاك الولايات المتحدة لقنابل نووية الاهتمام الكافي كي تطور بدورها سلاحاً نووياً أو على أقل تقدير تعلن استلامها بشروط قد يناسبها بعضها ، بل أصرت على رؤية النتيجة على أرض الواقع بحادثتي هيروشيما و ناغازاكي كي تعلن بعدها الاستسلام غير المشروط ..

❁ نختم **بالسياسة** و تحالفاتها الدقيقة و المدروسة و استقراء المتغيرات المحلية و الإقليمية و الدولية ،

فصفحات التاريخ تعج بدول و أحزاب و قادة لم يحسنوا قراءة المتغيرات فانتهى بهم المآل إلى خسارة الحروب و تقلص الشعبية و النفوذ ، ففي حين كانت المؤشرات تتجه نحو اليمين أصر البعض على السير نحو اليسار و عندما اتجهت نحو اليسار أصر آخرون على المضي قدماً نحو اليمين .. و السياسة هي فن التكيف و المرونة ، فمن لا يمتلكهما عليه أن يعتزل السياسة ببساطة ..

و بخلاصة كل هذه الأمثلة ، التكيف أو المرونة في التعامل مع المتغيرات لا يجنبك خسائر اقتصادية مرعبة فحسب ، بل قد يكلفك بقعاً جغرافية أو ضحايا بالملايين أو فشلاً مهنياً ذريعاً يقضي على تاريخ حافل من الإنجازات و الانتصارات لتغادر من الباب الضيق ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**تأقلم أو تألم**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= كيف تريدني أن أغير المنهج الذي حقق نجاحاتي ، أو أن أتخلى عن إرث أجدادي أو أن أترك بصمتي و اقلد الآخرين ، أو أو أو .. سأبقى على مساري كما هو مهما كانت العواقب ..

بل أن نقول :

= التكيف لا يعني التخلي عن المبادئ أو القناعات ، بل يعني مواكبة تغيرات الحياة كي نحافظ على قناعاتنا ، و **من لا يتكيف يتكلف و من لا يتأقلم يتألم** .. فعدم المرونة و العناد و قصر النظر هو الذي سيجعلك تخسر إرثك كله و ليس التكيف مع معطيات جديدة لم تفرض نفسها من فراغ ، بل لأنها أكثر صحة و نجاعة من نسقك القديم ..

عندما بعث نبي الرحمة في قبيلته قريش ، دعاهم إلى سبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و لم يطالبهم بالتنازل عن أملاكهم و أرزاقهم أو جاههم و سلطتهم و لا عن أي شيء آخر ، بل لم يفرض عليهم الدين فرضاً بالأساس ، و جلّ ما طالبهم به هو عدم الوقوف في وجه دعوته أو معاقبة من يشرح الله قلبه للإسلام ، لكن كفار قريش رفضوا كل ذلك بعناد و أصروا على التنكيل بالمسلمين و أجبروهم بقيادة الرسول على الهجرة من

مكة .. فهم اتخذوا أسوأ قرار ، و هو مواجهة السماء على نحوٍ مثير للشفقة ، و أبعد ما يكون عن قراءة الواقع و المتغيرات ، و ضربوا بالمرونة عرض الحائط فلم يواكبوا التغيير المحتم القادم و انتهى بهم المطاف إلى خسائر كبيرة على كافة المستويات ، أما المسلمون الذين واكبوا التغيير و وقفوا في صف نبي الرحمة ففازوا فوزاً عظيماً في الكونين الأكبر و الأصغر معاً

مغالطة لوح الويجا

(عالم الماورائيات)

= ما رأيك يا ماثيو أن تنضم إلينا الليلة في تجربة لوح الجن ؟

= لوح الجن ؟

= أجل لوح استحضار الجنّ و الأرواح ..

= و كيف يمكن بلوح أن يفعل ذلك ؟

= اللوح محفور عليه جميع الأحرف من **A** إلى **Z** ، و الأرقام من **0** إلى **9** ، و كلمتي نعم و لا ، و كلمة الوداع ..

نجتمع سوياً و نمسك بمؤشر اللوح ثم نسأل هل هنالك من روح أو جنّ معنا في الغرفة ، فإن تحرك المؤشر إلى كلمة نعم .. نبدأ بالتعرف عليهم و سؤالهم ما نشاء ليقوموا بالإجابة على أسئلتنا بتحريك المؤشر على

اللوح مجدداً عبر الأحرف و الأرقام و الكلمات ..

= تقصدون **لوح الويجا** ؟

= أجل .. هل سمعت به من قبل ؟

= بالطبع ، و هل تؤمنون بهذه الخرافات ؟!

= بالطبع نؤمن .. ليس ذلك فحسب ، بل أننا جربناها من قبل و نجحت في مناسبات عدة ..

= أعتذر منكم يا أصدقائي ، لكنني لا أؤمن أبدا بوجود الأشباح ..

= من قال أنها أشباح ؟ .. إنها أرواح و جنّ و ربما شياطين ، و كل ذلك مذكور في الكتب السماوية و ليس بدعةً ابتدعناها ..

= و هل لقاؤنا بالأرواح و الجنّ متوقف على لعبة اخترعها إنسان منذ فترة قصيرة من الزمن ؟

= لكن الويجا معروفة منذ قديم الزمان كما نعرف ؟

= بلى ، أصلها صيني من قبل الميلاد ، لكنها كانت بطريقة مختلفة تماماً عن لوح الويجا الحالي ، و لا دليل بالأساس على نجاعتها وقتها ، أما لوح الويجا المعروف في أيامنا هذه فقد صممه رجل الأعمال الأمريكي **إيليا بوند** عام **1890**، و كانت الغاية منه تجارية بحتة كلعبة لا أكثر ..

= و كيف تفسر إذن نجاحنا في استحضار الجن و

الأرواح من قبل ؟

= إنها مجرد خدعة قائمة على استجابة فكرية حركية ، تعتمد على إيمانكم التام بأن هنالك من يحرك اللوح ، لكن في الحقيقة أنتم من يقوم بتحريكه لا غير .. لذلك فهو محرم دينياً لأنه تلاعب بالعقول و الحقائق .. أجل الأرواح و الجن حقيقة .. لكنها تظهر بإرادة الله في الزمان و المكان المناسبين و لغايات سماوية هادفة و محددة و ليس بإرادة البشر بممارسات عبثية..

*****

الماورائيات ..

مصطلح قديم يشتمل على **كل شيء آمن به البشر ذات يوم لكن لا يمكن إدراكه بالعين المجردة** ، بل يتطلب ظروفاً خاصة للقائه كحال الجنّ مثلاً ، أو **كل شيء كان موجوداً ذات يوم و لم يعد له وجود في أيامنا هذه** كالعمالقة مثلاً ، أو **أي شيء نسجت حوله الخرافات و الأساطير و لا يمكن الجزم علمياً بأنه لم يكن موجوداً أبداً في قديم الزمان** كالوحوش مثلاً..

و أغلب البشر يميلون إلى الاعتقاد بأن الماورائيات كذبة ابتدعتها عقول البعض عبر الزمن ، و أن ما لا تراه العين لا وجود له ، رغم أن الكتب السماوية و أرشيف التاريخ يذكر خلاف ذلك .. و لا يمكننا تجاهل حقيقة أن الميكروبات موجودة في كل مكان حولنا

رغم أننا لا نراها بالعين المجردة مثلاً !

فهل قناعة البشر هذه منطقية ؟ أم أنها مجرد مغالطة جديدة تنضم إلى قافلة مغالطاتنا ؟ و إن كانت مغالطة ، فما هي الحقيقة إذن ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه عبر الصفحات القادمة ، بمقاربة **جميع الماورائيات المعروفة بين البشر** و تفنيد حقيقتها من عدمها بالأدلة في مغالطة شيقة تحمل عنوان (**لوح الويجا**) ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نمسك لوح الويجا سوياً و نتحقق إن كانت المخلوقات الماورائية الغامضة موجودة بالفعل أم مجرد أكاذيب مختلقة ؟!

① **الأرواح** : الأرواح حقيقة لا تقبل الشك دينياً حيث ذكرت في جميع الأديان السماوية و حتى الأرضية ، أما علمياً فهنالك تجارب تستحق الاهتمام و التقصي وثقت عبر التاريخ عن جلسات استحضار أرواح من قبل خبراء و مختصين ، و إن كان إثباتها بشكل قطعي أمراً مستحيلاً .. لكن السؤال الأهم يبقى أنه في حال وجدت الأرواح فمما تتكون ؟ و ما هي طبيعتها ؟ و قد سبق و قاربنا هذه الأسئلة في مغالطة سابقة و فصّلنا بأن الجسد البشري هو أفاتار للجسد السماوي ، و أن الروح هي صلة الوصل بين هذين الجسدين كحلم طويل

يحلم به الجسد السماوي في الكون الأكبر عن الأحداث التي يمر بها الجسد الأرضي في الدنيا الماتريكس ، و عندما ينام الجسد السماوي يولد الجسد الأرضي ، و عندما يموت الجسد الأرضي يستيقظ الجسد السماوي مستذكراً تجربة الجسد الأرضي في الكون الأصغر بأدق تفاصيلها .. و لعل جلسات استحضار الأرواح ما هي إلا استحضار للأجساد السماوية لتروي تجربتها في الأجساد الأرضية !!

② **الجنّ** : تم ذكر الجن في الكتب السماوية الثلاثة ، كقول البارئ في الذكر الحكيم :

(و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون)

و هذه آية صريحة لا لبس فيها ، و الجن في الدين كائنات مخلوقة من النار و لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ..

و من قصص التاريخ الشهيرة عنها قصة النبي سليمان عندما أراد رؤية عرش بلقيس فتدخل عفريت من الجنّ ليتكفل بالمهمة .. أي أنّ النبي سليمان امتلك هبة التواصل مع هذه المخلوقات .. و قصص التراث العربي في شبه الجزيرة العربية تعج بالجن و بالطبع لم تأتِ كلها من فراغ !

أما علمياً فلا إثبات مؤكد لوجود الجن ، إذ لم يتم رصد أي منها بشكل ملموس في العصر الحديث رغم انتشار بعض القصص حول العالم عن رؤية بشر لهم خاصة في الصحاري و على الطرقات المعزولة .. و ربما انتهى عصر الجنّ منذ زمن سحيق بعد أن لعبت دوراً هاماً في فترات تاريخية قديمة ..!!

③ **الأشباح** : يجتمع العلم و الدين على أن الاشباح خرافة ابتدعها البشر منذ قديم الزمان ، لكن رغم ذلك فصفحات التاريخ القديم و الحديث تعجّ بقصص عجيبة عن أحداث لعبت فيها الأشباح دوراً محورياً ..

و من هذه القصص الشهيرة نذكر قصة سفينة الأشباح **ماري سيليست** الشهيرة التي اختفى طاقمها دون أثر أو سبب واضح ، و ذكر كل من زارها سماعه لأصوات

غريبة مرعبة و رؤيته لأشياء تتحرك من تلقاء ذاتها ، و لدينا أيضاً قصة كهف الأشباح البركاني في **السعودية** ، و مدينة الأشباح بهلا في **عمان** و قرية الأشباح روكاسبرفيرا في **إيطاليا** ، و جبل الجنون في **ليبيا** ، و قلعة الأشباح بورج ولفسيج في **ألمانيا** ، و غابات هويا باكيو في **رومانيا** .. و غيرها كثير من الأماكن حول العالم التي ادعى بشر كثيرون حدوث أمور خارقة للطبيعة لا تفسير لها إلا بوجود اشباح في تلك المناطق تصدر الأصوات و تحرك الأشياء و تخطف البشر !!

④ **الفضائيون** : يعتقد كثير من البشر أن المخلوقات الفضائية هي مجرد خرافة ، و من وجهة نظر الدين ، هنالك آية في القرآن كتاب الله عند المسلمين أشارت إلى وجود الفضائيين بطريقة صريحة و مخيفة إلى حدٍّ ما و تقول :

((ومن آياته خلق السموات و الأرض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم إذ يشاء قدير))

فكما نلاحظ مقدار غرابة و أهمية هذه الآية القرآنية التي تتحدث بشكل صريح عن خلق الله لكائنات حية أخرى في الكون و قدرته إن شاء على جمعنا بهم .. و قد يسأل سائل هنا :

((**لكن ألا تقصد الآية بدواب السماء (الطيور)** ؟))

و الجواب ببساطة و من منطلق علمي و لغوي أنّ الدواب هي ما تدب على الأرض و لا تطير .. زد على ذلك أننا على تواصل دائم و مباشر بالطيور فما الغرابة بأن يجمعنا الله تعالى بهم ؟ .. إذاً الآية تشير بشكل واضح إلى صعوبة التقائنا بالمخلوقات الكونية الأخرى لأسباب عديدة منها بعد المسافات في الكون الشاسع لكن الله تعالى قادر على تحقيق ذلك بسهولة متى شاء ..

و من وجهة نظر العلم ، لا يمكن لهذا الكون الشاسع أن يقتصر على الحياة على كوكب الأرض فقط فهو منافٍ للعقل و للحسابات الرياضية.. فهناك ما يقدر بنحو **200 - 400** مليار نجم في مجرتنا العزيزة درب التبانة و **70** سيكستيليون نجم في الكون المرصود .. و حتى لو نشأت الحياة الذكية على نسبة ضئيلة فقط من الكواكب حول هذه النجوم يكون احتمال وجودهم هائلاً .. فالأرض تمثل في هذا الكون حبة رمل من شاطئ مجرة درب التبانة التي هي بدورها حبة رمل من شاطئ مجرات الكون .. فهل تقتصر الحياة على حبة الرمل هذه من بين كل هذه الشواطئ الفسيحة ؟ .. أمر يخالف المنطق ، الحساب و الاحتمال الرياضي ..

دون أن نغفل حقيقة وجود قصص كثيرة لبشر ادعوا رؤية الفضائيين أو أطباقهم الطائرة ، و العثور على هياكل غامضة تشبه بنية الفضائيين ، و بالطبع الظواهر

الكثيرة الغامضة على سطح الأرض عبر التاريخ التي ربما كان التفسير الوحيد لها هو ضلوع الفضائيين بحدوثها أو تصميمها بشكل أو بآخر .. و بالمحصلة الفضائيون قد يكونون حقيقة واقعية شئنا أم أبينا**!!**

⑤ **الوحوش** : صفحات التاريخ تعج بقصص الوحوش المتنوعة التي ادعى كثيرون رؤيتها بالفعل ، من اشهر هذه القصص نذكر قصة **وحش بحيرة نيس** في اسكوتلندا الأقرب للديناصور، و **الوحش ذو القدم الكبيرة** ، و **وحش الكراكن** البحري العملاق ذو الأذرع الكثيرة التي تمسك بالسفن كما يمسك الطفل لعبته بيده، و **طائر الرخ** العملاق عند العرب الذي يمكنه حمل

رجل بمخالبه و الطيران به، و **وحش فاوك** الضخم في أمريكا المغطى بالشعرو غيرها كثير ..

و الدين لم يذكر الوحوش بشكل صريح ، و العلم بدوره لم يثبت وجود أي منها أيضاً لتبقى أقرب إلى قصص التراث الخيالية ..!!

⑥ **المخلوقات الأسطورية** : و هذه قائمة طويلة تتنوع من حضارة لأخرى **كالتنين** الصيني ، و الحصان المجنح (**بيجاسوس**) عند الإغريق ، و **بلميس** عند الأفارقة (بشر بدون رأس و عيونهم في صدورهم) ، و **المانتيكور** عند الفرس و الهنود (جسد أسد و رأس إنسان) ، و سلحفاة **كابا** اليابانية ، وحش **سيباكتلي** البحري عند هنود الأزتيك في المكسيك .. و غيرها المئات من المخلوقات الأسطورية .. و بالطبع هذه المخلوقات لا وجود لها على أرض الواقع سواء من

حيث عدم إمكانية تكوينها بالعلم أو عدم ذكرها بالدين أو عدم رؤيتها بالعين أو العثور على هياكل مدفونة لها أخيراً .. لتبقى بذلك خرافات من تراث الشعوب ..

⑦ **العمالقة و الأقزام** : العمالقة بشر تم ذكرهم في الكتب السماوية بشكل صريح كحال قوم يأجوج و مأجوج مثلاً .. و علمياً تم العثور على هياكل بشرية عملاقة كثيرة حول العالم ، بل لا يزال هنالك بشر عمالقة في زمننا الحالي بالمقارنة مع الإنسان الطبيعي ، و إن كان عمالقة التاريخ يبلغون بضعة أمتار .. و بالمحصلة فالعمالقة حقيقة لا يمكن إنكارها في التاريخ.. أما الأقزام فرغم أن الدين لم يذكر وجودهم ، إلا أنه تم العثور على هياكل بشرية كثيرة أيضاً تدعم وجودهم ، بل لا تزال هنالك قبائل من الأقزام تعيش في غابات

آسيا و إفريقيا ، و إن كانوا أقزام نسبياً .. أما الأقزام الحقيقيون الذين يمكن حملهم باليد ، فلم يعثر على دليل يثبت وجودهم سوى قصص التراث حول العالم كالجني الإيرلندي القزم أو أقزام **ميني هون** في جزر هاواي ، أو **عفاريت ألفار** الاسكندنافية أو ، أقزام بابا نويل و غيرهم من أبطال الأساطير و الحكايات ..

⑧ **الزومبي** : و هي جثة بلا روح يُعتقد أنها عادت للحياة على يد السَّحرة، أو أي وسيلة خارقة للطبيعة و بأنها تهاجم الأحياء و تعضهم ليتحولوا إلى زومبي

بدورهم .. و تعود جذور كلمة زومبي لديانة الفودو التي يؤمن بها الناس في غرب أفريقيا .. و تعني بلغاتهم المحلية **الصنم** .. أما في ديانة الفودو الإفريقية فالزومبي يشير إلى **الإله الثعبان** .. ظهرت فكرة الموتى الأحياء أو الزومبي لأول مرة في رواية **الجزيرة المسحورة** للكاتب **وليام سيبروك** عام **1929** و من وقتها أصبحت موضوعاً دسماً لروايات و أفلام الخيال العلمي و الرعب .. و بالنتيجة الزومبي لا وجود لهم على أرض الواقع ، و إن كانت هنالك حالة طبية مشابهة لهم و هي متلازمة كوتار (**الجثة المتحركة**) التي يؤمن فيها المريض يقيناً بأنه ميت ..

⑨ **الشياطين و الملائكة** : ذكر كل منهما بوضوح

في الكتب السماوية و بعض الأديان الأرضية ، و الملائكة مخلوقات نورانية أما الشياطين فنارية ..

و بالطبع لم يثبت وجود أي منهما علمياً بالدليل الملموس ، لكن يتم الإيمان بوجودهم بتسلسل منطقي: **(إبداع الخلق يفترض وجود خالق ، يفترض وجود أنبياء ، يفترض صحة الكتب السماوية ، يفترض وجود ملائكة و شياطين)** .. و قد تجسدت الملائكة أمام الأنبياء و بعض القديسين حسب الروايات الدينية ، و قد تكون الملائكة بالأساس عبارة عن مجسمات هولوغرامية مبرمجة للتواصل مع بعض البشر لإيصال رسائل السماء إليهم ، و الهولوغرام نور بالفعل ، أما الشياطين فربما كان وجودهم هو ترميز للخطيئة و الفتنة و اتباع إغواءات الجسد أكثر من كونها واقعاً فعلياً ، و كلنا يعلم أن الإنسان إن انصاع لشهواته و احتقر نعمة العقل هوى إلى ما هو أسوأ من الشياطين .. لذا لا عجب أن ترى الشياطين تمشي على قدمين من حولك ،

و العكس صحيح فيما يختص بالملائكة !!

⑩ **حيوانات و نباتات ناطقة** : باستثناء الببغاوات

لا وجود لحيوانات أو نباتات ناطقة في عصرنا الحالي ، و في الحقيقة قدرة الببغاوات على التواصل و الكلام تجعلنا نصدق بعض قصص التاريخ و الأديان عن وجود حيوانات كانت تتحدث مع البشر كحال هدهد سليمان مثلاً .. أما النباتات الناطقة فتقتصر على أساطير الشعوب و بعض روايات الخيال كما في سلسلة هاري بوتر و سيد الخواتم و غيرها .. و بالمنطق النباتات لا تمتلك البنية التشريحية التي تمكنها من النطق ، و إن كانت جميع النباتات و الحيوانات تسبح الله بكرةً و عشياً كلّ بحسب تركيبه الخاص كما وضح البارئ في الذكر الحكيم ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**لوح الويجا**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= ما لا تراه العين يرفضه العقل .. و الماورائيات خرافات ابتدعها عقل البشر عبر العصور ، و إلا لماذا لا يمكننا رؤيتها في هذه الأيام ؟

بل أن نقول :

= الله لا نراه لكننا نعلم يقيناً أنه موجود .. و بالعلم الكائنات المجهرية مثبتة بالمجهر لكننا لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، بل إن البشر لفترة قريبة من التاريخ كانوا يعتبرونها وهماً و خرافة حتى اثبت المجهر العكس ، فما الذي يمنع أن تكون ماورائيات كثيرة حقيقية ، من جنّ و ملائكة و شياطين و فضائيين و غيرهم ..

و تبقى جنان الله أعظم ما في عالم الماورائيات .. التي لا يمكن إثباتها علمياً ، كما لا يمكن نفيها بنفس الوقت ، لتبقى تداعب مخيلتنا عن محتواها .. فهي بناءً على عظمة هذ الكون أكبر بكثير من قدرة الإنسان على التصور .. دنيا من العوالم الافتراضية التي لا تنتهي، فيها كل شيء يخطر ببالك حرفياً و ما لا يمكن حتى أن يتجرأ خيالك على التفكير به .. أكوان متوازية بعدد البشر الذين سيزورون كوكب الأرض و كل بشري

منهم هو ملك كونه الخاص المصمم خصيصاً لأجله وفق ما يحب ، مع تشابك الأكوان مع بعضها بطريقة فريدة ..

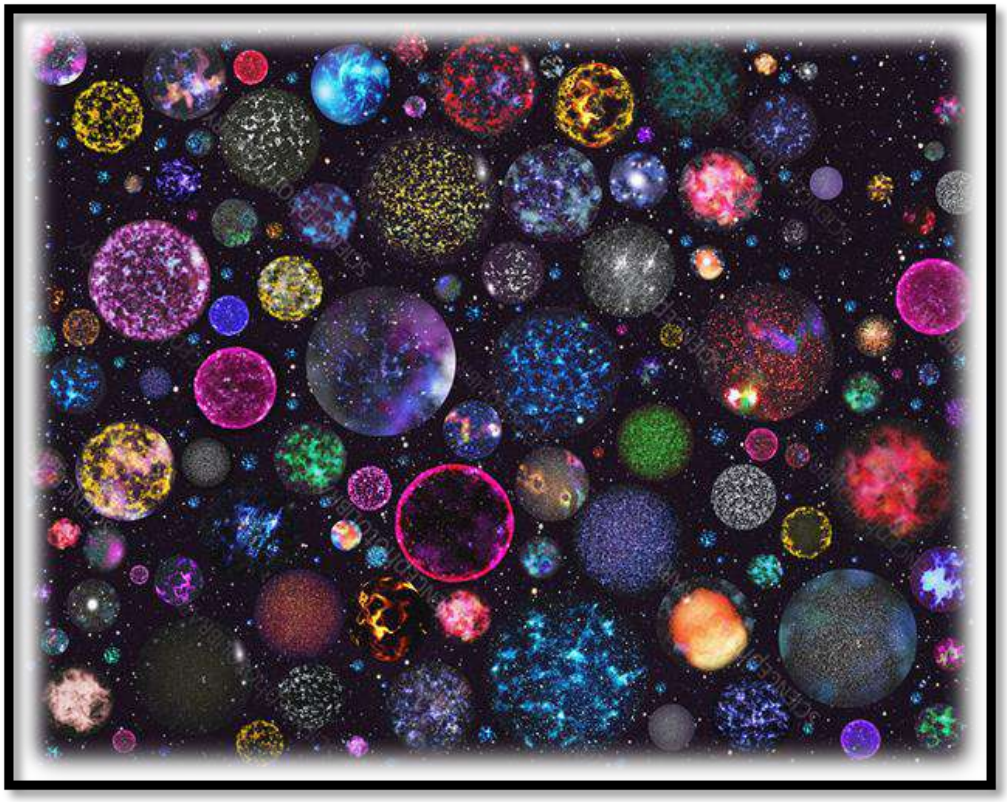

مغالطة الأوتار الفائقة

(قيثارة الروح)

= هل سنبقى جالسين هكذا يا صديقي الفنان ؟

= و ما الذي سنفعله إذن أيها الفيزيائي المحنك ..؟

= اعزف لنا قليلاً على كمانك .. إن أنغامك تطربني و تمطر على روحي كغيث من السعادة و السكينة ..

= طلباتك أوامر .. بكل سرور ..

تناول الفنان كمانه و عزف عليه مقطوعة الراهب الأحمر **فيفالدي** الشهيرة (**لا فوليا**) ذات الإيقاع الحماسي المجنون ، في حين أخذ صديقه الفيزيائي يضرب الأرض بحذائه منسجماً مع الإيقاع و قد اتسعت ابتسامته لتشمل كامل وجهه .. حتى انتهى الفنان من العزف ..

صفق الفيزيائي بحرارة ..

= مذهل .. مذهل يا فنان ..

= لم أعلم أن الفيزيائيين يهتمون بالموسيقى لهذه الدرجة

= و من قال لك ذلك ؟ إن اشهر شخصية علمية في أوساط الفيزياء و هو ألبرت أينشتاين كان معتاداً على عزف الكمان كحالك كلما شعر بالضيق أو التشاؤم أو وصل إلى حائط مسدود في تفكيره ..

= صحيح ؟!

= بالطبع .. بل إن أشهر نظرية في الفيزياء كلها مشتقة من عالم الموسيقى ..

الفنان بدهشة ..

= أثرت فضولي بحق ، و ما هي هذه النظرية ؟!

= **نظرية الأوتار الفائقة** ..

= أي كأوتار الغيتار و الكمان ؟

= تماماً لكنها أوتار تعزف موسيقى من نوع مختلف ، فهي تفسر قوانين **ميكانيكا الكم** على مستوى البنية الجزيئية للمادة ..

= لم أفهم ؟!

= تقول النظرية أنّ أصغر مكون للمادة الذي لا يمكن اختزاله أكثر **ليس نقطي الشكل** ، بل يأخذ شكل أوتار دقيقة قد تكون مغلقة أو مفتوحة و تهتز باستمرار مغيرةً شكلها ضمن **11** بعد كامل و ليس **4** أبعاد كما هو متعارف عليه أي الطول و العرض و الارتفاع و الزمن ..

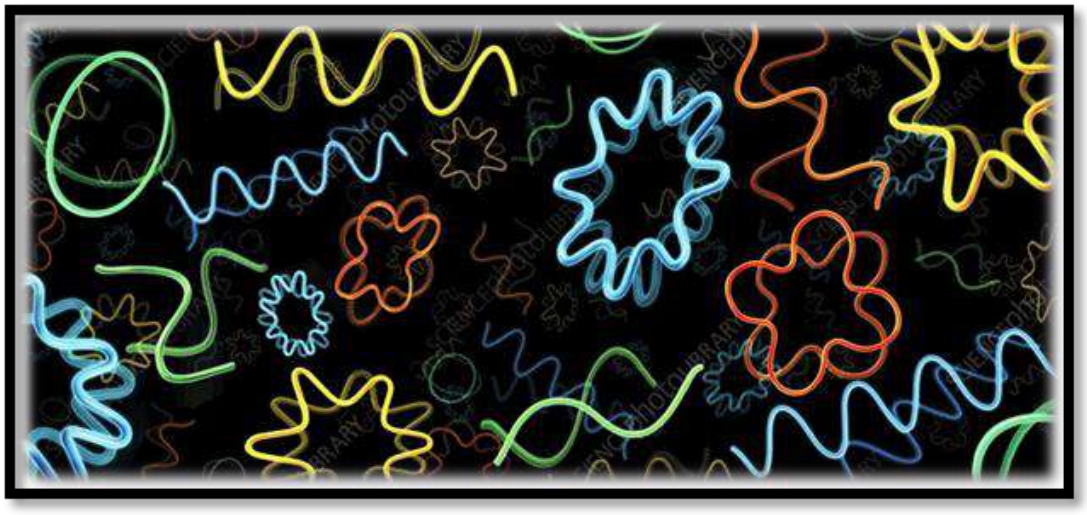

= مذهل ..

= بلى ، لكنها تبقى فرضية غير مثبتة .. ما يهمني الآن أنني قد طربت بعزفك المذهل .. الموسيقى نشوة روحية

و شفاء من الآلام و الأحزان لا سيما بيد خبير فنان كحالك يا صديقي ..

= صدقت .. و يدعمك في كلامك الأديب الشهير **ابن عبد ربه الأندلسي** مؤلف كتاب **العقد الفريد** .. إذ يقول:

(و قد يتوصل الإنسان بالألحان الحسان إلى خير الدنيا و الآخرة)

= ما أروعه و أصدقه من قول .. إن الروح تهتز عند سماعها الموسيقى الجميلة في ألف بعد مختلف و ليس **11** بعداً فحسب !!

*****

في ذات يوم زارنا رجل دين من الطائفة الشيعية الكريمة و هو صديق لأبي في منزلنا ، و بينما كنا نتحدث ثلاثتنا رنّ هاتفي و كنت قد وضعت نغمة الرنين عليه مقطوعة **موزارت** التي أحبها (**ليلة موسيقية قصيرة**) ، و بعد ردي على المكالمة التفت إليّ رجل الدين و عاتبني بقوة على نغمة الموسيقى قائلاً لي:

= الموسيقى حرام يا بني .. فهي تحرك الشهوات و النفاق و تمنع الإنسان من ذكر الله ..

في الحقيقة لم أناقشه البتة لأنني أعلم أن رجال الدين في جميع الأديان و الطوائف هم أصعب نوعية من الناس

في تغيير قناعاتها ، فأومأت برأسي و غيرت الموضوع ..

فهل كلام رجل الدين هذا منطقي و صحيح بالفعل ؟

أم أنه محض مغالطة جديدة تنضم إلى سلم مغالطاتنا الموسيقي كنغمة جديدة تحرك عقولنا و تحثها على التقصي و البحث لإثبات الحقيقة المجردة في الحياة مدعمةً بالبراهين و الأدلة الدينية و العلمية معاً ..

هذا ما سنحاول معرفته عبر الصفحات التالية ، و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من زاويتين دينية و علمية في محاولة متواضعة منا للوصول إلى نتيجة مرضية و وافية في هذا الصدد ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نعزف قليلاً على أوتار الحقيقة لتصدح بأعذب أنغامها ..

أولاً ، الزاوية الدينية :

إن أول إشارة إلى الموسيقى في الكتاب المقدس نجدها في سفر التكوين ، عندما ذكر **يوبال** و هو ينتمي للجيل الرابع من أبي البشر **آدم** ، فيصفه الكتاب بأنه كان:

(أبًا للذين يعزفون على القيثارة و الناي)

و من ثمّ انتشرت الموسيقى كوباء جميل عبر العصور المتعاقبة .. و الموسيقى غير محرمة عند اليهود أو

المسيحيين ، بل على العكس نجد التراتيل الدينية و الأناشيد الروحانية شائعة عندهم ..

أما بالنسبة للإسلام فلا توجد آية صريحة في القرآن الكريم تحرم الموسيقى أو الغناء .. أما في السنة النبوية فالأدلة قليلة بحكم أن بيئة شبه الجزيرة العربية لم تكن مشهورة بالآلات الموسيقية ، لذا لم تكن الموسيقى شائعة عندهم و بالتالي لم يحدث احتكاك مباشر مع موضوع الموسيقى كي يفتى فيه .. و لكن و بحسب وجهة نظر شخصية ، تكفينا أنشودة **طلع البدر علينا** التي غناها أهل المدينة المنورة من رجال و نساء و أطفال عند استقبالهم لنبي الرحمة المهاجر إليهم.. و هذا بحد ذاته إثبات بأن الموسيقى كحال الغناء غير محرمة في الدين الإسلامي ..

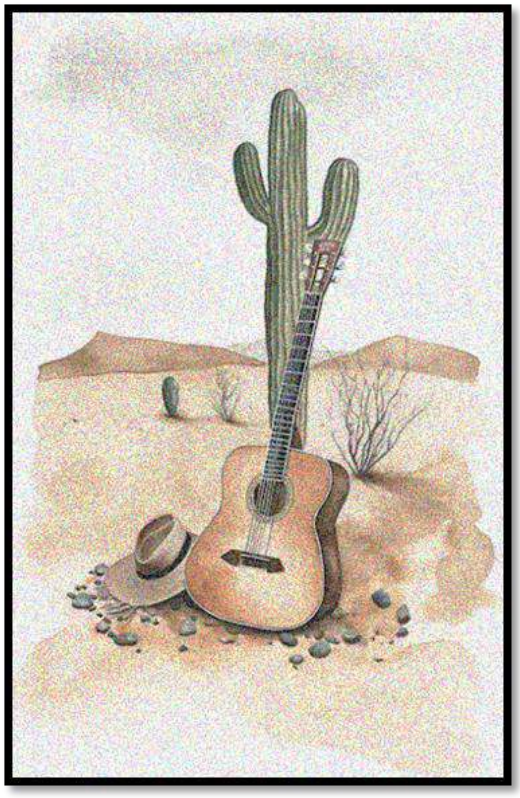

و يبقى التحريم هو مضمون هذه الأغاني ، فإن كان يروج للخطيئة أو الفتنة أو السلوك السلبي فهو بالطبع محرم عقلياً و منطقياً قبل أن يحرم دينياً بالأساس كونه يفسد عقول الأطفال و المراهقين و حتى الأكبر سناً أيضاً .. من جهة أخرى فقد كان الشعر الموزون رائجاً في عهد الرسول و لم يحرمه ، و كما نعلم جميعاً فالشعر الموزون يغنى و يعطى بصمة موسيقية فريدة تميزه عن غيره .. و ما الأغاني الحالية سوى شعر ينشد ! بل أكثر من ذلك فإن ترتيل القرآن بحد ذاته دليل على تحليل الموسيقى و التأكيد على دورها المميز في ملامسة المشاعر الإنسانية و بث الخشوع و الورع في القلوب ، فكان بالإمكان أن يقرأ القرآن بطريقة عادية ، لكن السنة النبوية أكدت على تلاوته بطريقة موسيقية باعثة على السكينة و الإيمان ..

ثانياً ، الزاوية العلمية :

الموسيقى بعين العلم ذات فوائد جمة على الجسد و النفس و الروح و المعنويات معاً ، نذكر منها :

❁ **الموسيقى هدوء و صفاء و سكينة تبدد القلق و التوتر و تصفي الأفكار و تضع الأمور في نصابها الصحيح** .. كما يمكن للموسيقى، وخاصة الألحان المبهجة، أن تبعد العقل عن الاجهاد، وتضاعف الشعور بالتفاؤل والإيجابية ، خاصة الموسيقى التي تحتوي على

كلمات تزرع أفكاراً إيجابية عن الحياة، فإنها تجلب الفائدة المزدوجة للموسيقى والتأكيدات الإيجابية، مما يساعد الإنسان على إحاطة نفسه بالطاقة الإيجابية، ويجعل الأحداث المجهدة تتلاشى بسهولة أكبر.. و يقول أفلاطون في هذا السياق :

(من حزن فليستمع للأصوات الطيبة فإنّ النفس اذا حزنت خمد منها نورها ، فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد)

و في نفس السياق ينشد **السراج الوراق** قائلاً :

إذا خمدت نيران صفوك فاعتمد

لإشعالها خمساً غدت خير أعوان

فراح وريحان وساق مهفهف

ونغمة ألحان وصحبة أخوان

❁ **الموسيقى شفاء للآلام الجسدية و النفسية** ..و تشير الدراسات إلى أن العلاج بالموسيقى يمكن أن يخفف من أعراض الاكتئاب، كما يؤدي إلى إفراز الدوبامين والإندورفين، وهي هرمونات يمكنها تحفيز المزاج السعيد، وتخفيف الألم وزيادة الشعور بالرضا.. كما اثبتت دراسات أخرى أن الموسيقى تسرع عملية شفاء الأمراض أو الجروح عقب الجراحة .. و عرف عن الإسكندر المقدوني الأكبر أنه كان كلما شعر بالتوتر أو القلق أو الانزعاج طلب من غلام أن يعزف له على العود فيزول عنه كل ذلك ..

❁ **الموسيقى تبث فينا المشاعر الجميلة كالحنين أو الفرح أو الأمل أو الحماس** .. فأي حالة وجدانية نمر بها يمكننا تضخيمها بالموسيقى المناسبة كي نحصل على نتائج أفضل ..

❁ **الموسيقى قد توصل رسالة نبيلة و سامية عندما يكون كلام الأغنية هادفاً و ذا مغزى** .. كالأغاني الحربية أو الإنسانية أو الدينية أو الأخلاقية أو

الاجتماعية و غيرها من الحالات ، و هذا ما يسمى بالفن الهادف ..

❁ **الموسيقى لغة عالمية تفهمها جميع الشعوب و توحد القلوب على فن واحد راقٍ** .. فمثلاً سمفونيات بيتهوفن يتذوقها كل البشر مهما اختلف انتماؤهم .. من جهة ثانية فالموسيقى تراث يميز الشعوب كالآثار تماماً فنجد الموسيقى الشرقية و الغربية و الإفريقية و الصينية و نجد الزجل اللبناني و الموال السوري و الموشحات الأندلسية و الطرب الحلبي و قس على ذلك ..

❁ **الموسيقى تزيد من الإنتاجية** عند سماعها أثناء العمل، لكن من المهم أن يتطابق إيقاع العمل مع إيقاع الموسيقى، فالمهام السريعة، بحاجة الى إيقاع سريع تحفيزي للعمل بشكل أسرع .. أما المهام الإبداعية،

فتحتاج إلى موسيقى سلسة بدون فواصل، مثل الموسيقى الكلاسيكية أو معزوفات بآلات موسيقية أو أصوات الطبيعة..

❁ **الموسيقى تخليد للذكريات و المناسبات** ، فنجد أغانٍ مرتبطة بأحداث مميزة من انتصار أو حرية أو استقلال أو إنجاز أو وحدة .. كما نجد أغانٍ تخلد أحداثاً تاريخية معينة كأيقونات حقيقية بين الشعوب ، و هنالك أغانٍ تمجد دولاً أو مدناً ، أو أحياناً عظماء و مؤثرين على التاريخ و المجتمع .. و كمثال مناسب عن ذلك نستذكر مقولة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عند وصفه للمساواة العرقية في بلاده :

(إن أردت صنع موسيقى جميلة، فعليك أن تعزف النغمات البيضاء والسوداء معاً)

❁ **الموسيقى تساعد على الاسترخاء و النوم** ، فقد أثبتت دراسات أجريت على مشاركين يعانون من

اضطرابات النوم المزمنة، أن سماع الموسيقى الهادئة لمدة **45** دقيقة قبل النوم، ساعد بشكل ملحوظ في تحسين نوعية نوم المرضى، وتخلصوا نهائياً من الأرق المزمن..

❁ **الموسيقى تحسن الذاكرة و تقي من الزهايمر** ،

بحسب دراسات كثيرة ، لاسيما عندما يقترن سماع الأغاني بمحاولة حفظ كلماتها و ترديدها ..

❁ **الموسيقى تقوي جهاز المناعة** : أشارت الأبحاث إلى أن الاستماع إلى الموسيقى يقلل من مستويات هرمون الاجهاد، وهو هرمون الكورتيزول ، وهو المسؤول عن إضعاف جهاز المناعة لدى الإنسان، وضعف الذاكرة والتعلم، وزيادة خطر الإصابة بأمراض القلب، و ضغط الدم، والتقليل من كثافة العظام في الجسم، ووجدت هذه الأبحاث بأن استماع الشخص للموسيقى لمدة **30** دقيقة فقط يؤدي إلى رفع مستوى الأجسام المضادة في الجسم.

❁ **الموسيقى ترسم حدود المناسبات** : فنجد موسيقى الأفراح و الموسيقى الجنائزية و موسيقى الحرب و موسيقى السلام و قس على ذلك ..

❁ **الدور الأهم هو أن الموسيقى غربال يصفي البشر بين من هو رحيم و مسالم و من هو غليظ القلب و عدواني** : فلا أحد يبغض الموسيقى إلا إن كان شقياً و

بلا رحمة في قلبه .. كما أبدع الأديب **وليام شكسبير** بقوله :

(إذا خلت نفس إنسان من الموسيقى وانعدم تأثره من اتحاد الأصوات الرخيمة كُتب عليه ألا يصلح إلا للمخادعة، ونصب الحبائل للناس، والإضرار بهم؛ فتخور عزيمته، وتموت مشاعره، وتظلم عواطفه كالليل الدامس، ويكون غير أهل لأن يخلد إليه بالثقة)

ثالثًا ، الآلات الموسيقية من منظور مختلف :

إن أشكال الآلات الموسيقية بحد ذاته ينطوي على معانٍ عميقة و دلالات أكثر من كونها مجرد شكل عشوائي

خارجي ..

فنجد مثلاً البيانو يشير إلى نصفي الحياة (النور و الظلام) بدرجاته البيضاء و السوداء و كأنه يقول : أنا أعزف نغمات من صميم الحياة بكل أطيافها و أشكالها و تحولاتها ..

و نجد الغيتار مكوناً من **6** أوتار ، **3** ثخينة رئيسية و **3** رقيقة ثانوية و كأنه يشير بتناظره هذا إلى الذكر و الأنثى في الإنسان و بأنه يولد من تزاوجهما أعذب الألحان و أجملها ، تماماً كحال نجمة داوود الشهيرة ..

و نجد الناي كعود مجوف يعزف أكثر الألحان حزناً و

حنيناً و كأنه يقول أنا أحن إلى الجذع الذي قطعت منه.

و نجد الطبول تمنحنا أكبر درس في الحياة ، أن كل إنسان يصرخ و يرفع من صوته في النقاش هو شخص أجوف من الداخل بلا وعي أو منطق .. فالإنسان العاقل الناضج يتحدث بهدوء و اتزان ..

أما آلة القانون فإنها تثبت لنا بأن القانون إن وضع بين الأيدي الصحيحة أطربنا بأجمل مقطوعات العدل ، أما

إن وضع بين الأيدي الخطأ صمّ آذاننا بنشاز الظلم ..

هذه باختصار هي حكاية الموسيقى في عين الدين و عين العلم .. شفاء للروح و النفس و الجسد .. لغة عالمية تفهمها كل الشعوب .. تمنحنا معنويات عالية و طاقة إيجابية، و توثق أحداثاً و مناسباتٍ .. تبعث برسائل هادفة للبشر ، و تفرق لنا بين الرحيم و فظ القلب كبوصلة حقيقية لا تخيب .. كما قال الأديب اللبناني الكبير **جبران خليل جبران** في كتابه المعروف (**الموسيقى**) :

(الموسيقى كالمصباح تطرد ظلمة النفس و تنير القلب لتظهر أعماقه)

و أيضاً ما قاله أفلاطون :

(الموسيقى هي قانون أخلاقي يمنح الروح للكون و يمنح أجنحة للعقل، تساعد على الهروب إلى الخيال

، وتمنح السحر والبهجة للحياة)

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الأوتار الفائقة**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الموسيقى حرام في الدين فهي كذا و كذا و كذا ..

بل أن نقول :

= العلم يؤكد لنا أن للموسيقى فوائد و إيجابيات جمة ، أما الدين فلم يذكر بشكل صريح و بالأدلة أنها حرام ، بل إن ما وصلنا عن الأنبياء يؤكد عكس ذلك و يدعم رأي العلم فيما يقول ..

إلى جانب حنجرتها الماسية التي أسكرت عقول الملايين ، فقد لعبت السيدة أم كلثوم دوراً اجتماعياً رياديا ، كما لعبت دوراً حاسماً في حروب مصر فرفعت همة الجنود و جمعت تبرعات كبيرة للمحتاجين .. و هي بذلك تثبت كل ما سبق و قاربناه عن دور الموسيقى الإيجابي في الحياة ..

لا أعرف كيف يمكن لبعض الناس أن يكرهوا الموسيقى و الغناء ، لكنني أعلم يقيناً أنني عندما أسمع صوت السيدة **فيروز** أشعر بالأرض و قد أشرقت بنور ربها ،

و ساد الخشوع و الورع و السكينة على القلوب ، و ما هي الصلاة على أرض الواقع غير ذلك ؟!!! ..

مغالطة الخوف الفطري

(تجربة ألبرت و قطرة روبرت)

بينما كان الصديقان جالسين في المقهى يحتسيان فنجاني قهوة ، مرت سيارة شرطة بصوتها المميز بالجوار ، فلاحظ أحدهما على الآخر أنه بدأ يتعرق و تسارعت أنفاسه بشكل فاضح ، فقال له بدهشة ..

= ما الذي أصابك يا صديقي .. ؟ يبدو مظهرك و كأنك أنت المجرم المطلوب الذي تلاحقه الشرطة ..!!

هدأ الصديق قليلاً ثم رد بالقول :

= إنها حالة انعكاسية تصيبني عند سماع صوت سيارة الشرطة ..

= و لماذا ؟

= حالة ذات صلة بحادثة تعرضت لها في طفولتي ، ربما يمكنك كطبيب أن تساعدني بفهمها و علاجها ..

= لا بأس .. و ما هي تلك الحادثة بالضبط ؟

= عندما كنت بعمر التاسعة .. حدث أن كانت الشرطة تلاحق مجرماً في حينا ، فاختبأ المجرم في حديقة

منزلنا بينما كنت ألعب هناك و كان بيده مسدس وجهه إليّ و هددني ألا أصرخ بينما كانت أصوات سيارات الشرطة تقترب ، مما أثار في قلبي عاصفة من الرعب ، و منذ تلك الحادثة و أنا أفقد اتزاني عند سماعي لصوت سيارات الشرطة ..

= إذن فالموضوع واضح و مفهوم .. ما أصابك هو منعكس شرطي كفوبيا ، أي أنك خفت ذات يوم من المجرم أثناء سماعك لصوت السيارات ، ثم بدأت تخاف من صوتها حتى بدون وجود مجرم ..

= معقول !؟ هل يمكن حدوث ذلك بالفعل ؟

= بالطبع ممكن ، لاسيما عندما يكون العامل المفزع قوياً كفاية ،هل سمعت من قبل **بتجربة ألبرت الصغير** ؟

= لا ..

= إنها من أغرب تجارب المنعكس الشرطي في التاريخ ، و أخطرها أيضاً ..

= أثرت فضولي .. ما مضمونها ؟!

= أجريت التجربة عام **1920** على طفل يدعى ألبرت يبلغ من العمر عاماً واحداً فقط ، حيث وضع بجواره فأر أبيض فلم يرتكس ألبرت له أبداً .. ثم بدأ الباحثون بالطرق بقضيب معدني في كل مرة يوضع الفأر مع

الطفل ، فبدأ يشعر بالخوف و يبكي .. لاحقاً أصبح ألبرت يخاف و يبكي عند ظهور الفأر حتى بغياب الطرق .. أي ببساطة تولد لديه منعكس شرطي سبب له فوبيا من الفئران غير المؤذية أو المخيفة بالأساس ، أي أنه ولد لا يخاف من الفئران لكن حادثة معينة جعلته يربط الفئران بمصدر مزعج مخيف ثم اقترنت لديه رؤية الفئران بذلك الإزعاج ..

= أي كما حدث معي بالضبط !!

= تماماً ..

= و ما الذي حدث بعدها ؟

= أوقفت التجربة بسبب درجة الفوبيا الشديدة التي بلغها ألبرت ، لاحقاً و بعد عقود أراد الباحثون أن يلتقوا بألبرت ليعرفوا إلى أين آلت أموره ؟

= و ماذا وجدوا ؟

= تبين لهم أن ألبرت توفي في سن السادسة بسبب استسقاء الدماغ ، بعد أن عاش سنواته القليلة هذه في حالة رعب حقيقي من الفئران .. مما أثار سؤالاً هاماً للغاية : هل كان لتلك التجربة دور في موت ألبرت ؟

= مرعب !!

= بلى ، لذا يعتبر كثيرون أنّ هذه التجربة كانت غير أخلاقية و غير إنسانية ..

ابتسم الصديق بقلق ..

= و ما الحل في حالتي الراهنة يا صديقي ، بدأت أخاف من الموت بسببها ؟

= أفضل طريقة لعلاج الفوبيا هي (**الإغراق**) ..

= و ما الذي يعنيه ذلك ؟

= تعال لأحدثك أكثر عن الخوف و عن طريقة التخلص منه و علاجه ..

*****

الخوف ..

ذلك الشعور السلبي المقيت الذي نبغضه جميعنا ، إذ أنه يقضي على هدوء حياتنا و أماننا فيفرض علينا حالة من

عدم الاستقرار و فقدان التوازن و القلق المفرط لتفقد الحياة بهجتها و الأشياء متعتها من حولنا ..

فهل الخوف أمر مفروض علينا بتكويننا كما يؤمن أغلب الناس و لا مجال لتجاوزه أو السيطرة عليه ؟

أم أن ذلك محض مغالطة جديدة تحاول بث الخوف في قلوبنا ، و **الإنسان يكتسب الخوف في حياته و ليس جزءاً من تكوينه الجيني و فزيولوجيته** ، لذا بإمكانه التخلص منه بإرادته كما تقول العبارة الأيقونية الشهيرة

((**الحب هو ما ولدنا به ، أما الخوف فنتعلمه**))

هذا ما سنحاول الإجابة عليه عبر الصفحات التالية ، و ذلك بمقاربة مغالطتنا الجديدة (**الخوف الفطري**) من **4** زوايا هامة للغاية :

① تحليل الخوف علمياً ..

② سلبيات الخوف ..

③ إيجابيات الخوف ..

④ بروتوكول التعامل مع الخوف ..

فإن كنت عزيزي القارئ مصاباً بفوبيا من شيء ما كالمرتفعات مثلاً أو غيرها ، فهذه المغالطة مصممة لأجلك عسى أن تجد فيها ما يساعدك على تجاوز مخاوفك و المضي قدماً في الحياة بشكل طبيعي ، لأن الخوف هو سرطان الحياة الهانئة ..

أولاً ، تحليل الخوف علمياً :

علمياً الخوف هو تغيرات فيزيولوجية تطرأ على الجسد البشري عند تعرضه لمنبه معين يفترض الدماغ أنه سيسبب أذى جسدي لنا .. و هذه التغيرات تحرضها هرمونات تدعى **هرمونات الشدة** و أهمها الأدرينالين و الكورتيزول فتسبب مجموعة تظاهرات تشمل :

- تنبه تام ..
- قلق ..
- خفقان قلب ..
- تسارع تنفس ..
- انتصاب الشعر ..

- جفاف الفم ..
- تعرق غزير ..
- توتر العضلات ..

أي أن هذه الهرمونات تعد الجسد البشري لمواجهة عامل الخطر المحدق به ، فيرتكس بعدها بإحدى **3** طرق :

❁ **يتجمد مكانه** .. و هذه آلية تتبعها الحيوانات التي تعتمد على التمويه و التخفي أمام مفترسيها ..

❁ **يهرب** .. إن كانت الكفة ليست لمصلحته ..

❁ **يقاتل** .. إن كان هو الأقوى أو لم يكن هنالك مجال للهروب ..

و بالمحصلة الخوف هو ارتكاس بشري طبيعي و حميد يخبرنا الدماغ من خلاله بوجود خطر محتمل قد يصيبنا ، و لكن هنالك حالات شاذة من الخوف يكون سببها هو منعكس شرطي قديم لا سيما في الطفولة قام بربط عامل غير مؤذٍ بعامل آخر مؤذٍ للغاية ، كما في تجربة ألبرت الصغير السابقة ، أو كالفتاة التي تخاف من النحل بشكل مرضي ، لأن نحلة لسعتها في طفولتها فسببت لها صدمة تآقية كادت تودي بحياتها .. و هذا الخوف المرضي غير الطبيعي يدعى (**الفوبيا**) و التي تأخذ أشكالاً مختلفة ، كالخوف من الحشرات أو المرتفعات أو الأماكن المغلقة أو حتى الناس الآخرين و غيرها من المخاوف .. بمعنى أن الفوبيا هي خوف من شيء غير مخيف بسبب اقترانه ذات مرة بشيء مخيف بالفعل ..

ثانياً ، سلبيات الخوف :

للخوف سلبيات كثيرة عندما يكون مرضياً كفوبيا أو مستمراً دون توقف كما في حالات الحروب أو الاعتقال أو الملاحقة ، و أهمها :

- **تأثيرات جسدية خطيرة** بسبب هرمون الكورتيزول السام الذي يؤثر سلباً على مختلف أجهزة الجسم فيسبب مثلاً داء السكري أو ارتفاع التوتر الشرياني أو تخلخل العظام أو البدانة أو نقص المناعة و غيرها ..

❁ **تأثيرات نفسية خطيرة** جراء القلق المزمن و فقدان الأمان .. و بالمحصلة قد ينتهي الخوف المرضي إلى الاكتئاب الشديد و حتى الانتحار بعد يأس الإنسان من حياته الراهنة ..

❁ **فقدان المتعة و البهجة في الحياة** و تحول الحياة إلى حالة من الشلل التام و كأنك في الجحيم ..

❁ **تدهور الحياة الوظيفية و ربما الرفد ..**

❁ **تدهور الحياة الاجتماعية و ربما الانعزال و الوحدة و عواقب ذلك الكارثية ..**

ثالثاً ، إيجابيات الخوف :

للخوف الطبيعي كوكبة من الإيجابيات لعلّ أبرزها :

❁ **تنبيه الإنسان من الأخطار المحدقة** كي يرتكس لها

و يتجنبها ، و ربما أنقذ ذلك حياته بالفعل ..

❁ **الاستفادة من الخوف في الحملات الإعلانية السياسية والتجارية والصحية العامة** .. مثلاً تخويف الناس من عواقب التدخين الصحية كي يقلعوا عنه ، أو تخويف الناس من مرشح سياسي معين كي يؤثروا على نسبة انتخابه و هكذا ..

❁ **الشعور بالقليل من الخوف يساعدك أيضا على فقدان الوزن،** فهو يحرق سعرات حرارية مقارنة بالأوقات التي لا تكون فيها خائفاً .. فمع تسارع النبض وإفراز الأدرينالين، يزداد مُعدل التمثيل الغذائي ويبدأ الجسم في حرق السكريات والدهون .. و قد أظهرت دراسة أجراها باحثون أنه من المرجَّح أن يحرق أولئك الذين شاهدوا فيلم رعب مُدّته **90** دقيقة ما يصل إلى

113 سعرة حرارية، وهو عدد السعرات الحرارية نفسه الذي يُمكنك حرقه من المشي لمُدّة نصف ساعة.

❁ **تقوية جهاز المناعة،** وهذا ما أظهرته دراسة أُخذت عينات دم من المشاركين قبل وبعد مشاهدة فيلم رعب مُدّته **80** دقيقة. وأظهرت النتائج ارتفاع في خلايا الدم البيضاء لدى المشاركين في الدراسة، وهي نوع الخلايا التي تدافع عن الجسم ضد كل الأمراض المُعدية..

❁ **عند بعض الناس، يمكن أن يكون الخوف على نحو غير منطقي سبباً للإثارة والمتعة،** فهنالك مَن يُفضِّل مشاهدة أفلام الرعب، أو يدفع المال لدخول بيت الرعب لتعريض نفسه لبعض الخوف ..

و فسر العلماء ذلك بأنّ أدمغة الناس تتفاعل تفاعلاً مختلفاً أثناء التعرُّض للخوف.. فأحد الهرمونات التي تُطلق أثناء التعرُّض للمواقف المخيفة هو الدوبامين،

المعروف أيضا باسم هرمون الشعور بالرضا، لأنه جزئياً مسؤول عن شعور عقولنا بالسعادة .. و عندما يتدفق الدوبامين عند التعرُّض لموقف مخيف، فإن بعض الناس يتفاعلون معه بقوة أكبر من غيرهم، وهو ما يجعل مشاعر الخوف أقرب إلى الإثارة عند بعض الناس !!.

❁ **الخوف حافز للعمل و الإنجاز** ، فالخوف من الرسوب يدفعك للدراسة و الاجتهاد ، و الخوف من المرض يدفعك لاتباع حياة صحية ، و الخوف من القانون يدفعك للسلوك القويم ، و الخوف من الفقر يدفعك للعمل و هكذا ..

رابعاً ، بروتوكول التعامل مع الخوف :

علاج الخوف المرضي (**المفرط أو المستمر**) يتم باتباع البروتوكول الخماسي التالي :

① حدد جيداً العامل الذي يسبب الخوف لديك ..

مثال : الخوف من الاماكن المغلقة ..

② حدد العامل الذي اقترن بخوفك منها و حاول أن تتصالح نفسياً معه ..

مثال : علقت في حفرة عميقة في طفولتك فولّد خوفك من الأماكن المغلقة ..

③ افهم الالية الفيزيولوجية للخوف و تأثير هرمونات

الشدة على الجسد الذي تحدثنا عليها آنفا .. فهذا يساعدك على ضبط ارتكاس جسدك للعامل المخيف ..

مثال: التنفس العميق البطيء يهدئ النفس و يصفي التفكير عند احساسك بالخوف ..

④ العامل الأهم في علاج الفوبيا هو (**الاغراق**) : و يعني طبياً تعريض مريض الفوبيا من شيء الى هذا الشيء لفترات طويلة حتى يزول تأثيره المخيف (**تنفك العقدة**) ..

مثال : من يخاف الاماكن المغلقة احبسه في غرفة صغيرة بضعة ساعات ، سيعاني كثيراً بالفعل لكنه في النهاية سيهزم مخاوفه ..

تماماً كمقولة (**داوني بالتي كنت هي الداء**) الشهيرة ، و مقولة الامام **علي بن أبي طالب** الايقونية :

(إذا هبت أمراً فقع فيه)

و في الفيزياء مثال بليغ للغاية عن هذه الفكرة و هي **قطرات الأمير روبرت** أو **الدموع الهولندية** و هي تقطير الزجاج المنصهر في الماء البارد فينجم عنه قطرات غريبة تقاوم الكسر من أعتى المطارق ..

و هذا حال الانسان الذي يعاني من خوف مرضي ، أشبه بزجاج سهل الكسر ، لكن ما إن يذاب بعملية الاغراق في الماء البارد الذي هو العامل المثير للخوف حتى يتحول الى شخص

شجاع و ثابت لا يخاف أبداً بعد ذلك ..

⑤ لا تقلل من تأثير الروحانيات على تهدئة نفسك ، فبذكر الله تطمئن القلوب ، لكن ذلك لا يعني ألا نلجأ لأهل الاختصاص في الطب النفسي لمساعدتنا بالعلاج المعرفي السلوكي و /أو العلاج الدوائي المناسب ..

مثال : يمكن علاج رهاب المسرح (الخوف من الجمهور) بحبة واحدة من دواء حاصر بيتا قبل لقاء الجمهور بربع ساعة و هذا ما يعتمده المحاضرون و الفنانون ..

أي شيء نخاف منه في حياتنا له جذور و أسباب مقترنة به في الطفولة .. فالإنسان يأتي الى هذه الحياة لا يهاب شيئاً .. لكنه يبدأ باكتساب المخاوف من التجربة أو التربية ، فمثلاً إن أنت وضعت أفعى بجانب رضيع فلن يخاف منها ، لكن بعد أن يكبر و يعرف أنها مؤذية سيتولد الخوف في قلبه منها..

و العائلة بشكل عام فنانة في زرع الخوف من كل شيء في قلوب أبنائها ، من الخوف من الآباء الى الخوف من

السلطة انتهاء بالخوف من السماء .. و هذا خطأ جسيم ، فالخوف الوحيد الذي يجب تربية الانسان عليه هو **الخوف من ارتكاب الخطيئة بإرادته كي لا يفسد هو و مجتمعه** ، اما اذا كان على الصراط المستقيم فعليه ألا يخشى أحداً في الكون ..

و في الحقيقة فكرة الخوف ولدت في قلب الانسان منذ أيام إنسان الكهف، بخوفه من الحيوانات المفترسة كالديناصورات أو الكوارث الطبيعية كي ينجو بحياته، ثم بدأ بنقلها كإرث إلى أبنائه بالتعليم و ليس بالجينات ليصبح الخوف لاحقاً عادة و عرف في حياة البشر .. و هذا الخوف حميد لأنه يعني الحذر ، أما أن يتسع هذا الخوف كتصحر يشمل كل شيء و يسبب جفاف الروح فكارثة حقيقية يجب وأدها في مهدها ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الخوف الفطري**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الخوف البشري شيء فطري في جيناتنا و لا يمكننا

التخلص منه ..

بل ان نقول :

= الخوف شعور مكتسب و ليس فطرياً .. له جانب إيجابي بارتكاسنا للعوامل المؤذية كي نتجنبها و ننجو ، لكنه إن أصبح مرضيا قد يدمر حياتنا الشخصية و الوظيفية الى الأبد .. لذا علينا علاجه بالبروتوكول السابق الذي تحدثنا عنه قبل أن يتوسع كسرطان في نفوسنا و يقضي علينا ..

في التراث الشعبي الألماني حكاية شهيرة للأخوين **غريم** تعرف بقصة (**الشاب الذي خرج ليعرف ما هو الخوف**) ، و تتحدث عن فتى لا يخاف أبداً فيتم تعريضه لتجارب مرعبة كثيرة بين الزومبي و الجماجم الناطقة و الاشياء التي تتحرك و تهاجمه ، لبث الرعب في قلبه ، لكنه و لأنه لا يعرف الخوف يتعامل معها كلها ببرود فيقمعها قبل أن تخيفه ..

و هي قصة طريفة لكنها ذات مغزى عميق بنفس الوقت، و هو أننا عندما نقرر ألا نخاف سنجد أنه ما من شيء مخيف بالفعل ، فالخوف شيء نحن نصنعه و ليس شيئاً من صميم تكويننا كالعظام و العضلات.. و إن بحثت في سجلات التاريخ عن أبرز القادة و العظماء ستجد أن الصفة المشتركة بينهم جميعاً لم تكن السلطة أو الثراء أو الوسامة أو الذكاء .. بل هي **الشجاعة** .. لأنك ان امتلكتها أمكنك بلوغ أي حلم يراودك أما إن فقدتها لن تبرح مكانك ، كما قال الفيلسوف الإغريقي **أرسطو** :

(الشجاعة أهم الصفات الإنسانية لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات)

فالحياة تؤتي أكلها للشجعان و تحجم بوجهها عمن يخشون مجابهة مصاعبها ..

مغالطة هاكر العقول

(رجل الدمى)

= ما آخر الأخبار يا صديقي ..؟
= لا يزال التفجير الإرهابي يسيطر على المشهد .. كيف يمكن لإنسان أن يفجر نفسه في حشد من الأبرياء بمنتهى البساطة ؟

= بنفس البساطة يا عزيزي .. عبر تهكير العقل ..

= ما الذي تقصده بكلامك ؟

= أي إجراء عملية غسيل للدماغ من المنطق و إقحام أفكار زائفة مشوشة مكانه ..

= و هل الموضوع بهذه البساطة بالفعل ؟

= بل أبسط من ذلك أيضاً .. تهكير العقل صناعة مكتملة لها أسس و طرائق كثيرة ، تنوم عقول البشر مغناطيسياً فتتحكم بها كروبوتات تنفذ الأوامر دون سؤال أو محاكمة منطقية .. و بالطبع أحد الأذرع الطولى لتهكير العقل هو الدين ..

= و كيف ذلك ؟

= أن تضع عقل الإنسان بين مطرقة و سندان .. مطرقة أنّ بعض البشر كفار يستحقون الموت ، و سندان أن الجنة على رحابتها تنتظره و عند بوابتها تقف الحور العين بالعشرات كي تأخذه بالأحضان .. فيصبح عقل المرء كشطيرة الهامبرغر جاهزاً للتنفيذ بدون تلكؤ أو تأخير ..

= إنك تقول ذلك ببساطة .. لكنه على ما أعتقد أصعب من ذلك بكثير .. الناس ليسوا بهذه السذاجة ..

= الناس ليسوا سذج ، لكن طبيعة العقل البشري قابلة للتلاعب بسهولة بالاعتماد على أسس علمية ، سأقص عليك قصة حقيقية من التاريخ توضح فكرتي بشكل أفضل ..

= تفضل ..

= تتناول القصة شخصية حقيقية شهيرة بالكذب و المراوغة و بارعة بالفصاحة و الخطابة و التأثير على العقول ، فكانت تجتمع بالناس في الأسواق الشعبية و تغسل دماغها بمجموعة من الأفكار الباطلة كي تحصد النتائج الإيجابية لمصلحتها منهم ..

= و بعد ؟

= في ذات مرة اقترب صديق تلك الشخصية منها و

وبخه على أفعاله لأنه يضر الناس و يتلاعب بعقولهم ، فابتسم الصديق و قال له : (**و هل تصدق أن لهؤلاء عقول .. انظر و راقب**).. ثم صعد إلى المنبر و خطب بالناس قائلاً : (**أيها القوم يقول فلان عن علان بأنه سمع رسول الله يقول : من استطاع لمس أنفه بلسانه دخل الجنة بدون حساب**) و ما إن انتهى من جملته حتى بدأ الجميع بمحاولة لمس أنوفهم بألسنتهم ، فالتفت إلى صديقه و قال مبتسماً : (**عن أي عقول تتحدث يا صديقي ؟**) ..

= هل تمزح ؟

= إطلاقاً ، قصة حدثت بالفعل .. كيف تفسر إذن أن يفجر شخص نفسه في ناس عزل كجريمة لا تعادلها جريمة و باسم الدين ؟ بل الأصح أن داهية غيره تلاعب بعقله باسم الدين و حرضه على فعل ذلك

ليتحول دين الرحمة و السلام إلى دين القتل و الدماء

= هذا كلام خطير !!

= بالفعل .. و أخطر ما فيه أنه واقعي تماماً ، بل إن هنالك علوم كاملة أنشئت لدراسة طريقة تفكير الناس و طرائق التلاعب بعقولهم ..

*****

عقل الإنسان مضاد لرصاص البدع و الأوهام ، و من العسير على أي أحد أن يتلاعب به بسهولة ..

فرضية يؤمن بها أغلب الناس كي يسقطوا عن أنفسهم تهمة الانقياد الأعمى السريع و اليسير ، فهل هذه الفرضية صحيحة ، أم أنها مجرد مغالطة جديدة يستخدمها البعض للتلاعب بالأدمغة و تحقيق مكاسبهم الخاصة ؟

إن الجواب المبدئي الوجيز على هذا السؤال هو :

(العقل البشري يتبع سياسات معينة في العمل ، فإن أنت أتقنتها تمكنت من تهكير هذا العقل و تحريك صاحبه كما تشاء كرجل الدمى .. و هذا ما يعرف بغسيل العقول ..)

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟ تعال عزيزي القارئ لنوضح جوابنا بتفصيل أكثر أملاً في الوصول إلى نتيجة مرضية و شافية في هذا الصدد ، و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة (**هاكر العقول**) من **3** زوايا هامة للغاية :

- **ما هو التهكير ؟**
- **أسس التهكير العقلي ..**
- **أمثلة حول العالم عن غسيل الأدمغة..**

فهيا بنا نهكر هذه المغالطة و نصل إلى كامل بياناتها لنكتشف الحقيقة العارية سوياً ..

أولاً ، ما هو التهكير ؟

التهكير مصطلح حديث العهد نسبياً ، و ارتبط بالهجمات السبيرانية و اختراق أنظمة الحماية و الحواسيب للأشخاص أو الشركات أو المنظمات العالمية ، لغايات تتنوع بين **سلبية** كالسرقة و افتعال المشاكل و يدعى الهاكرز هنا أصحاب القبعات السوداء أو **إيجابية** كالتهديد للتراجع عن المواقف العدائية أو فضح بيانات خاصة تورط شخصيات أو جهات أكبر بممارسات غير قانونية و يطلق عليهم عندها أصحاب القبعات البيضاء ، و للتهكير قواعد الكترونية خاصة و معروفة لسنا بصددها في هذه المغالطة ، و قد بدأ التهكير الالكتروني

في مطلع القرن **20** بتهكير رسائل التلغراف ثم تطور في النصف الثاني منه لتهكير الحواسيب ، و اليوم في القرن **21** بات مرتعاً خصباً لجهات كثيرة بلغت مستويات احترافية في ممارسته لغايات شريرة أو خيرة كما قلنا منذ قليل .. و كي تفهم عزيزي القارئ درجة التقدم التي بلغها البعض في مجال التهكير ، فقد تمكنوا من اختراق مواقع وزارة الدفاع الأمريكية و وكالة المخابرات السرية ، أي بمعنى آخر يمكن في أي فترة من المستقبل أن تشتعل حرب نووية في العالم عبر هكر وحيد و قد يكون يافعاً حتى ..!!

هذا فيما يختص بالتهكير الالكتروني ، و على غراره نجد التهكير الأخلاقي ، و هو التلاعب بعقول البشر و مفاهيمهم عن الحياة بعملية غسيل دماغ ، تقوم بفرمتة قناعاتهم السابقة و نسخ قناعات جديدة مكانها ، قد تكون

بأي توجه يخطر في بالك لتحويل الإنسان إلى روبوت يتم توجيهه كيفما شاء المتلاعب ، بما في ذلك دفعه للانتحار أو حتى قتل الآخرين معه ..

ثانياً ، أسس التهكير العقلي ..

لتهكير العقول طرائق كثيرة ، تماماً كحال تهكير الأجهزة ، فكل برنامج حاسوبي له طريقة تهكير مميزة و تعتبر الأفضل لاختراقه ، كذلك حال البشر لكل منهم تركيبة العقل الخاصة التي تناسبها طريقة غسيل مميزة ، فالشخص المتدين غير العلماني غير الأمي غير المثقف غير المتمرد غير الجبان و هكذا ، و يمكننا اختصار طرائق التهكير العقلي إلى **7** طرق أساسية :

① **الإيديولوجيا** : و هي الوسيلة الأقوى و الأشيع لغسيل العقول ، حيث تطحن العقل بين مطرقة الترهيب من الجحيم و سندان الإغراء بالنعيم الأبديين ، فينصاع المرء للتوجيهات لأنه بحسب ظنه سيدخل النار إن لم ينفذها بحذافيرها ، و بأن الجنان تنتظره على مصرعيها إن انصاع لها دون سؤال أو تفكير أو تباطؤ .. و تحت هذا البند ينطوي الإرهابيون الانتحاريون الذين يفجرون أنفسهم بالمدنيين الأبرياء العزّل .. و الإيديولوجيا لا تقف عند حدود السماء ، فربما كانت الإيديولوجيا عقيدة أرضية بلا غايات ماورائية ، كحال طياري الكاميكازي

الإنتحاريين في اليابان الذين ضحوا بأرواحهم لأجل انتصار الامبراطور لا غير ..

أو النازيين الذين اقتحموا الموت بسعادة أملاً في تحقيق حلم الرايخ الألماني الجديد .. و غيرها من الأمثلة التي تصب في محرق واحد و هو غسيل الدماغ بأن القضية الفلانية أهم من حياة الإنسان حرفياً .. أي أن تموت من أجل القضية بدلاً من أن تعيش من أجلها .. فتخيل درجة غسيل العقول التي تصل بالإنسان إلى إنهاء حياته مخالفاً تعاليم خالقه ، أو الأسوأ إنهاء حياة الآخرين العزّل معه في جريمة يهتز لها عرش الرحمن الرحيم

② **الإغراءات** : و نجدها في الأوساط السياسية بكثرة ، عندما يغدق المرشحون على المنتخبين بالوعود الوردية و ربما بالمال و غيره من الاغراءات المادية التي تغسل عقولهم عن المنطق و المستقبل و تجعلهم ينقادون

لاقتراعهم كالعميان المنومين مغناطيسياً .. كذلك حال الأحزاب السياسية التي تقنع أتباعها بأنهم الحزب المختار من قبل الإله و عليهم إطاعة الأوامر بدون نقاش .. و في الحقيقة أغلب الجهات السياسية تلجأ لغسيل عقول قاعدتها الشعبية كي تحافظ عليها و على مكاسبها بالمحصلة ..

و لا ننس بالطبع البعثات التبشيرية التي اعتمدت الإغراءات الدينية و الدنيوية لدفع البشر إلى ترك عقيدتهم الأصلية و اعتناق عقيدة جديدة ..

③ **الأدوية و المخدرات** : فدفع الإنسان إلى الإدمان أو تعاطي عقاقير معينة سيجعله عبداً بين يديك ينفذ أي أمر لك دون تفكير أو نقاش أو تلكؤ .. أي أنك تمسح

هويته بالكامل لتضع مكانها روبوتاً حقيقياً .. و من الأمثلة الشائعة على هذا البند نجد المنظمات المسلحة التي تعطي أفرادها عقاقير خاصة كالكبتاغون لدفعهم إلى القتال و الموت دون تفكير بالعواقب ..

و لدينا أيضاً حروب الأفيون بين الصين و بريطانيا بعد أن استعبدت الأخيرة الشعب الصيني بالأفيون و حولتهم إلى بشر بلا مبادئ أو طموح مما زعزع أركان الصين كلها ..

④ **الإعلام** : و يأتي بعد الدين من حيث قوة التأثير على العقول و غسيلها .. فكما يقول المثل الشعبي الشهير(**تكرار الكلام له تأثير أقوى من السحر**) ، و

هذا ما يفعله الإعلام بتكرار الفكرة ذاتها المرغوب فرضها على عقول الجماهير بكل الوسائل .. في الأخبار و الإعلانات و الأغاني و الروايات و الأفلام و المسلسلات و وسائل التواصل و غيرها .. حتى يصبح لدى الجمهور يقين راسخ بأن هذه الفكرة صحيحة كلياً و لا يجوز الطعن بها فيشرعوا بالدفاع عنها بأنفسهم و الترويج لها إعلامياً في حلقة مفرغة تتسع باستمرار ..

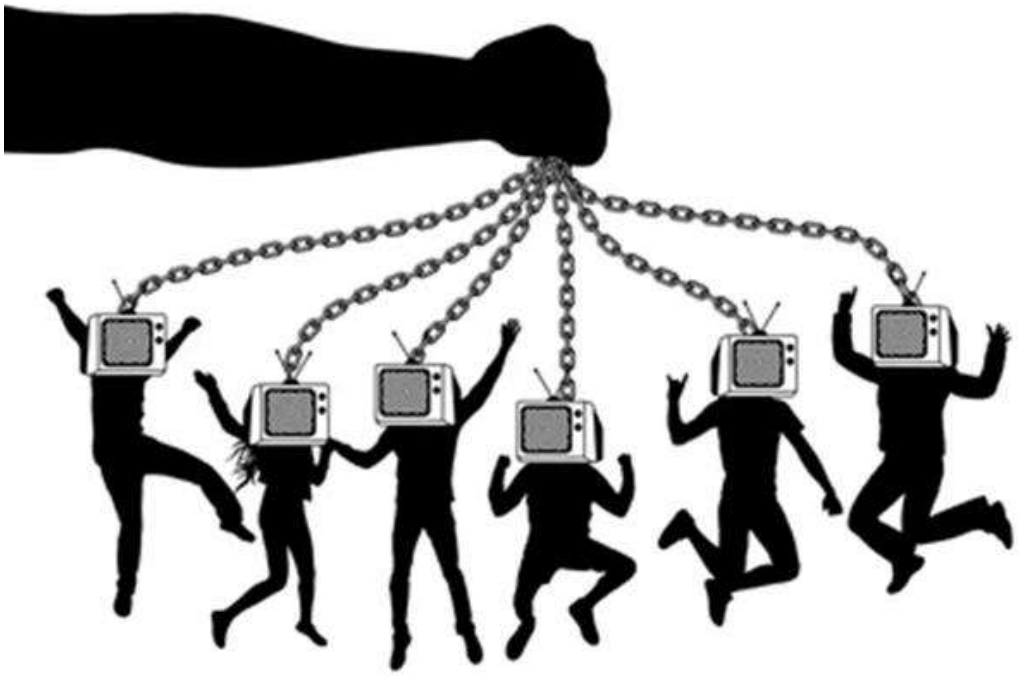

و هنالك تكتيكات إعلامية أكثر خبثاً تجعل الجمهور يعتقد أن الفكرة المطلوب ترويجها هي فكرته الشخصية فيقاتل من أجلها بضراوة أكبر .. كما يقول **كارل ماركس** :

(كي يضمنوا السلطة و الهيمنة جعلوا مصالحهم الشخصية تبدو كأنها المصلحة العامة)

و لا ننسَ بأن امبراطوريات و دولاً عبر التاريخ سقطت بقوة الإعلام لا غير بعد أن ألّب الشعب على حكامه فأسقطهم من الداخل ..

⑤ **التعنيف و الإذلال** : قد يعتقد البعض أنّ تعنيف

الإنسان يجعله يتشبث بمبادئه و أفكاره أكثر أو على أقل تقدير يدعي تغييرها كي ينجو بنفسه ، لكن في الحقيقة التعنيف الشديد يخلق عند الضحايا ما يعرف بمتلازمة استوكهولم ، حيث يتعاطفون مع جلاديهم و يدافعون عنهم في النهاية بل يعتنقون مبادئهم بإخلاص شديد ، و هذه متلازمة نفسية يعتقد من خلالها الضحية أنه إن أصبح في صف الجلاد فلن يتعرض للأذى أكثر و مع الوقت يصدق انتماءه الجديد و يعيشه كواقع ..

و كمثال على هذه الحالة نذكر الحادثة التي استخدم فيها

مصطلح غسيل العقول لأول مرة من قبل الصحفي الأمريكي **إدوارد هنتر** ليصف به حالة الجنود الأميركان العائدين من أسر الصينيين لهم خلال الحرب الكورية عام **1950**، فقد اكتشف الأميركان أنّ الأسرى عادوا وقد تبنوا المبادئ الشيوعية بصورة ثابتة يصعب تغييرها! و لا شك أن ذلك حدث نتيجة الرض النفسي العنيف أثناء الأسر و ربما نتيجة تعذيب لفظي أو جسدي أيضاً ..

⑥ **العادات المتوارثة** : و هي أول عملية غسيل عقول يتعرض لها الإنسان إذ تأتي مع ولادته و تفرضها عليه التربية و البيئة ، فكلما حاول الإنسان رسم شخصيته المتفردة و مبادئه التي يقتنع بها ، يصطدم بجدار هذا الثنائي، فيغسل كل ذلك أنياً ليعود إلى القطيع مجدداً دون تفكير أو تقصي أو نقاش ، و يردد بشكل ببغائي : (**هذا ما وجدنا عليه آباءنا**)

⑦ **حيل خاصة** : تعتمد على **الإيحاءات النفسية** أو **لغة الجسد** أو **البرمجة اللغوية العصبية** كي تسحر عقل من تخاطبه فتقنعه ببساطة بأفكارك أو الأخطر أن تجعله يؤمن يقيناً بأنها أفكاره الخاصة .. و بالطبع هذا كله علم بالكامل درس آلية تفكير الإنسان و طريقة التأثير الأكثر جدوى لتغييره .. كما نجد هذه الحيل عند رفاق السوء ذوي الشخصية القيادية النرجسية الذين يقنعون غيرهم من الشبان الملتزمين كي يقتدوا بهم بالسهر و حقن المخدرات و التمرد على العائلة و غير ذلك ، فيغسلون أدمغتهم جذرياً و يحولون حياتهم من نعيم إلى جحيم قد ينهيها من أساسها ..

هذه هي الأركان السبعة لاختراق العقول و تهكيرها لإعادة برمجتها بحسب مصالح الهاكر و رغباته و التي قد تصل بالمرء إلى قتل نفسه و غيره ، مما يبرز

خطورة و درجة تأثير غسيل الأدمغة على البشر .. و أبسط مثال على ذلك هو لعبتا **مريم** و **الحوت الأزرق** الإلكترونية التي تسببت بانتحار أطفال و قصّر بسبب غسيل أدمغتهم و تحويلهم إلى روبوتات تنفذ الأوامر بدون تفكير..

ثالثاً ، أمثلة حول العالم عن غسيل الأدمغة :

❁ تمكن **أدولف هتلر** خلال رئاسته لألمانيا أن يقوم بعملية غسل عقول شاملة للشعب الألماني ، فبث فيه النزعة العرقية العنصرية و أقنعه بأنه أفضل شعوب العالم و له الحق بأن يسيطر على كوكب الأرض برمته ، فقاده إلى حروب كثيرة دمرت ألمانيا بدلاً من أن توسعها .. و هذا تهكير إيديولوجي سياسي ..

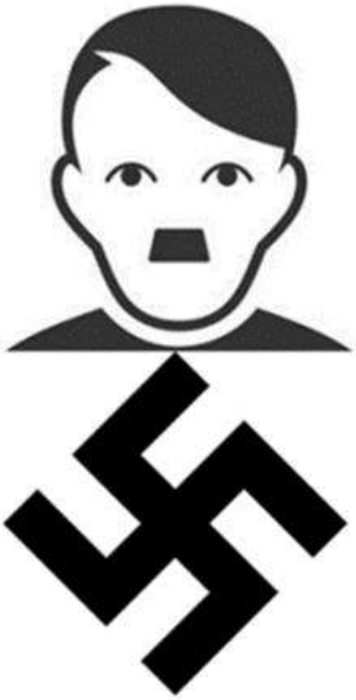

❁ هنالك أيضاً جماعة الحشاشين التاريخية التي نوّمها

زعيمها حسن الصبّاح بالأفيون فأصبحت تنفذ الاغتيالات الانتحارية بدون تردد و هذه المنظمة هي مزيج بين أفيون الدين و الأفيون الحقيقي في مزيج يسحق و يمحق عقل الإنسان ليتحول إلى دمية تحركها خيوط من الأعلى كيفما تشاء ..

❁ في عام **1978** شهدت بلدة جونز تاون الزراعية في جمهورية غيانا بأمريكا الجنوبية حادثة انتحار جماعي لأعضاء طائفة معبد الشعوب، التي اتخذت من كاليفورنيا مقراً لها، بناء على أمر من زعيمهم **جيم جونز** ذي الشخصية الكاريزماتية والمصاب بجنون العظمة الذي غسل أدمغة أتباع طائفته و أقنعهم بإنهاء حياتهم معاً ، و كانت الحصيلة أكبر عملية انتحار جماعي في التاريخ الحديث ، حيث ذهب ضحيتها **913** شخصاً، إثر تناول سم السيانيد بكامل إرادتهم .. و هذا تهكير إيديولوجي ديني ..

❁ في حرب العراق عام **2003** تمكنت الولايات المتحدة من خلال الضخ الإعلامي من إقناع الكوكب بأن نظام الرئيس صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل ، بعد أن أقنعتهم بالإعلام أيضاً بوجود فوبيا الإسلام عقب أحداث **11** أيلول عام **2001** .. و هذا تهكير إعلامي صريح .. و بالطبع أحداث أيلول هي نوع من أنواع التهكير الإيديولوجي الديني أيضاً ..

❁ تحاول الكثير من الأفلام في هوليوود في الولايات المتحدة أن تمرّر رسائل معادية كالعرب الأغبياء أو المسلمين الإرهابيين أو الروس الذين سيدمرون العالم أو الأفارقة الجهلاء .. بالطبع كل هذا يندرج تحت بند التهكير الإعلامي و للأسف بدأ يتحول إلى عادات و أعراف ثابتة في عقول شعوبهم .. و بالطبع العكس

صحيح ، فالطرف الآخر لا يقصر في خلق حالة بارانويا و حقد تجاه الغرب ..

❁ يعمل اليهود في إسرائيل على غسل عقول الأطفال عبر مناهجهم الدراسية و تربيتهم الاجتماعية بأن العرب أعداء لهم و بأنهم مصدر تهديد كبير عليهم ، لذا يجب قتلهم قبل أن يبادروا هم بقتل اليهود .. بالطبع هذا الكلام خطير ، و يزرع بذور الحقد و العنصرية في قلوب الأجيال الصاعدة من اليهود مما يعرقل حلول سلام حقيقي في المنطقة.. و العكس هنا صحيح أيضاً ، فنجد شعار الموت لليهود أو حتى المطالبة بسبيهم عند البعض الذي يخلق بذور الريبة و الشك في عقول بني إسرائيل ليبادروا بحماية أنفسهم في حلقة مفرغة من البارانويا و الحقد لن تنتهي إلا بتدخل العقلاء لا السفهاء مروجي الفتنة و الظلام ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**هاكر العقول**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= تغيير أفكار الناس ليس بهذه السهولة ، هل البشر سذج لهذه الدرجة ؟!

بل أن نقول :

= تهكير العقول لا يختلف عن تهكير الحواسيب ،

فالحواسيب قد تمتلك برامج حماية و تحصين قوية للغاية و رغم ذلك يمكن للهاكر المحترف أن يخترقها كلها .. كذلك الحال غسيل الأدمغة علم كامل الأركان و يتبع طرائق مدروسة لتغيير أفكار البشر دون أن يدركوا ذلك بالأساس .. لذا علينا أن نفهم هذه الطرائق جيداً كي نتجنب الوقع بفخاخها ..

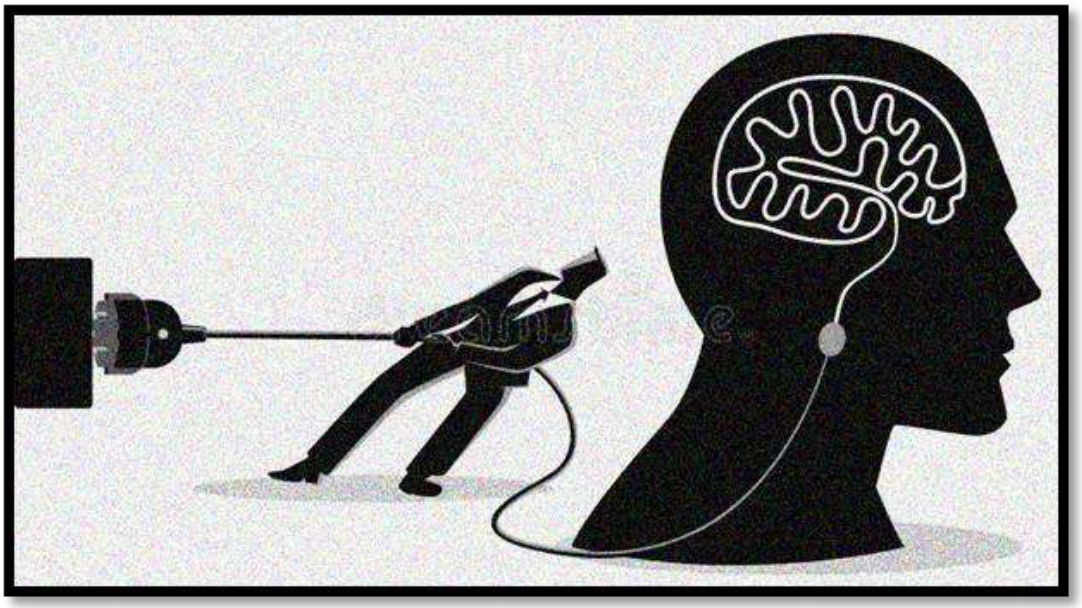

إن درجة التشابه بين التهكير الالكتروني و التهكير العقلي كبيرة للغاية ، فكما أن التهكير الالكتروني يحتاج جمع معلومات كثيرة و دقيقة عن الجهة التي سيتم اختراق جدار الحماية فيها من **تواريخ ميلاد و تواريخ إنشاء و صفقات و أسماء أشخاص و مناصب و حلفاء و غيرها** كي تنجح بالتهكير أخيراً .. كذلك حال غسيل الأدمغة بحاجة لدراسة دقيقة للشخص الهدف أو حتى للشعب المقصود من حيث **الإيديولوجيا و العادات و التقاليد و الصراعات و التحالفات و الميول و الوضع**

الاقتصادي و الاجتماعي و غيرها كي تختار الطريقة الأفضل لاختراق عقولهم .. لذا احذر عزيزي القارئ فالأخطار تحيط بك من كل الجهات في زمن العولمة و التهكير الذي لا حدود لهما ..

مغالطة خرفان

بانورج

(فلسفة القطيع)

= كيف الأحوال يا صديقي ؟

= نشكر الله و نحمده ..

= أشعر بنبرة حزن في كلامك .. خير إنشاء الله ؟

= محق ، لقد تورطت بشراء صفقة ضخمة من الثياب الرياضية للأطفال لكنها لم تلقَ الرواج المناسب فكسدت عندي ..

= و لماذا ؟ هل هي قبيحة التصميم أو سيئة القماش ؟

= إطلاقاً .. إنها جيدة .. لكن الأطفال يحبذون تصاميم أخرى مرتبطة بشخصيات رياضية مشهورة ..

= لا عليك يا صديقي .. هذه مشكلة بسيطة .. و حلها هيّن ..

= حقاً ؟! و كيف ذلك ؟

= إن الناس بشكل عام تتبع فلسفة القطيع في قراراتها في مختلف نواحي الحياة ، فما هو رائج تقدم على شرائه ، في حين تحجم عما هو دون ذلك ..

= و ما الحل برأيك إذن ؟

= ببساطة اربط ملابسك الرياضية الجديدة باسم شخصية رياضية مشهورة ، مثلاً ضع على زجاج المحل ، لدينا ملابس ميسي أو رونالدو و بأسعار تنافسية ، و أؤكد لك بأن الجميع سيقدم على شرائها ..

= بهذه البساطة ؟!

= بالطبع ..

= حسناً ، سأجرب ، أعتقد أنني لن أخسر شيئاً ..

بعد شهر :

= أهلاً بصديقي المنقذ المبدع .. لقد بعت الصفقة كاملة في غضون شهر فقط ، بل إنّ الأطفال يسألون عن المزيد من ملابس ميسي و رونالدو ..

= هذا خبر يثلج الصدر ، لكن في الحقيقة الفضل كله يعود لفلسفة القطيع و ليس لي .. إن تأثيرها كالسحر تماماً ..

= يا لها من فلسفة عجيبة و فعالة ..

= و خطيرة أيضاً .. فالتاريخ يعج بقصص كثيرة

متنوعة عن التجارة و الحروب و الأديان و غيرها ممن شكلت فلسفة القطيع انعطافة حادة فيها و قلبت المعطيات رأساً على عقب ..

= تأثيرها كبير لهذه الدرجة ؟! ..

= و أكثر .. كما توجد أيضاً قصص طريفة للغاية تتناول فلسفة القطيع و تشرح مغزاها ببساطة و إبداع لا يخلوان من الفكاهة و الظرافة ..

ابتسم الصديق ..

= أثرت فضولي بحق .. من قبيل ماذا ؟

= مثلاً ، هل سمعت من قبل بحكاية **خرفان بانورج** ؟

= لا .. و ما حكايتها ؟!

= هي قصة كتبها الأديب الفرنسي الشهير **فرانسوا رابلي** ، و تتحدث عن رجل يدعى **بانورج** كان في رحلة بحرية، وصادف أن كان معه على نفس السفينة تاجر أغنام يدعى **دندونو** و معه قطيع من الخرفان بغية بيعها.. و دندونو هذا تاجر جشع لا يعرف معنى الرحمة أو النزاهة ، و ما لبث أن وقع شجار على سطح السفينة بين بانورج و دندونو ، فصمم بانورج على إثر تلك المشاجرة أن ينتقم من ذلك الجشع الطماع شر انتقام .. و رسم لذلك خطة جهنمية تعتمد على سياسة القطيع من أجل انتقامه ؟

الصديق بفضول ..

= و ماذا فعل ؟!

= قرّر بانورج شراء أكبر الخرفان و الذي يبدو قائدها من التاجر بثمن باهظ لم يتمكن دندونو من رفضه .. بعدها ، و في مشهد غريب و مضحك، أمسك بانورج بخروفه من قرنيه وجرّه بقوة إلى طرف السفينة، ثم قام بإلقائه إلى البحر ليغرق ..فماذا كانت النتيجة برأيك ؟

= لا أدري !!

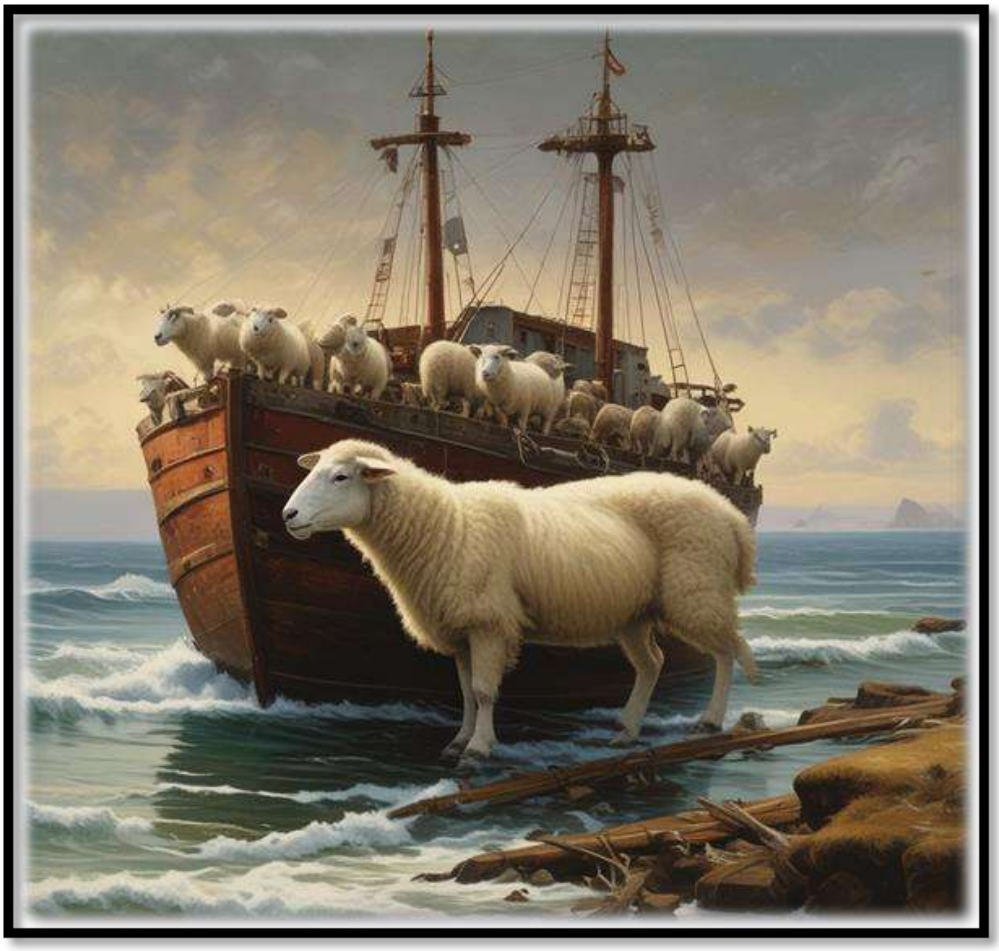

= تبع أحد الخرفان قائده بشكل غريزي بدون تفكير و ألقى بنفسه من سطح السفينة ليلقى نفس مصيره من

الغرق، ثم لحق به الثاني فالثالث فالرابع وسط ذهول التاجر وصدمته، وفي تصرف صادم اصطفت الخرفان الباقية في طابور مهيب لتلقي بنفسها إلى الغرق، غير واعية للمصير المهلك الذي ينتظرها..

= رهيب !! و ماذا فعل التاجر دندونو ؟

= جن جنونه بالطبع، و فشلت كل محاولاته في منع القطيع من القفز إلى الماء، فقد كان القطيع يتصرف حسب غريزة لا يمكن مقاومتها، ولا منعها، وبدافع قوي من الجشع اندفع دندونو محاولاً الإمساك بآخر الخرفان الأحياء أملاً في إنقاذ و لو جزء بسيط من قطيعه ، إلا أن الخروف كان مصراً على الانسياق وراء قطيعه، فقفز إلى البحر جارّاً دندونو معه ليغرق الأخير و قطيعه معاً في البحر ..

ضحك الصديق من قلبه ..

= ياه .. يا لها من قصة طريفة و مليئة بالعبر ..

= أجل إنها كذلك ، و تثبت لك قوة تأثير القطيع على كل فرد من أفراده ..

*****

فلسفة القطيع ..

فلسفة يُتهم البشر حول العالم بشكل عام بأنهم يميلون لاتباعها في قراراتهم و تصرفاتهم المختلفة ،فيسيروا

كالمنومين مغناطيسياً خلف رأي الجماعة و الأكثرية أياً كانت درجة صحته أو منطقيته و مهما كانت نتيجته و عاقبته .. فهل هذه التهمة صحيحة بالفعل ؟ أم أنها مغالطة جديدة تنضم إلى واحة مغالطاتنا لتحمل عنوان (**خرفان بانورج**) !!

هذا ما سنحاول تحليله عبر الصفحات القادمة بمقاربة مغالطتنا من **4** زوايا هامة و شيقة:

① **مفهوم سياسة القطيع ..**

② **الأسباب الكامنة خلف سياسة القطيع ..**

③ **مزايا و عيوب سياسة القطيع ..**

④ **بروتوكول الخروج من القطيع ؟ ..**

على أمل أن نصل إلى نتيجة مقبولة و مرضية في هذا الصدد ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نحلق خارج السرب بأن نحتكم إلى العقل لا إلى القطيع فنكتشف سوياً مدى تأثير هذه الفلسفة علينا و على البشر من حولنا ..

أولاً ، مفهوم سياسة القطيع :

فلسفة القطيع هي سلوك تنتهجه أنواع كثيرة من الحيوانات بالتجمع ضمن قطعان أو أسراب بغية حماية نفسها بالوحدة ، مما يمنحها بالتالي الشعور

بالقوة و الاطمئنان .. لكنه ينطوي على كارثة خفية و هي إلغاء التفكير المنطقي الفردي أو الإبداع الذاتي و الاكتفاء بالدوران في فلك القطيع باستمرار ..

و هذا السلوك نجده أيضاً عند البشر بالميل إلى التحزب أو التكتل في جماعات لنفس الغايات .. و لفلسفة القطيع وجه آخر خطير و هو تقليد و محاكاة الفرد لسلوك الجماعة (الديني ، الاجتماعي ، الفكري ، الاقتصادي ، الفني .....) دون تفكير أو تميز فردي يطور من هذه الجماعة مع الزمن ..

و في الواقع تبدأ صناعة القطيع البشري منذ الصغر، بوأد أسئلة الصغار وتخويفهم من التفكير خارج الصندوق، حيث نلاحقهم بتعليقات مثل: **عيب، حرام،**

لا تسأل..، وهكذا، يُحرمون من الاستفسار والتفكير الحر، يتعلمون الخوف من البوح، ويتدربون على الانسياق في مستقبلهم وراء أول قطيع يستقطبهم ..

ثانياً ، الأسباب الكامنة خلف سياسة القطيع :

❁ الشعور بالأمان :

فأن تكون ضمن جماعة أكثر أماناً لك بكثير من أن تكون بمفردك لا سيما إن وضعك ذلك في مواجهة تلك الجماعة .. و لهذا السبب نجد البشر يميلون إلى التكتل و التحزب عقائدياً أو سياسياً أو فكرياً .... و هذا الشعور بالأمان في الحقيقة يجعل الفرد يخسر مقابله مجموعة هائلة من الامتيازات الأخرى الخفية كضريبة مباشرة لسلوك سياسة القطيع كما سنجد بعد قليل ..

❁ المحاكاة الاجتماعية :

بحسب تحليل الأستاذ بجامعة بنسلفانيا **جون برجر** ، فإنّ المحاكاة الاجتماعية نكتسبها من البيئة حيث نتعلّم في سن مبكرة أن نتبع خطى مجموعتنا ونشعر بالحاجة

للانضمام إليها **حماية لنا من الاستبعاد**، حيث أنّ ذلك يجعلنا نبدو اجتماعيين ويعطينا شعورا بالراحة ، و في تجربة طريفة تثبت هذه الفكرة أجراها باحثون ، فقد تم إطلاق نغمة معينة في صالة انتظار إحدى العيادات ليقف بعدها الجميع حسب اتفاق مسبق، مما يلفت انتباه الشخصية المستهدفة بالاختبار و التي تجهله، فتضطر لمجاراة الآخرين وتقف بعد التنبيه دون أن تعرف سبباً لذلك.

وتظل تقف عند سماع النغمة حتى بعد أن تصبح بمفردها، بل إنها تحث الزائر الجديد على فعل المثل، و عندما يسألها: لماذا تقفين؟ تجيب ببساطة: لأن هذا ما يفعله الجميع !!

و هذا ببساطة هو ملخص المحاكاة الاجتماعية بتقليد الآخرين و سلوكهم الاجتماعي دون تفكير أو سؤال ..

❁ تجنب النقد و السخرية :

فالإنسان قد يسلك مساراً خاطئاً كمجاراة للآخرين و

هو يعلم بأنه خاطئ ، فقط من أجل تجنب نقد الآخرين له و سخريتهم منه ، و في تجربة أجراها عالم النفس الاجتماعي الأميركي **سليمان آش** ، فقد عرض صورة لعمود ، ثم طلب من المشاركين اختيار العمود المطابق له من مجموعة تحتوي على ثلاثة أعمدة بأطوال مختلفة.

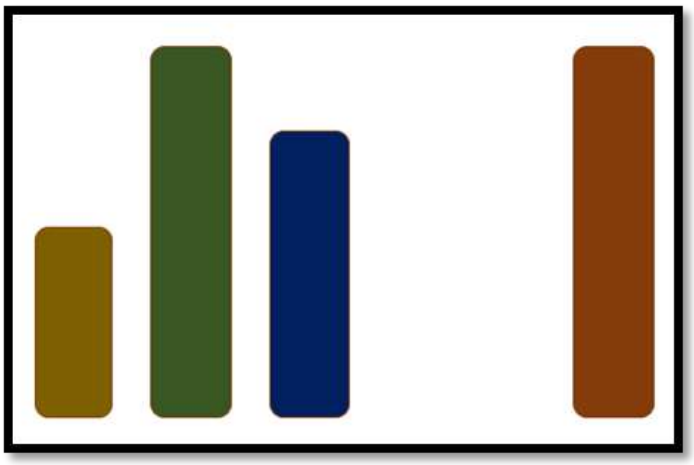

و قد اختار أغلب المشاركين في التجربة خيارات غير صحيحة ، وعندما سُئلوا عن سبب مجاراتهم لبقية المجموعة في خياراتهم الخاطئة ، أجابوا بأنهم كانوا يعرفون أنها غير صحيحة لكن ظنوا أن في الأمر خدعة ما ، لذلك لم يرغبوا بالمخاطرة بتعريض أنفسهم للسخرية أو الظهور بمظهر أقل ذكاءً.

❁ العقل الجمعيّ :

و نجد هذا العامل في التظاهرات الاجتماعية كحال الاعتصامات أو الشعارات أو التصفيق في المسارح أو انتشار موضة الملابس أو انتشار أغنية معينة و غيرها،

بمعنى أن الفرد يحاكي الجماعة غريزياً من باب أنهم بلا شك يعرفون ماذا يفعلون بسبب عددهم الأكبر .. كما يقول المثل الشعبي : (**من دخل بين العوران عور عينه**) ، و أيضاً : (**عندما تكون في روما، افعل كما يفعل أهل روما**) ..

❁ القدوة و المثل الأعلى :

فعادةً ما يميل الناس في الطبقات الأدنى من المجتمع (مادياً أو ثقافياً أو سلطة أو جاه ...) إلى التأثر بسلوك الطبقات الأعلى إما من باب التشبه الغريزي بهم أو من

باب الثقة العمياء بهم كونهم أعلى درجات منهم ، و بالطبع كثيراً ما يكون ذلك غير صحيح .. فربّ إنسان أمّي أفهم و أوعى من حملة شهادات عليا كثيرة ..

❁ الارتياح من اتخاذ القرارات المصيرية :

ففي الحوادث أو الإشكاليات العويصة يميل عامة الناس إلى تجنب اتخاذ القرار الحاسم كي لا يتحملوا تبعاته من نقد أو ندم .. لذا يميلون إلى السير وراء قرارات الآخرين كي يرفعوا عن أنفسهم عبء التفكير أو المسؤولية ..

ثالثاً ، مزايا و عيوب سياسة القطيع :

❁ المزايا :

- الشعور بالانتماء ..
- الشعور بالثقة و الأمان ..

- التعاضد في الأزمات و الملمات ..
- قوة بالوحدة و الكثرة ..

❁ العيوب :

- القضاء على التميز الفردي الذي يعتبر أغلى هبة للإنسان تميزه عن غيره و تجعله جوهرة نفيسة في طوق الحياة ، كما يقول الأديب الروسي **دوستويفسكي**:

(لا ينبغي للإنسان أن يشبه جمهرة الناس، كن مختلفاً حتى و إن بقيت وحيداً)

- غياب الحلول الخلاقة باتباع حل وحيد يفرضه القطيع ..
- فناء القطيع برمته في حال اتخاذ قرارات خاطئة ..
- الانجرار بسهولة إلى المشاكل و الشغب إن تولى زعامة القطيع شخص أرعن أو فاسد أو انتهازي .. كما يقول الروائي الفرنسي **ستندال**:

(يحاول الراعي دائماً إقناع الخراف بأن مصلحته ومصالحها واحدة)

و بذلك تنقاد الخراف خلف الراعي طمعاً في المأكل

والشعور بالأمان وسط الجموع ولا تنتبه لتناقص عددها المستمر بقتلها تدريجياً واحداً تلو الآخر ..

رابعاً ، بروتوكول الخروج من القطيع :

كي تحلق خارج سرب المعتاد و المتوارث عليك اتباع البروتوكول التالي :

- **اقرأ كثيراً و ثقف نفسك** ، فالثقافة سد منيع يحميك من الانجرار الأعمى وراء القطيع .. و الكتاب هو مفتاح أصفادك الذي يحررك منه ..
- **كن نفسك و لا تشبه أحداً** ، فأنت تعيش مرة واحدة، لذا افعل ما تثق أنه الصواب و ركز على مزاياك الفريدة التي تجعلك كياناً مختلفاً لا يشبه الآخرين ..

❁ **لا تتأثر بالأكاذيب المتكررة** فهي طعم يقودك دون أن تدري إلى مسار القطيع ، كما يقول **لينين:**

(تصبح الكذبة حقيقة إذا تكررت بما فيه الكفاية)

❁ **تجاهل رأي الآخرين في شخصك** ولا تبحث عن رضاهم ، فالمهم هو قناعاتك الشخصية ..

❁ **أعد النظر في معتقداتك بين الآونة و الأخرى** تبعاً لتطور معرفتك و خبرتك، فذلك إيجابي على الدوام ،فإما أن تزداد ثقة بما تؤمن به، أو ستجد ما هو أفضل منه لتتبناه.

❁ **لا تتوقف عن التعلم و التجربة،** فالأخطاء تعلمك والنجاح يؤكد لك أنك على الطريق الصحيح.

❁ **كن عصياً على الإغراءات والتهديدات..** ولا تسمح لأحد بجذبك إلى القطيع لا بعصا ولا بجزرة ..

❁ **احذر من التضليل،** فقد يحذرك أحدهم من الانضمام لقطيع ليجذبك إلى قطيع آخر، كما يقول **نيتشه:**

(وأنت تخوض حرباً للتحرر من قطيع، احذر من الانضمام لقطيع آخر دون أن تشعر)

❁ **حذاري من وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة ،** فهي حاضنة لتفريخ القطعان، و تجعلك تنساق وراء رأي الجماعة دون أن تشعر ، فتحب ما يحبون و

تبغض ما يبغضون دون أن تعرف لماذا ؟.

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**خرفان بانورج**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا أعشق القطيع فهو يمدني بالقوة و الأمان و يوفر عليّ إرهاق التفكير و تحمل المسؤولية ..

بل أن نقول :

= للانتماء إلى القطيع جانب إيجابي لكن لحدود معينة ، فلا تفقد تميزك أو قرارك الذاتي النهائي الحاسم ، لأنه في حال تولى زمام القطيع شخص انتهازي أو أرعن أو جاهل فسيقود القطيع برمته إلى الهاوية بمن فيهم أنت .. و تميزك نعمة إلهية أبرزها و افتخر بها و لا تتركها تتلاشى في فضاء القطيع فيصبح الجميع نسخة عن بعضهم ..

بدأنا مغالطتنا بقصة خرفان بانورج الطريفة و سننهيها بقصة طريفة أخرى من وحي فلسفة القطيع أيضاً ، و هي قصة شهيرة للغاية تتحدث عن الملك المغرور مع الخياطين الدهاة و الطفل الجريء .. و قد نشرها الكاتب الدنماركي **هانس كريستيان أندرسن** عام **1837** و خلاصتها تقول :

((تمكن شابان مخادعان من إقناع ملك مغرور بأنهما خياطان بارعان و سيخيطان له أجمل ثوب في الممالك كلها مقابل ثروة من النقود ، لكنهما في الحقيقة لا يحيكان أي شيء ، بل يقنعان الملك بأن هنالك على الكرسي الثوب المنجز لكن لا يراه إلا الأذكياء فقط ، و كي لا يظهر الملك نفسه بمظهر الغبي ادعى أنه يراه ، بل أثنى عليه و تظاهر بأنه يجربه ..

ارتدى الملك الثوب الوهمي في يوم الاحتفال و جال في مملكته عارياً بين الشعب الذي لم يجرؤ أحد منهم على تنبيهه بأنه عارٍ لاسيما بعد انتشار سمعة الثوب الذي لا يراه إلا الأذكياء كتجسيد حرفي لفلسفة القطيع ، حتى تجرأ طفل صغير في النهاية على التحليق خارج السرب و كسر نمطية القطيع و صاح منبهاً الملك :

(أنت عارٍ أيها الملك ، أين هي ثيابك ؟!)

ليعري الملك و شعبه كله من ثوب القطيع الذي اعتادوا على ارتدائه لسنين طوال ..!!))

المغالطات السائدة في المجتمع هي بحد ذاتها شكل من أشكال الانسياق وراء القطيع ، و نأمل أن يكون جهدنا المتواضع في سلسلة مغالطاتنا هذه تحطيماً لهذه القيود تمكن كثيرين من التحليق بعقولهم خارج السرب و رؤية مختلف المفاهيم من زوايا جديدة ..

مغالطة امبراطورية

الجسد

(الغلبة الإله)

مصر / القاهرة

2049 م...

مرت عدة أشهر على المناظرة التي جمعت بين البروفيسور **برهان عبد القدوس 73** عاماً الذي دافع فيها عن عقيدة التوحيد عند الفراعنة و عرابها أخناتون و بين الناشطة السياسية **إيزيس عجيل 52** التي مجّدت تعدد الآلهة الفرعونية و أحيت النزعة الفرعونية عند الشباب المصري على حساب الانتماء العربي .. في حين وازن البروفيسور برهان بينهما ..

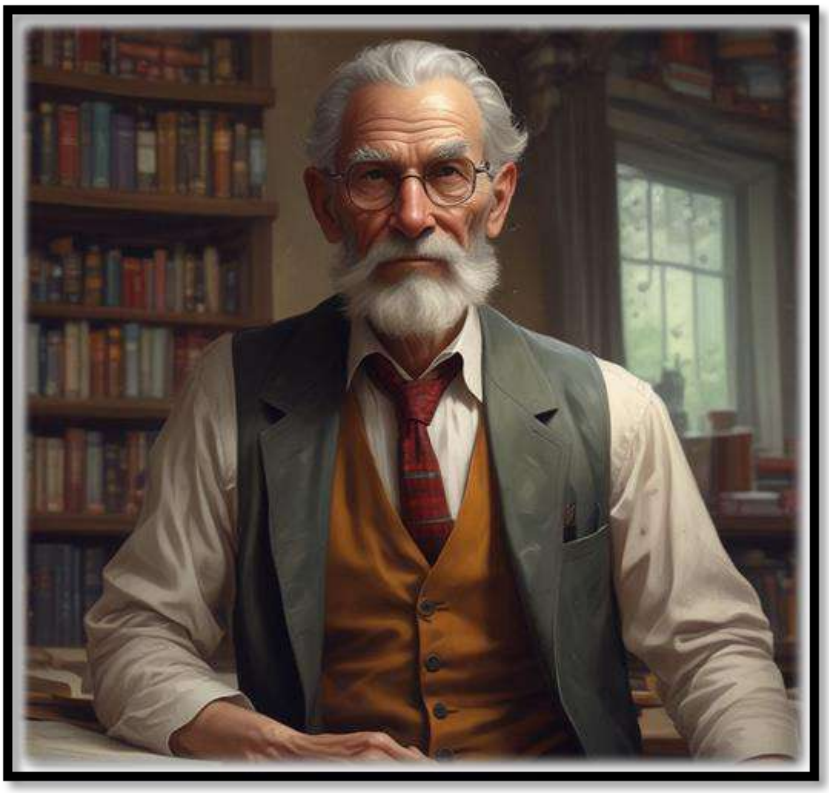

و مع مناقشة خطاب البروفيسور بشكل مكثف على التلفاز و على مواقع التواصل الاجتماعي .. بدأ يتكون

توجه عام عند الشباب نحو الإيمان بالطبيعة التوحيدية للفراعنة.. و بوجود إله واحد مرسل لجميع الديانات .. بفضل الأدلة الدامغة التي قدمها البروفيسور و التي أكدت أنه مهما اختلفت الآثار الدينية في طبيعتها فقد نحتت بيد إله واحد خالق كل شيء و بأن ما انزاح عن هذا الخط و النسق عبر التاريخ ما هو إلا تشويه و تحريف انصياعاً لمصالح الحكام و الكهنة في كل زمان و مكان .. لذا بدأت حركة مضادة معاكسة بانسحاب جماعي للشباب من حركة حتهرت التي تتزعمها إيزيس .. حتى اضطرت إيزيس بعدها إلى حل حركتها كما تحل يد طفل عبثية شبكة عنكبوت متقنة الصنع في غمضة عين، بعد أن انفض جميع الشباب من حولها و قام غالبيتهم بمهاجمة مبادئها و الدفاع عن مبادئ البروفيسور .. فكما يقول **نابليون بونابارت** :

(الكذب لا يفيد شيئاً فهو لا يخدع إلا مرة واحدة)

لكن للأسف و بعد عام من تلك المناظرة ، ساءت حالة البروفيسور كثيراً بسبب مرض باركنسون الذي يعاني منه ،و رغم خضوعه للعلاج الدوائي المكثف فقد تفاقمت حالته أكثر.. فأصبح رجفان يديه شديداً .. و بدأ يعاني من صعوبة حقيقية في الحركة و من تيبس عضلاته .. و أصبح وجهه جامداً بلا تعابير و كأنه يضع قناعاً يخفي خلفه آلام عمره و جراحه فيواجه نكبات الزمن و غدره بوجه صامت قنوع .. هكذا

أصبح الإنسان الذي غير في مشاعر الشعب و عزف على أوتاره أجمل ألحان الحياة ما بين الألم و الحزن .. الغضب و الثورة .. الفرح و الأمل و التفاؤل .. عاجزاً عن التعبير عن مشاعره على وجهه .. كم هي الحياة قاسية في أحيان كثيرة و ساخرة أيضاً في أحيان أخرى ..؟!

في زمن الإعلام الإلكتروني و التواصل الاجتماعي الافتراضي انتشرت أخبار مرض البروفيسور سريعاً في مصر ثم في الوطن العربي بسبب شهرته الطارئة منذ عامين على خلفية المناظرة و نجاحه في حل حركة كانت تسعى لتغيير دور مصر العربي المحوري .. و قد تعاطف الجميع معه بشكل لا يوصف .. مقدمين كل أشكال الدعم المعنوي و النفسي له في معركته الهوجاء مع المرض اللعين و في مقدمتهم ابنه الوحيد السيد حسام (حيث أن زوجته الراحلة نجاة اضطرت بعد ولادة حسام إلى استئصال الرحم بسبب نزيف غزير على خلفية **مشيمة مندخلة** و هو اضطراب في ارتباط المشيمية بالرحم)و حفيداته و بالأخص الصغرى ماريا (**18** سنة) الأقرب إلى قلبه و التي كانت بدورها مولعة بجدها و بأفكاره و قد هدها الحزن و الألم بسبب تدهور حالته الصحية الذي يدمي القلب و العين ..

هذه هي الكارما بلا شك .. ما تنفع به الناس سيرتد عليك نفعاً من كل حدب و صوب .. و أجمل ما في

الكارما أنها تفاجئك دائماً حينما تستسلم و تظن أن الموضوع قد حسم و انتهى بك المطاف عند حائط مسدود مكتوف الأيدي لتفتح لك أبواباً جديدة في حائط من فولاذ الصعاب لم تكن تتجرأ حتى على مجرد التفكير فيها .. و هذه من أوجه الحياة المشرقة التي تطرق بابك على حين غرة لتبتسم لك و تأخذ بيدك بحنو الأمهات .. و من هذه المفاجآت التي لا تنتهي هو تلقي البروفيسور برهان في أحد الأيام الصيفية الحارة للغاية التي تبتز صبرك حتى آخر قطرة عرق منك اتصالاً هاتفيا مفاجئاً من شخص غريب عليه كان كالنسيم العليل الذي عبر حنايا منزله و انسل إلى أعماق قلبه ..

● الشخص : مساء الخير حضرة البروفيسور .. معك عبد الله من الإمارات العربية المتحدة ..

○ برهان و هاتفه يهتز في يده : مساء النور .. أهلا بك سيد عبد الله .. كيف أخدمك ؟

● عبد الله : في الحقيقة أنا من يريد خدمتك .. إن أذنت لي ..

○ برهان : تخدمني .. بماذا ؟

● عبد الله : أنا من أشد المعجبين بثقافتك و عروبتك .. و وصلني خبر اشتداد مرضك .. لذا أتصل بك الآن لأعرض عليك علاجاً نهائياً لحالتك .. و أنا بحكم

عملي كرجل أعمال شخص ثري جداً و سأتكفل بجميع تكاليف العلاج .. فهل تتكرم علي بالموافقة ؟

○ برهان بتفاؤل طاغ : شكرا لك سيد عبد الله .. هذا تصرف نبيل من حضرتك .. لقد فاجأتني بالفعل .. ما هو هذا العلاج السحري ؟ لقد تعاطيت جميع صنوف الأدوية المتاحة و رغم ذلك تفاقم المرض علي و فارقت صحتي جسدي كما يهرب النوم من عيون طفل جائع سرق كسرة خبز ليسد رمقه بها فخال نفسه أعتى المجرمين ..

● عبد الله مبتسماً : إنه العلاج بالخلايا الجذعية .. فيالحقيقة لدي طفلة اسمها نسمة بعمر **14** سنة تعرضت لحادث سير و هي بعمر **7** سنوات سبب لها شللاً سفلياً و عجزت عن الحركة بعده .. و بعد أشهر من اليأس و التسليم بما حدث كقدر لا مهرب منه و لا مغير له .. عرض علينا أحد الأطباء تجريب العلاج بالخلايا الجذعية كملاذ أخير.. و لم يكن هنالك ما نخسره فسلكنا الطريق إلى منتهاه و قد نجح العلاج بالفعل نجاحاً باهراً، فبدأت نسمة تحرك قدميها قليلاً ثم بعد عام استطاعت المشي بعكازين و اليوم تركض بشكل طبيعي كمعجزة حقيقية ..

○ برهان : مدهش ، و هل يفيدني هذا العلاج بدوري؟

● عبد الله : لقد تواصلت مع مركز العلاج الذي تعاملنا معه في مدينة ليون الفرنسية و أخبروني أن الخلايا الجذعية فعالة جداً لعلاج داء باركنسون بشكل سحري ○ برهان : و كم تكلفة هذا العلاج ؟

● عبد الله : هنالك علاج قديم بتكلفة **100** ألف دولار ، و هنالك علاج حديث مدعم بعوامل نمو و تمايز جديدة الاكتشاف بتكلفة **250** ألف دولار .. و أنا أعرف أن وضعك المادي لا يسمح لك بدفع هكذا مبلغ.. فهكذا الشرفاء في بلدان العالم الثالث للأسف يكدحون و يقدمون كل ما في جعبتهم خدمة لأوطانهم بدون مقابل.. في حين يقف الوطن مكتوف اليدين أمام نكباتهم و هو يبتسم ساخراً ، قائلاً بلا خجل أو حياء : هل من مزيد ؟

○ برهان : لقد أخجلتني بالفعل بتواضعك و لهفتك و محبتك .. لقد بلغ مني اليأس أشده و أنهش أنيابه في عزيمتي .. لذا انا اوافق على تجربة هذا العلاج إذ لا شيء لدي لأخسره لكن بشرط وحيد .. أن تعتبر هذا المبلغ ديناً علي أرده لك متى ما استطعت أنا أو أولادي

● عبد الله : موافق .. سأرسل لك فيزا خاصة إلى الإمارات مع حجز الطائرة على بريدك الالكتروني .. تطبعها و تسافر بها إلى دبي .. و تنزل ضيفاً عندي

ليومين ثم نسافر سوياً إلى ليون للعلاج ..

○ برهان : أشكرك مجدداً .. و سيصحبني ابني السيد حسام في رحلة العلاج هذه ...

● عبد الله : بل أنا من يشكرك بروفيسور .. العرب أخوة .. و لا تصدق مقدار سعادتي بموافقتك .. لقد منحتني فرصة لرد الدين إلى قدرٍ كان رحيماً بي للغاية بأفضل صورة ممكنة و ذلك بمساعدة قامة من قامات وطننا العربي و هرم رابع من أهرامات مصر بثقافته و تواضعه..

*****

فرنسا / ليون ...

بعد **3** أيام في الإمارات العربية المتحدة و بعد أن ارتاح برهان و ابنه حسام من عناء السفر و تعرفا على عائلة السيد عبد الله .. سافرا بمرافقته إلى مدينة ليون الفرنسية التي يعرفها البروفيسور برهان جيداً فهي موقع أثري مذهل سافر منذ قرون خلت من روما خاطاً طريقه في أوروبا ليحط رحاله قرب مصب **نهر الرون** في البحر الأبيض المتوسط ليصبح عاصمة لبلاد الغال القديمة ويعتبر في الوقت الحاضر أقدم موقع أثري روماني بعد روما ذاتها ، و ليون تتوسط الجغرافيا الفرنسية بين أكبر مدينتين فرنسيتين **باريس**

و **مرسيليا** و ذات أهمية ثقافية و أثرية تفوقهما معاً ..

نزلوا في الفندق الذي حجزه عبد الله لمدة أسبوع .. و في اليوم الأول لهم قام عبد الله بأخذهم في جولة سياحية في المدينة التي يعرفها جيداً من قبل و التي تعرف بأنها عاصمة الطعام الفرنسية لكثرة المطاعم فيها و خبرة الطهو العالية لطهاتها ، كما عرفهما أكثر بمعالمها الأثرية الشامخة .. و عرفا من خلاله معلومة جديدة عليهما بأن ليون هي مقر الإنتربول الدولي في العالم ..

في اليوم التالي توجهوا إلى مشفى ليون البروتستانتي للعلاج بالخلايا الجذعية ذلك المشفى الشهير الذي تأسس عام **1844** و القاطن في **حي كالوير إت كوير** أحد أكبر أحياء أوروبا في العصور الوسطى ويعود تاريخه إلى القرن **15**...

كانت الطبيبة المشرفة على علاج البروفيسور برهان من أصل جزائري و اسمها **غالية الزاوي 49** سنة .. التي تعرفت مباشرة على البروفيسور و رحبت به خير ترحيب ..

○ غالية: أهلا بك بروفيسور .. يشرفني أن أشرف على علاجك بنفسي ..

● برهان : أهلا بك .. أخجلتني فعلا دكتورة .. أنت

جزائرية إذاً !؟

○ غالية : جزائرية فرنسية لأكون أكثر دقة ..

● برهان : إن الحياة فيها من الغرائب ما يثير الدهشة ، كيف يمكن للزمن أن يدور فتعتنق الضحية عقيدة جلادها..!؟

ابتسمت غالية ..

○ غالية: أنت محق بروفيسور .. لكن هذه هي الحياة لا تقوم قائمتها إلا بالتسامح و الغفران و طي صفحات الماضي القاتمة السواد و حرقها إن أمكن .. و فتح صفحات بيضاء جديدة من النور كمحاولة لبلسمة جراح الزمن ..

قد يدهشك بروفيسور أنني أنحدر من أجداد كانوا في الصفوف الأمامية من النضال الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و قدمت عائلتي لوحدها عشرات الشهداء في حرب المليون شهيد .. و ها هي فرنسا نفسها التي يتمتني و أجدادي ذات مرة تمد يدها إلي بخجل و حياء كمحاولة لطلب الصفح بمنحي علماً و تخصصاً أخدم به بلدي و بلدان العالم الأخرى .. فبالمحصلة يجب أن نسامح و نمضي قدماً بروفيسور و أن نرى الوجه المنير للقمر و النصف المليء من الكأس و نضع وردة على قبور الماضي و وردة في زفة الحاضر و المستقبل ، فنبش القبور لن يفيدنا بشيء .. و بذلك فقط نعالج آلام الماضي بالغفران كما تعالج الخلايا الجذعية آلام المرضى اليائسين.. بالمناسبة هل اطلعت على مبدأ عملها .. أم تفضل أن أشرح لك عنها أكثر ؟

● برهان : بالطبع اطلعت .. لكن أن ينهل الإنسان من النبع الأصل خير له من أن يشرب من الساقية المتفرعة .. فهل تكرمت عليّ بالشرح عن ماهية الخلايا الجذعية بالضبط ؟

○ غالية: بالطبع .. هي خلايا لا وظيفة محددة لها كأنها ملك جالس على عرشه يتأمل مملكته بحرص و ترقب ، لكنها قادرة على التمايز و التحول إلى أي نمط خلوي آخر كالخلايا العصبية و الدموية و الكبدية

و غيرها .. لتحل محل الخلايا التالفة و تعوضها بخلايا جديدة ..

● برهان : أي أن الملك على عرشه يعالج مشاكل دولته و شعبه متى وقعت ..

○ غالية مبتسمة : تماماً .. و لذلك دعيت الخلية الجذعية **بالخلية الإله** .. لأنه كما الله تعالى قادر على خلق كل شيء .. هذه الخلايا قادرة على خلق أي نموذج خلوي آخر ..

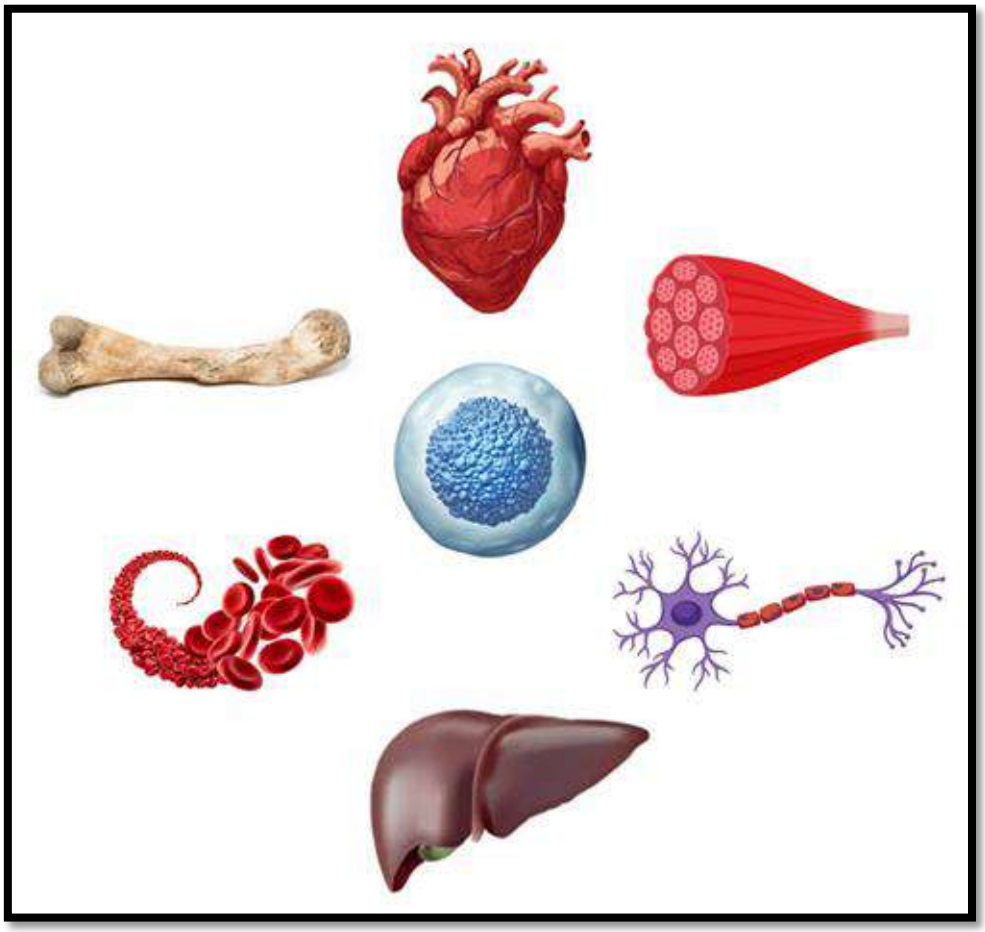

● برهان : أي كما ينفخ الله من روحه في الكائنات .. تنفخ الخلية الجذعية من روحها في الخلايا التالفة أيا

كان نوعها فتحييها من جديد بعد موتها كقيامة حقيقية لها..

○ غالية: بالضبط بروفيسور .. تشبيه دقيق و ملائم ..

● برهان : لقد قرأت أن لهذه الخلايا عدة أنواع و ليس نوعاً واحداً .. صحيح ؟

○ غالية: بالفعل هنالك **4** أنواع للخلايا الجذعية .

❁ **الخلايا الجذعية مكتملة القدرة** و هي تتمايز إلى أي نمط خلوي ..

❁ **الخلايا الجذعية متعددة القدرات** و هي تتمايز إلى أنماط خلوية عديدة..

❁ **الخلايا الجذعية محدودة القدرات** و هي تتمايز إلى أنماط خلوية قليلة ..

❁ **الخلايا الجذعية وحيدة القدرة** و هي تتمايز إلى نمط خلوي وحيد ..

● برهان : مذهل إنه كالتسلسل الإداري في الدولة .. أو كالتسلسل الروحي من إله إلى أنبياء إلى قديسين إلى أولياء صالحين ثم إلى عامة الناس .. و الله هو الخلية الجذعية كاملة القدرة كبذرة تنشأ منها شجرة الحياة و ثمارها نحن البشر ..

○ غالية : تشبيه بليغ بدوره و فريد من نوعه ..

صدقت .. فالخلية الجذعية لم تسمَّ الخلية الإله عن عبث ..

● برهان : و متى سأبدأ بالتعافي و التحسن ..؟

○ غالية: ستلاحظ بدايات التحسن بعد فترة قصيرة .. لكن الوقت المقدر لتراجع الأعراض من الرجفان و الصمل العضلي تماماً هو أشهر إلى سنوات قليلة في أسوأ الحالات .. لكن لا تقلق بروفيسور .. فقد أثبتت التجارب أن مرض باركنسون من أكثر الأمراض المستجيبة للعلاج بالخلايا الجذعية .. فهو بالنهاية ضمور الخلايا الدوباميينية في النوى القاعدية للدماغ و الخلايا الجذعية ستعوضها بالكامل .. لتعود النوى القاعدية لعملها الطبيعي ..

● برهان مبتسماً بصعوبة بسبب تجمد وجهه على خلفية المرض : من سخرية القدر أن العادة السلبية الوحيدة في حياتي و هي التدخين يقال عنها – بحسب ما قرأت - أن لها فائدة إيجابية وحيدة و هي الوقاية من مرض باركنسون .. لكنني خالفت جميع التوقعات و أصبت به .. على كل حال أثق بك و بكلامك حضرة الطبيبة ..

○ غالية مبتسمة : لكن الحظ إلى جانبك بروفيسور .. فالعلم تطور كثيراً و بات هنالك علاج نهائي لمرض باركنسون .. تذكر فقط أن ملايين الناس عانوا من

المرض و تبعاته لعقود دون علاج و منهم مشاهير تعرفهم كالبابا **يوحنا الثاني** و بطل الملاكمة **محمد علي كلاي** و الرئيس الأمريكي **هاري ترومان** و الفنان الكبير الرسام **سلفادور دالي** .. و غيرهم كثيرون وضع المرض عائقاً كبيراً أمام تنفيذ مهامهم بكفاءة ..

● برهان : معك حق .. الحمد لله على كل حال و سبحان الله على هذا الجسد البشري المذهل ، فالعلماء لا ينفكون يدهشوننا باكتشافاتهم الجديدة و الغريبة عنه

○ غالية : و نعم بالله .. مستعد بروفيسور للبداية ..

● برهان : على بركة الله لنبدأ العلاج ..

*****

العودة إلى مصر ...

بعد أيام قليلة من العلاج بدأت أعراض البروفيسور بالتحسن و بعد **6** أشهر زالت بالكامل .. ليعود إلى حياته الطبيعية من جديد .. مفعماً بالنشاط و الطاقة .. و قرر تأليف كتاب يروي فيه تجربته مع المرض و شفاءه منه .. داعياً الناس من خلاله إلى النضال في حياتهم و عدم الاستسلام أبداً .. من قال أنّ زمن المعجزات قد ولى .. المعجزات لا تموت بوجود الحيّ الذي لا يموت ، اصمد و قاتل و توكل على الله..

نجح الكتاب نجاحا منقطع النظير بحكم جودته و عمقه أفكاره و بحكم شهرة البروفيسور المسبقة .. و بيعت منه في العالم العربي ملايين النسخ .. و استطاع من خلاله البروفيسور إعادة مبلغ **250** الف دولار الذي منحه إياه السيد عبد الله بسهولة .. و شكره جزيل الشكر على كل شيء قدمه له ..

كان مرض جد ماريا الشديد ثم شفاؤه السحري منه دافعاً قويا لها لدراسة الطب بعد تخرجها من الثانوية العامة بتفوق ..

و كانت آخر عبارة في كتاب البروفيسور الجديد الذي اختار عنوانه (**الخلية الإله**) :

[و هكذا كانت الخلية الجذعية الإله تجسيدا حرفياً للآية القرآنية الكريمة :

(و إذا مرضت فهو يشفين)]

*****

في هذه القصة القصيرة تطرقنا لعدة نقاط متفرقة كالتوحيد عند الفراعنة القدماء ، و انتصار الكارما على الدوام ، و أنّ الدنيا لم تخلُ من الأوفياء بعد ، و أن الحياة كي تستمر بحاجة للتسامح و الغفران ، و أخيراً تحدثنا عن الخلايا الجذعية المذهلة كجزء بسيط من الجسد البشري الأعظم ، تحفة الرحمن الأجمل في

خلقه .. و هذا بالضبط هو جوهر مغالطتنا الجديدة (**امبراطورية الجسد**) ، التي سنحاول من خلالها إعادة الهيبة للجسد البشري المذهل ، بعد أن اعتاد عليه البشر لامتلاكهم إياه و تكراره بالمليارات حول العالم فتغافلوا عن إعجازه ، حتى غدوا يمجّدون روبوتاً صغيراً صنعوه بأجسادهم نفسها و نسوا الآلة الأعظم المعقدة و المتكاملة بلا غلطة التي صنعها الخالق و التي صنعت هذا الروبوت .. و سننجز ذلك عبر إلقاء الضوء على تحفة الرحمن هذه من زوايا مختلفة ، فهيا بنا عزيزي القارئ نتجول قليلاً في معرض الجسد البشري المعجز و نتأمل إبداعاته..

① **دولة الجسد** : من أعظم المعجزات في خلق الإنسان أنه بجسده يختزل بلاداً بحالها ، فتركيبة الجسد البشري أشبه بتركيب حكومات الدول و فيه من كل

الوزارات التي تخطر ببالك ، فمثلاً :

- **رئيس الجمهورية** : هو الدماغ الذي يحكم الجسد كله
- **وزارة الدفاع** : الجهاز المناعي لا سيما الأضداد و الكريات البيض الذي يحمي الجسم من الأعداء الخارجيين من ميكروبات و سرطانات ..
- **وزارة الخارجية** : الحواس الخمسة التي يتواصل بها الجسد مع الأجساد الأخرى و المحيط بشكل عام ..
- **وزارة الداخلية** : الغدد الصم التي تضبط سير أداء وظائف الجسد كله ..
- **وزارة الأوقاف** : الأنا العليا للنفس البشرية التي تعنى بالغيبيات و الأخلاق ..
- **وزارة الاقتصاد**: الجهاز التنفسي و الهضمي و البولي ، الذين يحددون ما يدخل و يخرج إلى ميزانية الجسد من غذاء و هواء و هما عصب الاقتصاد في الجسد ..

و قس على ذلك ، فستجد أن كل جهاز أو عضو في الجسد يمثل وزارة مستقلة بتوجه واضح و محدد ..

ليس ذلك فحسب ، بل إن تركيب الجسد أشبه بدولة فدرالية ، عاصمتها هي الدماغ ، و كل جهاز من أجهزة الجسم له إدارته الذاتية و قوانينه الخاصة ، لكن الجميع يبقى تحت سلطة العاصمة (الدماغ) .. و ضمن كل

جهاز مدن خاصة به (الأعضاء) التي تتكامل لتحقيق غايات الجهاز و وظائفه ، كما تتكامل الأجهزة معاً بما فيه خير الجسد كله و ازدهاره ..

و الجسد يخضع لكل ما تخضع له الدول أيضاً ، فهو يزدهر أحياناً و يمرض أحياناً أخرى ، يتعرض لانقلابات (أمراض المناعة الذاتية التي يهاجم فيها الجسد بعضه) ، و لاجتياحات (الإنتانات و السرطانات) ، و أي مشكلة في أي جهاز فيه ستنعكس على الجسد بأكمله ، لذا يستنفر بكليته لحلها ..و هكذا .. دولة كاملة متكاملة في هذا الجسد البشري الصغير !!

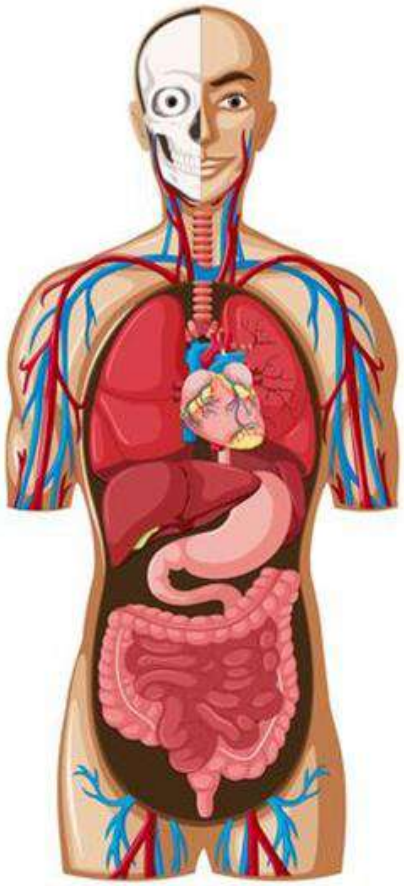

② **الأجيال المتعاقبة** : الجسد البشري بتكوينه يشبه

مسار البشرية ككل على سطح الكوكب أيضاً ، فكما أنّ الأجيال تتعاقب عليه بحيث أنّ كل جيل ينجز مهمته على الأرض ثم ينقضي تاركاً المجال لجيل جديد كي يخلفه ، كذلك حال خلايا الجسد البشري ، كل جيل من الخلايا يخدم الجسد و يطوره و يحافظ على بقائه حياً و قوياً ، ثم يموت هذا الجيل من الخلايا ليحل محله جيل جديد يتابع مسيرته ، كما يحدث في خلايا الجلد و بطانة الجهاز الهضمي ، و خلايا الدم و غيرها التي تتجدد جذرياً باستمرار كل فترة قليلة من الزمن .. و كما أن أجساد الأجيال التي سبقتنا شكلت أديم الأرض التي نعيش فوقها ، كذلك خلايا الأجيال السابقة للجسد البشري تشكل الهواء الذي يحيط بنا ، فأغلب جزيئات الغبار من حولنا هي مجرد خلايا بشرية متوسفة !!

③ **الدماغ الكوني** : في تجربة علمية مذهلة تفجّر العقل حرفياً ، قام كل من **فرانكو فازا** عالم الفيزياء الفلكية في جامعة بولونيا الإيطالية ، و **ألبرتو فيليتي** جراح الأعصاب في جامعة فيرونا الإيطالية بإجراء مقارنة بين الشبكة الكونية و الشبكة العصبية في الدماغ ، لتظهر لهما أوجه تشابه مفاجئة كثيرة بينهما ..

❁ الدماغ البشري يعمل بفضل شبكته العصبية الواسعة التي تحتوي على ما يقارب **100** مليار خلية عصبية، كذلك الأمر يتكون الكون المرئي من شبكة كونية من

100 مليار مجرة على الأقل ..

❁ داخل كال النظامين تتكون **% 30** فقط من كتلة الشبكتين من مجرات خلايا عصبية، في حين يتكون **% 70** من توزيع الكتلة من مكونات تلعب على ما يبدو دوراً سلبياً (الماء في الدماغ والمادة المظلمة في الكون المرئي)..

❁ ليس ذلك فحسب بل إنّ تراتب المجرات و الخلايا العصبية هو نفسه في الشبكتين ، عبارة عن خيوط طويلة مع عقد بين الخيوط ..

❁أخيراً تبين أن الكثافة الطيفية متشابهة بين الشبكتين

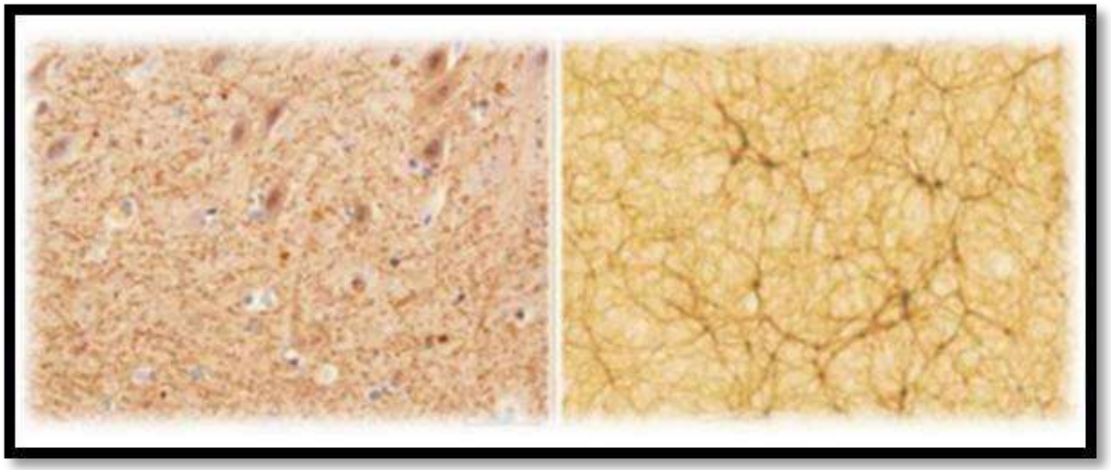

و كأنّ الكون برمته عبارة عن دماغ عملاق بحد ذاته أو أن الدماغ البشري يختزل الكون كله في تلافيفه **!!**

مما يذكرنا بالبيت الشعري الأيقوني للإمام **علي بن أبي طالب** و هو يخاطب الإنسان فيقول :

و تزعم أنك جرم صغير

و فيك انطوى العالم الأكبر

④ **بين المهد و اللحد** : من أوجه التشابه الأخرى بين الإنسان و الكون أنّ الإنسان يأتي إلى هذه الحياة ضمن حجرة مغلقة ضيقة (**الرحم**) عارياً لا يحمل معه أي شيء ، و يغادر الحياة كما أتاها في حجرة مغلقة ضيقة أخرى (**القبر**) عارياً لا يحمل معه شيئاً مجدداً ، كذلك الكون برمته بدأ من نقطة مفرطة الصغر و سيعود إلى نفس الهيئة مع انتهاء الحياة، كما وصف البارئ ذلك بالقول :

(**كما بدأنا أول خلقٍ نعيده**)

⑤ **أنت قارعت الملايين و انتصرت** : تذكر عزيزي القارئ قبل الحديث عن جسدك البشري

المعجزة بالأساس ، أنك حتى قبل أن تتكون كجسد قد خضت معركة ضروس للظفر بالملكة و صارعت فيها ملايين غيرك و انتصرت عليهم جميعاً ، و الشاهد على ذلك هو وجودك حياً الآن ، فأنت ببساطة بدأت من نطفة دخلت في معركة مع ملايين النطاف من أجل تلقيح البويضة الأنثوية و انتصرت عليهم جميعاً .. و لو أن أي نطفة أخرى هزمتك وحلت مكانك لما وجدت أنت كما أنت بالأساس .. لذا ارفع رأسك و اعتد بنفسك أيها المحارب المتوّج المغوار ، فأنت تستحق وجودك في الحياة ، إذ أنك صارعت حرفياً كي تأخذ مكانك بين بقية البشر على سطح الكوكب !!

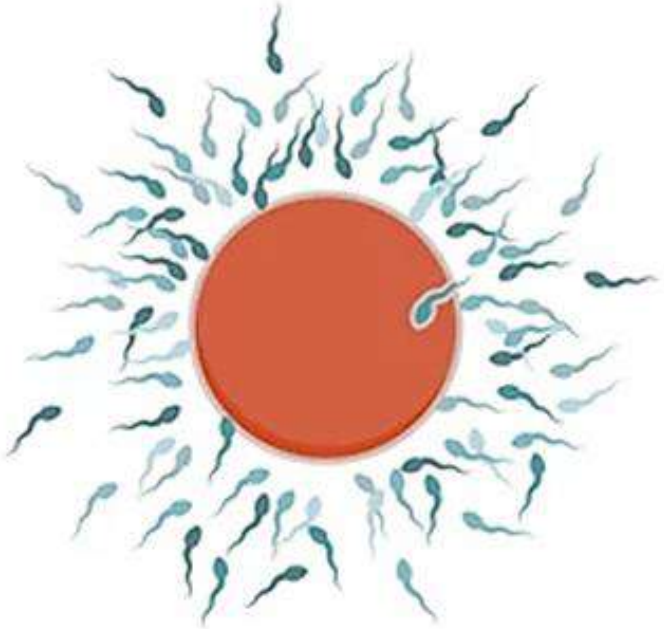

⑥ **الآلة الأعظم في الكون** : لا توجد آلة أو حتى مخلوق في الكون ينافس الجسد البشري في عظمة إمكانياته من حيث الوعي و القدرة على التفكير و

التخطيط و التنفيذ ، من حيث القدرة على التعلم و تعليم الآخرين .. من حيث القدرة على التطور باستمرار ، و حمل إرث الأجداد و نقله إلى الأحفاد .. و كل ذلك بفضل جسد متنوع الأعضاء و الأجهزة بتخصصات تشمل كل شيء من (التعلم و التفكير و التخطيط و التنفيذ) فتمكنه من الاكتشاف و الاختراع و ترويض كل شيء حرفياً من كائنات حية و جماد لخدمة الإنسان ، لذلك نجده قد بلغ أعماق المحيطات و قمم الجبال و اقتحم الفضاء ليرصد أجراماً في حدود هذا الكون الشاسع ، و لا يمكن لغير الإنسان أن يحقق ذلك .. و هذا إن دلّ على شيء فيدل على إعجاز خلق الجسم البشري من جهة ، و على تكريم الله لبني آدم من جهة أخرى ، إذ جعل الكون برمته مسخّراً بين يديه ..

⑦ **بصمة لا تتكرر** : كما أن بصمات الأصابع لا يمكن أن تتشابه بين إنسان و آخر ، كذلك الأجساد

البشرية ككل لا يمكن أن تتشابه تماماً بين الناس و حتى بين التوائم المتطابقة ، فإن كان هنالك تطابق في الهيئة الخارجية ، فإن ما يدور داخل الأجساد حكاية أخرى تماماً كبصمة فريدة لا تتشابه و لو بنسبة **1** بالمليار بين البشر .. فكل جسد يعمل وفق البيانات التي تدخل إليه من المحيط و التي تختلف جذرياً من إنسان لآخر ، ليكون كل جسد بشري بصمة فارقة في هذه الحياة رغم وجود مليارات الأجساد على سطح الكوكب ..

⑧ **ما وراء الجسد** : الجسد البشري ليس مجرد آلة فيزيائية إعجازية تعمل .. بل الأكثر إعجازاً أن هنالك لائحة طويلة من الماورائيات تقترن بهذه الآلة و لا يشاركها أي مخلوق بذلك ، من **الوعي** إلى **النفس البشرية** و غياهبها مروراً **بالأحلام** ثم **الخيال** و بالطبع **الروح** و أيضاً **المشاعر الإنسانية** المتنوعة و أخيراً **القدرات الخارقة للطبيعة لبعض البشر** من استبصار و قراءة أفكار و غيرها .. و كل ذلك ينطوي تحت

جناحي الجسد البشري أيضاً ..

⑨ **داخل هذه الآلة مليارات المصانع** : إذا انتقلنا قليلاً من البنية العامة للجسد البشري إلى البنية الجزيئية فيه ، فسنرى العجائب التي لا يمكن للعقل أن يستوعبها ، **فالخلية** عبارة عن مصنع حقيقي لإنتاج و استخدام عشرات المواد المتنوعة من **بروتينات و سكريات و دسم و فيتامينات و شوارد و حموض نووية DNA**..

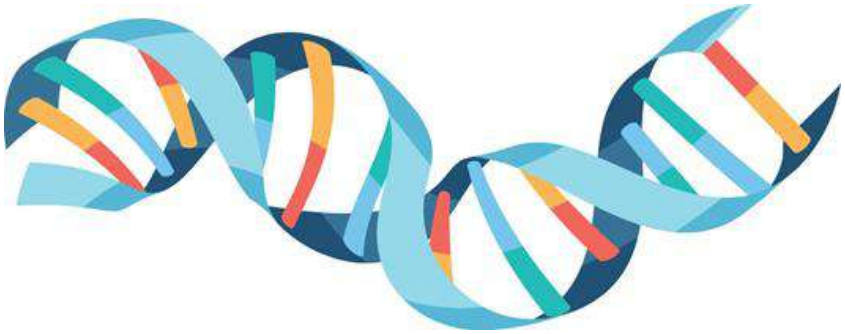

و في كل ثانية يتم إنجاز عدد مهول من العمليات الحيوية في خلايا الجسد ، من ترجمة جينات الحمض النووي **DNA** إلى صنع البروتينات ، أو استقلاب السكريات و الدسم ، أو التفاعلات الحيوية الكثيرة و المعقدة بتواسط الأنزيمات و الفيتامينات و الشوارد، إلى نقل الوسائط في الدم ثم تفاعلها مع مستقبلاتها في الخلايا كي تؤثر عليها ، و غيرها العشرات من العمليات الحيوية المتنوعة التي تنجَز مليارات المرات كل ثانية داخل الجسد البشري .. و إذا قارنا هذا التعقيد الحيوي بأعقد روبوت مخترع سيبدو هذا الروبوت كدمية قش يلهو بها طفل صغير.. و الأكثر إعجازاً في

كل هذا المصنع ، أنه يتم بدون أي خطأ رغم حدوث زليارات العمليات يومياً فيه ، و إن حدث خطأ ما يتم تصحيحه آنياً بفضل وجود أنظمة إصلاح متخصصة مذهلة لكل عملية منها ، و تخيل أن هذه الأمور تستمر معك مدى الحياة حتى آخر نفس لك ..

⑩ الجسد البشري من زاوية أخرى : إلى جانب

أجهزة الجسد المتنوعة التي تتكامل لتحقيق مصلحة الجسد ككل ، فإن هنالك أسراراً دفينة في الجسد تفجر العقل حرفياً، **كالخلايا الجذعية** (الخلية الإله) التي تحدثنا عنها في مطلع مغالطتنا ، و **التعديل الجيني** لجينات الإنسان الذي قد يشفي من أمراض أو يمنح قدرات خارقة كأبطال مارفل المشهورين أو أكثر كما هو متوقع.. و هنالك أيضاً الدراسات الواعدة **لتهكير العقل البشري** و معرفة خفاياه كلها مما يمكننا مستقبلاً من الاستفادة القصوى من إمكانياته غير المحدودة ..

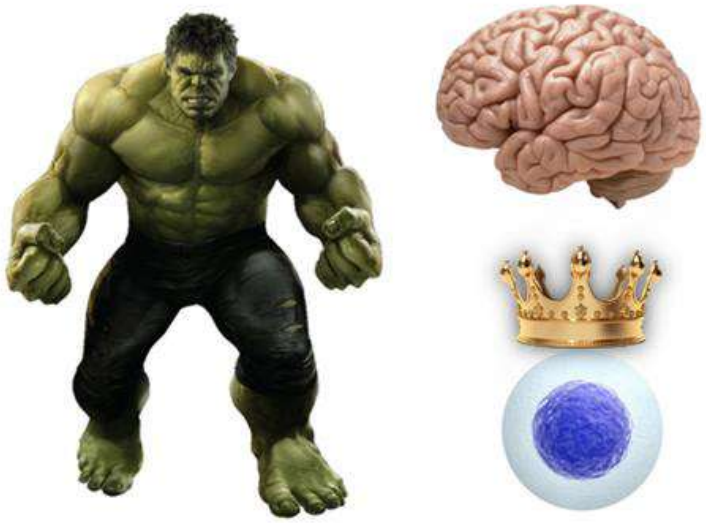

و القائمة تطول للغاية ، فالجسد البشري أشبه بلغز معقد ، كلما حل الإنسان بعض شفراته ظهرت شفرات جديدة أعقد و أغرب .. لذا لا عجب أن نقول أن أسرار الكونين الأكبر و الأصغر مشفرة داخل هذا الجسد المظلوم من أقرب الناس إليه ألا و هو حامل الجسد نفسه (الإنسان) ..

باختصار يمكن القول أن الله تعالى جعل من الجسد البشري تحفته العظمى التي زين بها الكون و منحها القدرات الكافية لاكتشاف هذا الكون و ترويضه ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**امبراطورية الجسد**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الجسد البشري موضة قديمة ، فهنالك المليارات منه .. انظر إلى هذا الروبوت المتطور لا توجد منه أي نسخة أخرى في العالم !!

بل أن نقول :

= من الظلم الكبير أن نجحف بحق الجسد البشري فقط لأنه موجود بكثرة و نمتلكه بالمجان ما أن نمنح فرصة الحياة على الكوكب .. فالجسد البشري معجزة ربانية .. إنه تحفة الرحمن التي لا مثيل لها في الكون ، التي

كرمها الله و سخر كل شيء حرفياً لخدمتها ..

في الرواية الأيقونية (**الخيميائي**) للأديب الكبير باولو كويلو .. يحلم الراعي الشاب سانتياغو و هو نائم في مكان مهجور بكنز ضخم ينتظره و سيغير حياته جذرياً نحو الأفضل.. ليبدأ رحلة البحث عن الكنز من إسبانيا إلى المغرب انتهاءً بمصر .. ليكتشف في نهاية الرواية أن الكنز مدفون في المكان المهجور الذي حلم به أول مرة .. و هذا حال الإنسان سيبذل قصارى جهده من طاقة و وقت و مال كي يطور أفضل آلة عرفها الكون ، لكنه سيكتشف في نهاية الحكاية أن أعظم آلة في الكون كانت موجودة معه في كل لحظة .. إنه جسده البشري المعجزة .. لذا الأجدر بالبشر اكتشاف هذه الآلة أكثر لا السعي لتطوير آلات أخرى أقل شأناً منها بكثير !!

الدورة القمرية ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة سريالية (الدولة العميقة)
- مغالطة أصغر من الذرّة (بوزون هيغز)
- مغالطة قمر 14 (الدورة الشهرية و الدورة القمرية)
- مغالطة الموت الرحيم (قتل النفس بالحق)
- مغالطة مخمس الشيطان (بافوميت)
- مغالطة الكوكب المضجر (ما خفي أعظم !!)
- مغالطة الغرب الفاجر (سرير بروكرست)
- مغالطة النصيحة بجمل (المرآة السحرية لا تكذب)
- مغالطة حروب عبثية (معضلة المتهمَين)
- مغالطة اجتماعية (قوانين السير)
- مغالطة حجر بوذا (لا إكراه في الدين)
- مغالطة تأقلم أو تألم (من لا يتغير يهلك)
- مغالطة لوح الويجا (عالم الماورائيات)
- مغالطة الأوتار الفائقة (قيثارة الروح)
- مغالطة الخوف الفطري (تجربة ألبرت و قطرة روبرت)
- مغالطة هاكر العقول (رجل الدمى)
- مغالطة خرفان بانورج (فلسفة القطيع)
- مغالطة امبراطورية الجسد (الخلية الإله)